تلبيس إبليس

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي
ولد ٥٠٨ وتوفي ٥٩٦
رحمه الله تعالى

حققه وخرج احاديثه

خير الدين على

دار الوعى العربى

بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحقق

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا) .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ،ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد فلما كان كتاب « تلبيس ابليس » للامام الكبير والمحدث الفقيه جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من أشهر كتبه ، ومن أواخرها ، فقد أشار فيه الى بعض كتبه كالموضوعات والتاريخ وغيرهما .

ولما كان هذا الكتاب يجمع بين الفائدة والمتعة ، بين العلم الغزير والأسلوب البسيط الرائق الذي يجلو الشبهات ويكشف ستر ابليس وجماعته ، ويرشد الى أقوم السبل وآمنها فقد قمت بالقاء نظرة عليه قبل أن أقدمه الى المطبعة ، شارحا بعض عباراته المبهمة ، مخرجا أحاديثه المرفوعة ، مشيراً الى الآيات ومواضعها من القرآن الكريم ، ومعلقا بعض التعليقات النافعة .

وقد اعتمدت في هذا التحقيق ، النسخة التي نشرها « محمد منير الدمشقي » سائلا الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب ، ويثيب مؤلفه وناشريه أجزل الثواب ، وله الحمد أولا وآخرا .

« خير الدين علي »

التعريف بابن الجوزي

هو الامـــام أبو الفرج عبد الرحمـــن بي علي بن الجـوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه ، الواعظ ، الحافظ ، المفسر الملقب بجمال الدين • وهو منسوب الى محلة بالبصـرة تسمى (محلة الجوز) • ولد سنة احدى عشرة أو اثنتي عشرة وخمسمائة للهجرة في بغداد ، وتوفي والده وهو صغير • فلما ترعرع حملته عمته الى مسجد « أبي الفضل بن ناصر » الحافظ البغدادي فسمع منه الحديث • وحفظ القرآن على جماعة من أئمة القراء ، وكان يلازم من الشيوخ أعلمهم ، ويؤثر مـن أرباب النقل أفهمهم ـ كما قال هو عن نفسه في مشيخته •

وقد صحب « ابن الزاغوني » فأخذ عنـه الفقه والوعظ • وقرأ الأصول والجدل على « أبي بكر الدينوري » والقاضي « أبي يعلى » ، وتتبع مشايخ الحديث والفقه ، ولم يقنع بفن واحد • فقرأ الأدبعلى «الجواليقي» استاذ عصره ، بل لم يترك أحداً ممن يروي ويعظ ، ولا غريبا يقدم الا استفاد منه • وقد قال عن نفسه : كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق •

وكان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة ويخرج في طلب الحديث ، فيقعد على نهر عيسى لا يقدر على أكل هذا الخبـز اليابس الا عند الماء ، كلما أكل لقمة شرب عليها شربة !

كان رحمه الله ورعا ، جريئا ، وما تنـــاول مالا من جهـة لا يتيقن حلها ، ولا ذل لآحد ، وكان معجبا بنفســـه ، قال في « لفتة الكبد » :

« ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد ، وأوقع كلامي في نفوسهم ، فلا يرتابون بصحته ، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة • »

وقال سبطه أبو المظفر : « أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف » •

كان ـ رحمه الله ـ قوي البديهة ، حاضر الذهن ، فقد وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي ، بين أهل السنة والشيعة ، ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا له رجلا وسط المجلس ، فسأله عن ذلك فقال على الفور : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك • فقال السنية : هو أبو بكر رضي الله عنه لان عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله (ص) ، وقالت الشيعة : هو علي رضي الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله (ص) تحته • قال ابن خلكان :

وهذه من لطائف الاجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وامعان النظر كان في غاية الحسن ، فضلا عن البديهة •

أما منزلته في الوعظ فلم يكن يدانيه أحد ، فلقد أوتي حسن التصرف في فنون القول ، وشدة التأثير في الناس ، وكانت مجالسه الوعظية جامعة ، ولقد تاب في مجالسه أكثر من مائة ألف •

ووعظ وهو ابن عشر سنين الى أن مات ، وكان يحضر مجالسه أمير المؤمنين والسلاطين والأمراء والعلماء فضلا عن عامة الناس •

وكان يظهر في مجالسه مدح السنة ويذم أهل البدع ٠

أما كتبه فهي أكثر من أن تعد ـ كما قال ابن خلكان ـ وكتب بخط يده شيئا كثيرا ، وقد قيل : انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره ، وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس ٠ وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ٠

وقال أبو الفرج : « أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة » ٠

وتصانيفه كثيرة جداً ، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناوله كتابا بخطه سرد فيه تصانيفه ٠

قال ابن كثير في البداية والنهاية : « برز ابن الجوزي في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحوا من مئتي مجلد ، وله في أكثر العلوم اليد الطولى ، والمشاركات في سائر أنواعها ، من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه ، وغير ذلك من اللغة والنحو ، وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها ٠ »

وقال ابن خلكان في ترجمته : (انه كان علامة عصره ، وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، صنف في فنون كثيرة منها : « زاد المسير في علم التفسير » أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة ،وله «المنتظم» في التاريخ وهو كبير ، وله « الموضوعات » ، أربعة أجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع ٠ وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد ٠

ويقال : انه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحصل منها شيء كثير أوصى أن يسخن به الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت »

وقال الحافظ الذهبي : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل »

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :
« عددت له أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك ما لم أره »
ووصفه الحافظ الدبيثي بأنه :

« صاحب التصانيف في فنون العلم ، من التفاسير والفقه والحديث والوعظ والرقائق والتواريخ وغير ذلك • واليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه من سقيمه وله فيه المصنفات •• وله في الوعظ العبارة الرائعة والاشارات الفائقة والمعاني الدقيقة ••• وكان من أحسن الناس كلاما ، وأتمهم نظاما ، وأعذبهم لسانا ، وأجودهم بيانا ••• سمع الناس منه أكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارا » •

وقال الموفق عبد اللطيف : « كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئا ، يكتب في اليوم أربعة كراريس ، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً الى ستين • وله في كل علم مشاركة ، لكنه كان في التفسير من الأعيان ، وفي الحديث من الحفاظ ، وفي التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كاف •• »

من مصنفاته في القرآن وعلومه كتابه « المغني في التفسير » و «زاد المسير في علم التفسير [1]» ، و «تيسير البيان في تفسير

---

(١) وقد قام بطبعه المكتب الاسلامي بدمشق في تسعة أجزاء •

القرآن » ، و « عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ » .

ومن مصنفاته في أصول الدين : « منهاج الوصول الى علم الأصول » ، و « منهاج أهل الاصابة »

وله في الحديث مصنفات عديدة منها :

« جامع المسانيد بألخص الأسانيد » « التحقيق في أحاديث التعليق » « الموضوعات [٢] من الأحاديث المرفوعات » « العلل المتناهية في الأحاديث الواهية » وله في المناقب مصنفات كثيرة منها « مناقب أبي بكر » ، و « فضائل عمر بن الخطاب » ، و « مناقب علي » و « فضائل عمر بن عبد العزيز » و « فضائل سعيد بن المسيب والحسن البصري والفضيل والثوري وابن حنبل وغيرهم .

ومن مصنفاته في التاريخ :

« تلقيح فهوم أهل الاثر في عيون التواريخ والسير »

و « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » .

وله في الفقه مصنفات منها :

« الانصاف في مسائل الخلاف » ، و « عمدة الدلائل في مشتهر المسائل » .

أما في الوعظ فله :

علوم الوعظ . واليواقيت في الخطب . ونسيم الرياض . والمدهش ، ونزهة الأديب . وتحفة الوعاظ وغيرها .

---

(٢) طبعته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

وله في الفنون الأخرى الشيء الكثير منها :

ذم الهوى • وصيد الخاطر ، والأذكياء • والحمقى • واعلام الأحياء بأغلاط الاحياء • والمقامات • والطب الروحاني • والوفا بفضائل المصطفى • والمختار من الأشعار • ولغة الفقه ، وغريب الحديث ، وزين القصص •

وكانت وفاته في رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن ست وثمانين سنة تقريبا قضاها في التأليف والوعظ والارشاد • قال سبطه أبو المظفر :

« وغسل وقت السحر ، واجتمع أهل بغداد ، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس ، وكان الجمع كثيراً جدا ، وكان في شهر تموز فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام ، وما وصل حفرته الا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول : الله أكبر • ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رضي الله عنه • »

تغمده الله برحمته ونفع المسلمين بعلومه ، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله [1]

---

(١) راجع وفيات الاعيان ١ ـ ٢٧٩ ، البداية والنهاية ١٣ ـ ٢٨ ، مفتاح السعادة ١ ـ ٢٠٧ ، ابن الوردي ٢ ـ ١١٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ ـ ١٢٥ ، الكامل لابن الاثير ١٠ ـ ٢٢٨ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١ ـ ٣٩٩ •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل الى أكف ذوي الالباب ، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب ،وأنزل عليهم الكتب مبينةللخطأ والصواب، وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب (١) ،أحمده حمد من يعلم أنهمسبب الاسباب ، وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب ، وأشهد أن محمدا عبده ورسونه أرسله وقد سدل (٢) الكفر على وجه الايمان الحجاب ، فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب ، وبين للناس ما نزل اليهم وأوضح مشكلات الكتاب ، وتركهم على المحجة (٣) البيضاء لاسرب (٤) فيها ولا سراب، فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الاصحاب ، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الحشر والحساب ، وسلم تسليما كثيرا •

أما بعد ، فان أعظم النعم على الانسان العقل ، لانه الآلة في معرفة الالـــه سبحانه ، والسبب الذي يتوصل به الى تصديق الرسل ، الا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين فاذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس • ولما ثبت عند العقل أقوال الانبياء الصادقة ، بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم اليهم ، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم •

ولما أنعم الله على هذا العالم الانسي بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام ، فكان يعلمهم عن وحي الله عز وجل فكانوا على الصواب ، الى أن انفرد قابيل بهواه فقتل أخاه ، ثم تشعبت الاهواء بالناس فشردتهم فـــي بيداء الضلال ، حتى عبدوا الاصنام واختلفوا في العقائد والافعال اختلافا خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعا لاهوائهم ، وميلا الى عاداتهم ، وتقليدا لكبرائهم ، فصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين •

---

(١) العاب والعيب : الوصمة (قاموس) •

(٢) سدل : ارخى •

(٣) المحجة : الطريق •

(٤) السرب : الحفر تحت الارض • والسراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء •

فصــــل

واعلم أن الانبياء جاؤوا بالبيان الكافي ، وقابلوا الامراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف • فأقبـــل انشيطان يخلط بالبيان شبـها ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح جردا (١) مضلا • وما زال يلعب بالعقول الى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبـــدون الاصنام في البيت الحرام ، ويحرمون السائبة (٢) والبحيرة (٣) والوصيلة(٤) والحامي (٥) ، ويرون وأد البنات ،ويمنعونهن الميـــراث ، الى غير ذلك من انضلال الذي سوله لهم ابليس ، فابتعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فرفع المقابح ، وشرع المصالح • فسار أصحابه معه وبعده فـــي ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره • فلما انسلخ نهار وجودهم • أقبلـــت أغباش الظلمات ، فعادت الاهواء تنشيء بدعا (٦) وتضيق سبيلا مـا زال متســـعا ، ففرق الاكثرون دينهـم وكانوا شـــيعا ، ونهض ابـليس يلبس ويزخرف ، ويفرق ويؤلف وانما يصح له انتلصص في ليل الجهل ، فلو قــد طلع عليه صبح العلم افتضح •

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده ، فان في تعريف الشـــر تحذيرا عن الوقوع فيه • ففي «الصحيحين» من حديث حذيفة قال : « كـــان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني »• وقد أخبرنـــا أبو البركات ســـعدالله بن علي البزاز، قال : أخبرنا أحمد بن علي الطريثيثي ، قـــال : أخبرنا هبةالله بن حسن الطبري ، قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل ، قال : ثنا محمد بـــن

---

(١) يقال : مكان جرد اي لا نبـــات فيه •

(٢) السائبة : الناقة المنذورة وكانت تسيب أي تترك لترعى فلا يمسها احد بسوء ، وكانت اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت •

(٣) البحيرة : التي تنجب خمسة ابطن والخامس ذكر • او هي بنت السائبة •

(٤) الوصيلة : الشاة اذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم •

(٥) الحامي : فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضاه تركوه لالهتهم واعفوه من الحمل•

(٦) لقد زين الشيطان لبعض المسلمين فعادوا الى الجاهلية الاولى من نذر لغير الله كالاولياء واصحاب الاضرحة • فتراهم يسيبون المواشي للاولياء ترعى حيث شاءت لا يمسها احـــد بسوء لانها منذورة خشية ان ينتقم منه الولي اذا منعها من ان تعيث في الارض فسادا •

أحمد بن الحسن ، قال :حدثنا بشر بن موسى قال :حدثنا عبيد بن يعيش، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن اسحاق عن الحسن او الحسن بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : والله ما أظن على ظهر الارض اليوم أحدا أحب الى الشيطان هلاكا مني • فقيل : وكيف ؟ فقال : والله انه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل الي فاذا انتهت الي قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها •

فصل

وقد وضعت هذا الكتاب محذرا من فتنه ، ومخوفا من محنه ، وكاشفا عن مستوره ، وفاضحا له في خفي غروره • والله المعين بجوده ، كل صادق في مقصوده •

وقد قسمته ثلاثة عشر بابا ينكشف بمجموعها تلبيسه ، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه ابليسه • والله موفقي فيما قصدت ، وملهمي للصواب فيما أردت •

ذكر تراجم الابواب

الباب الاول

الامر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي التميمي ، نا أحمد بن جعفر ابن حمدان ، ثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي عن ابن اسحاق ، نا ابن المبارك ، ثنا محمد بن سوقة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما خطب بالجابية فقال :

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من أراد منكم بحبوحة الجنة (١) فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد (٢) » .

أخبرنا أحمد ، وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة. قال : خطب عمر الناس بالجابية فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في مثل مقامي هذا ، فقال : «من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» ، قال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن علي المديني ، نا أبو محمد الصريفيني ، نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ، ثنا أبو محمد بن صاعد ، ثنا سعيد بن يحيى الاموي ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود ، عن زر عن عمر بن الخطاب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد (٣) .

حدثنا عبد الاول بن عيسى ، نا أبو القصار بن يحيى ، ثنا أبو الحسن علي ابن عبد العزيز ، أنبأنا أبو عبيد ، نا النضر بن اسماعيل ، عن محمد بن سوقة ، عن عبد الله بن دينار عن عمر . قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) بحبوحة الدار وسطها .

(٢) حديث ابن عمر هذا رواه الترمذي مطولا من طريق ابي المغيرة عن محمد بن سوقة وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة . قلت : ورجاله ثقات والحديث صحيح وله طرق .

(٣) واسناده لين لكنه يتقوى بما سبقه وبما بعده .

عليه وسلم : «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» •

أخبرنا عبد الاول ، نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي ، نا عبد الرحمن بن أبي شريح ، ثنا ابن صاعد ، ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري ، ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة» (١) •

أخبرنا محمد بن عمر الارموي والحسين بن علي المقري ، نا عبد الصمد ابن المأمون ، نا علي بن عمر الدارقطني ، ثنا أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول ، حدثني أبي ، ثنا محمد بن يعلى ، ثنا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة ،عن أسامة بن شريك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم (٢) » •

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي، أنبأنا أسود بن عامر ، ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما (٣) » قال : ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه» • ثم قرأ «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل »•

وبالاسناد قال أحمد ،وثنا روح، ثنا سعيد ، عن قتادة، قال : ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية

---

(١) وزياد بن علاقة لم يسمع من عرفجة فالحديث ضعيف بهذا اللفظ •

(٢) وفيه محمد بن يعلى ضعيف• ورواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعا بلفظ : يد الله على الجماعة ومن شذ شذ الى النار وهو ضعيف أيضا لكن قال ابن حجر له شواهد كثيرة منها موقوف صحيح •

(٣) ورواه الحاكم وصححه • وله طريق أخرى عند النسائي والحاكم وقد صححها ايضا وله شواهد ذكرها ابن كثير في تفسيره ١٩٠/٢ •

والناحية • فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد (١) » •
حدثنا أحمد ، ثنا ابو اليمان ، ثنا ابن عياش ، عن أبي البختري ، عن عبيد ابن سليمان ، عن أبيه، عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة ، فان الله عز وجل لم يجمع أمتي الا على الهدى (٢) » •

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي ، قال : أخبرنا أبو عامر الازدي وأبو بكر العروجي ، قالا :أخبرنا الجراجي، قال : أخبرنا المحبوبي ، ثنا الترمذي، ثنا محمود بن غيلان ،ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبد الرحمن بنزياد الافريقي، عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وان بني اسرائيل تفرقت (٣) على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة» • قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابي» • قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف الا من هذا الوجه (٤) •

وروى أبو داود في «سننه» من حديث معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال : ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : «ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة ،وانه سيخرج من أمتي أقوام تجارى (٥) بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب

---

(١) ورجاله ثقات الا ان العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ كما في «التهذيب» •

(٢) واسناده ضعيف بسبب أبي البختري قال في اللسان : كذبه دحيم • ثم ان ابا عبيد تابعي لا يعرف كذا في (فيض القدير) •

(٣) قال أبو منصور البغدادي : للحديث الوارد في افتراق الامة اسانيد كثيرة ، وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وابي هريرة وابي الدرداء وجابر وابي سعيد الخدري وابي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وابي امامة وغيرهم •

(٤) في سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقي وهو ضعيف • فتحسين الترمذي له لطرقه •

(٥) بحذف احدى التاءين اي تدخل وتسرى تلك الاهواء اي البدع • والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للانسان من عض الكلب •

بصاحبه (١) » .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز ، نا أحمد بن علي الطريثيثي ، نا هبةالله ابن الحسين الحافظ ، نا محمد بن الحسين الفارسي ، نا يوسف بن يعقوب ابن اسحاق ، ثنا العلاء بن سالم ، ثنا أبو معاوية ، ثنا الاعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة ، عنعبد الرحمن بن يزيد ،عن عبد الله (٢) . قال : «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة» .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، نا أحمد بن الحداد ، نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا محمد بن سعيد ، ثنا ابن المبارك عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن ابي بن كعب ، قال :«عليكم بالسبيل والسنة فانه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار ، وان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف » .

أخبرنا سعد الله بن علي، نا الطريثيثي ، نا هبة الله بن الحسين ، نا عبد الواحد بن عبد العزيز ، نا محمد بن أحمد الشرقي ، ثنا عثمان بن أيوب ، نا اسحاق بن ابراهيم المروزي ، قال : ثنا أبو اسحاق الاقرع ، قال سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « النظر الى الرجل من أهل السنة يدعو الى السنة وينهى عن البدعة عبادة » .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال : نا أحمد بن أحمد، نا أبو نعيم الاصبهاني ، ثنا محمد بن احمد بن الحسن ، ثنا بشر بن موسى ، ثناالحميدي قال : أنبأنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبي العالية ، قال : «عليكم بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا» قال عاصم : فحدثت به الحسن . فقال : «قد نصحك والله وصدقك» .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، نا أحمد بن أحمد ، قال : نا أحمد بن عبدالله الحافظ ، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن ، أنبأنا بشر بن موسى ، نا معاوية ابن عمرو ، نا أبو اسحاق الفزاري . قال : قال الاوزاعي : «اصبر نفسك على

---

(١) رواه ابو داود في اول كتاب السنة (٤٥٩٧) باسناد جيد ، رجاله ثقات .

(٢) اي ابن مسعود رضي الله عنه .

السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ،واسلك سبيل سلفك الصالح، فانه يسعك ما وسعهم» •

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا احمد بن أحمد ،نا أحمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم ،أنبأنا محمد بن منصور الهروي ثنا عبد الله بن عروة ، قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الاوزاعي ، قال : «رأيت رب العزة في المنام • فقال لي يا عبد الرحمن ؟ أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فقلت : بفضلك يا رب، وقلت : يا رب أمتني على الاسلام ، فقال : وعلى السنة» •

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، أنبأنا أحمد بن أحمد ، نا أحمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا ابراهيم بن أبي عبد الله ،ثنا محمد بن اسحاق ، سمعت أبا همام السكوني يقول : حدثني أبي قال : سمعت سفيان يقول : «لا يقبل قول الا بعمل ولا يستقيم قول وعمل الا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية الا بموافقة السنة» •

أخبرنا محمد ،نا أحمد أبو نعيم ،أنبأنا محمد بن علي، ثنا عمرو بنعبدويه ثنا احمد بن اسحاق ، ثنا عبد الرحمن بن عفان ، قال : ثنا يوسف بن اسباط• قال : قال سفيان : « يا يوسف اذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، واذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة» •

أخبرنا سعد الله بن علي، نا أحمد بن علي الطريثيثي ، نا هبة الله بن الحسين الطبري، نا محمد بن عبد الرحمن ، نا البغوي ، نا محمد بن زياد البلدي ، ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد ، قال أيوب : «اني لاخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي » وبه ، قال الطبري، وأخبرنا الحسين بن أحمد ، ثنا عبد الله اليزدجردي ، ثنا عبد الله بن وهب ، ثنا اسماعيل بن أبي خالد ، قال : ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب • قال : «ان من سعادة الحدث والاعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة» •

قال الطبري : وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون، ثنا جعفر بن محمد بن نضير ، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ، ثنا أبو عمير بن النحاس ، ثنا ضمرة عن ابن شوذب • قال : «ان من نعمة الله

على الشاب اذا نسك ، أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها » • قال الطبري: وأخبرنا عيسى بن علي ، ثنا البغوي ، ثنا محمد بن هارون ، ثنا سعيد بن شبيب ، قال : سمعت يوسف بن أسباط ، يقول : «كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان (١) »• قال الطبري : وأخبرنا أحمد بن محمد ابن حفص ، نا عبد الله بن عدي، ثني أحمد بن العباس الهاشمي ، ثنا محمد ابن عبد الاعلى ، قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : «دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لي : مالك؟ قلت : مات صديق لي، فقال : مات على السنة ، قلت : نعم ، قال : تحزن عليه » • قال الطبري : وأخبرنا أحمد بن عبد الله ، نا محمد بن الحسين ، ثنا أحمد بن زهير ،ثنا يعقوب بن كعب ، ثنا عبدة ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثوري • قال : «استوصوا بأهل السنة خيرا ، فانهم غرباء» •

أخبرنا ابو منصور بن حيرون ، نا اسماعيل بن أبي الفضل الاسماعيلي، نا حمزة بن يوسف السهمي ، نا عبد الله بن علي الحافظ ، نا أبو عوانة ، ثنا جعفر بن عبد الواحد قال : قال لنا ابن أبي بكر بن عياش : «السنة في الاسلام ، أعز من الاسلام في سائر الاديان» •

سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي المقري يقول : سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندراني يقول : سمعت أبا منصور محمد الازدي يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة، يقول : سمعت أحمد بن منصور ، يقول : سمعت الحسن ابن محمد الطبري ، يقول : سمعت محمد بن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الاعلى ، يقول : سمعت الشافعي يقول : «اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » •أخبرنا محمد ابن أبي القاسم ، نا أحمد ،نا أبو نعيم ، أخبرني جعفر الخلدي في كتابه، قال : سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق ، الا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه • أخبرنا عمر بن طفر ، نا جعفر بن محمد ، نا

---

(١) أي سفيان الثوري وكان امير المؤمنين في الحديث • وكان يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحدا في الفقه والحديث والزهد وكل شيء • مات سنة احدى وستين ومائة للهجرة •

عبد العزيز بن علي الازجي ، نا علي بن عبد الله بن جهضم ، نا محمد بن حابان • قال : سمعت حامد بن ابراهيم يقول : قال الجنيد بن محمد :الطريق الى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى ، الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته • كما قال الله عز وجل : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (الاحزاب : ٢١) •

الباب الثاني

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، نا أبو بكر أحمد بن حمدان ، نا أبو عبد الله بن حنبل ، قال : اخبرني أبي ، ثنا يزيد عن ابراهيم بن سعد ، أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالا : نا المطهر بن عبد الواحد ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان، نا محمد ابن ابراهيم الحروزي ، ثنا لوين ، ثنا ابراهيم بن سعد عن ابيه ، عن القاسم ابن محمد ،عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد» • أخبرنا موهوب بن أحمد ، نا علي بن أحمد البسري ، ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ، ثنا عبد الله بن محمد البغوي ، ثنا أحمد بن ابراهيم الموصلي واسحاق بن ابراهيم المروزي قالا : ثنا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» •

قال البغوي:وحدثنا عبد الاعلى بن حماد، ثنا عبد العزيز، عن عبد الواحد ابن أبي عون ، عن سعد بن ابراهيم ، عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها ،أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من فعل أمرا ليس عليه أمرنا فهو رد» • ــ أخرجاه في «الصحيحين» •

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي ، عن مجاهد عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم • أنه قال : «من رغب عن سنتي فليس مني » ــ انفرد باخراجه البخاري • أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ،نا أحمد بن جعفر ،نا عبد الله بن أحمد ،حدثني أبي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا ثور بن يزيد ، ثنا خالد بن معدان ، حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر ، قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه» ، فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال عرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب • فقال قائل: يارسول الله كأن

هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا . فقال : «أوصيتكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا ، فانه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (١) .

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا عبد الله بن الوليد ، ثنا سفيان عن الأعمش ، عن أبي وائل . وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دوني . فأقول : يا رب أصحابي ويقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ـ أخرجاه في « الصحيحين » .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا أحمد بن محمد ، نا أبو نعيم ، ثنا أحمد بن اسحاق ، ثنا عبد الله بن سليمان ، ثنا محمد بن يحي ، ثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحي بن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله بن محرز قال : « يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة » . أخبرنا اسماعيل بن أحمد ، نا عمر بن عبد الله البقال ، نا أبو الحسين بن بشران ، ثنا عثمان ابن أحمد الدقاق ، ثنا حنبل ، قال حدثني أبو عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، قال : كان طاوس جالسا وعنده ابنه ، فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعيه في أذنيه ، وقال : « يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئا فان هذا القلب ضعيف » . ثم قال : «أي بني اسدد» ـ فما زال يقول اسدد حتى قام الاخر .

قال حنبل : وحدثنا محمد بن داود ، ثنا عيسى بن علي الضبي . قال : كان رجل معنا يختلف الى ابراهيم ، فبلغ ابراهيم أنه قد دخل في الارجاء (٢) فقال

---

(١) ورواه الدارمي في «سننه» .

(٢) قال وكيع : المرجئة الذين يقولون الاقرار يجزي عن العمل . قلت : وحاصل قول غلاة المرجئة أنه كما لا ينفع مع الكفر طاعة لا يضر مع الايمان معصية . أي أنهم يعتبرون الايمان مجرد ما في القلب وأن الايمان يكون تاما بدون شيء من الاعمال . والحق أن الايمان التام يستلزم العمل . فالصلاة والزكاة ليستا من الايمان في نظر المرجئة وهو خلاف قول السلف . قال الزهري : ما ابتدع في الاسلام بدعة اضر على أهله من الارجاء قال قتادة : انما حدث الارجاء بعد فرقة ابن الاشعث .

له ابراهيم : « اذا قمت من عندنا فلا تعد » • قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائي ، قال : قلت لسفيان بن عيينة : ان هذا يتكلم في القدر ــ يعني ابراهيم بن أبي يحيى ــ فقال سفيان : «عرفوا الناس أمره وسلوا الله لي العافية » • قال حنبل : وحدثنا سعدويه ، ثنا صالح المري ، قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه • فقال ابن سيرين : اما أن تقوم واما أن نقوم » •

أخبرنا المحمدان ــ ابن ناصر وابن عبدالباقي ــ قالا: نا أحمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا أبو بكر بن راشد ، ثنا ابراهيم بن سعيد بن عامر ، عن سلام بن أبي مطيع ، قال : قال رجل من أهل الاهواء لايوب : أكلمك بكلمة ؟ قال : « لا ولا نصف كلمة • قال ابن راشد : وحدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا يحي بن يمان ، عن مخلد بن حسين ، عن هشام بن حسان ، عن أيوب السختياني ، قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا الا ازداد من الله عز وجل بعدا •

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، نا الطريثيثي ، نا هبة الله بن الحصين، نا عيسى بن علي ، نا البغوى ، نا أبو سعيد الاشج ، نا يحي بن اليمان ، قال: سمعت سفيان الثوري قال : البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها (١) •

أخبرنا ابن أبي القاسم ، نا أحمدبن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا الحسين بن علي ، ثنا محمود بن غيلان ، ثنا مؤمل بن اسماعيل ، قال : مات عبد العزيز ابن ابي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري ، فقال الناس : جاء الثوري ــ فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون اليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لانه كان يرمى بالارجاء •

أخبرنا المبارك بن أحمد الانصاري ، نا عبد الله بن أحمد السمرقندي ، نا أحمد بن ثابت ، نا أحمد بن روح النهرواني ، ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ، ننا محمد بن أحمد بن أبي مهزول ، قال : سمعت أحمد بن عبد الله يقول : سمعت شعيب بن حرب يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ، ومن صافحه فقد نقض الاسلام عروة عروة •

---

(١) أثاب الرجل وثاب : رجع •

أخبرنا محمدبن ناصر،نا أحمد بن أحمد، ناأحمد بن عبدالله الاصفهاني ،ثنا اسماعيل بن أحمد ، نا عبد الله بن محمد ، ثنا سعيد الكريري ، قال : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديدا ، فقيل له : ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت ؟ قال : « لا • ولكني مررت على قدري (١) فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه » •

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي ، قالا : أخبرنا : أبو محمد الصريفيني ، نا أبو بكر بن عبدان ، نا محمد بن الحسين البائع ، ثني أبي ، ثنا محمد بن بكر ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : « من جلس الى صاحب بدعة فاحذروه » •

أخبرناابن عبد الباقي، ناأحمد بنأحمد ،نا أبونعيم ،ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا محمد بن النضر ، ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : « من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه » •

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، نا أحمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا محمد بن علي ، ثنا أبو يعلى ، ثنا عبد الصمد ، قال : سمعت الفضيل يقول : « اذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة الى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام •

وسمعت رجلايقول للفضيل : « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » • فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، واذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته »

قال المصنف : وقد روي بعض هذا الكلام مرفوعا وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من وقر صاحب بدعةفقد

---

(١) القدرية هم المكذبون بالقدر ويقولون ان الله لم يقدر الكتابة والاعمال في الازل ولم يتقدم علمه بها وانما يأتنفها علما حال وقوعها • فهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعلمه بعدما فعلوه • ومن القدرية فرقة تقر بالعلم الالهي ولكنها تزعم أن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على وجه الاستقلال • وهذه الفرقة ضلالها اخف لانها نفت ان يكون الله خالقا لافعال عباده •

أعان على هدم الاسلام (١) »· وقال محمد بن النضر الحارثي : « من أصغى بسمعه الى صاحب بدعة نزعت منه العصمة (٢) ووكل الى نفسه »· وقال ابراهيم : سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابني يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت محمد بن اسحاق يقول : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول : قال صاحبنا ــ يعني الليث بن سعد ــ : لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته · فقال الشافعي : « أما انه قصر ، لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته » · وعن بشر بن الحارث أنه قال : «جاء موت هذا الذي يقال له: المريسي (٣) ، وانا في السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكرا ــ الحمد الله الذي أماته · هكذا قولوا » ·

قال المصنف : حدثت عن أبي بكر الخلال ، عن المروزي ، عن محمد بن سهل البخاري، قال : كنا عند القرباني فجعل يذكر أهل البدع ، فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب الينا · فغضب وقال : « كلامي في أهل البدع أحب الي من عبادة ستين سنة » ·

فصل

فان قال قائل : قد مدحت السنة وذممت البدعة · فما السنة ؟ وما البدعة؟ فانا نرى أن كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة ·

فالجواب ــ أن السنة في اللغة : الطريق · ولا ريب في أن أهل النقل والاثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة ، لانهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث ، وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ·

والبدعة : عبارة عن فعل لم يكن فابتدع ، والاغلب في المبتدعات أنها تصادم

---

(١) رواه ابن عدي · قال الحافظ العراقي : اسانيده كلها ضعيفة · وقال ابن الجوزي موضوع·

(٢) لعله يقصد عصمة الايمان · أما العصمة من الذنوب والخطأ فليست من صفات البشر فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ·

(٣) (المريسي) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان في ترجمته : اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن ،وحكي عنه في ذلك اقوال شنيعة ، وكان مرجئا واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول : ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة عليه ·

الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان • فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا حفظا للاصل وهو الاتباع •

وقد قال زيد بن ثابت لابي بكر وعمر رضي الله عنهما حين قالا له : اجمع القرآن ، كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟•

وأخبرنا محمد بن علي بن أبي عمر ، قال : أخبرنا علي بن الحسين ، نا ابن شاذان ، نا أبو سهل ، نا أحمد انبرني ،ثنا أبو حذيفة ، ثنا سفيان ، عن ابن عجلان ، عن عبدالله بن أبي سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : « لبيك ذا المعارج » فقال : « ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم باسناد يرفعه الى أبي البحتري • قال :أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وكذا • وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا ، قال عبد الله : فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمعما يقولون، قام فأتى ابن مسعود فجاء ـ وكان رجلا حديدا(١)

---

(١) أي ذا حدة • والقصة اوردها الدارمي في سننه عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن ابيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فاذا خرج مشينا معه الى المسجد فجاءنا أبو موسى الاشعري فقال : اخرج اليكم ابو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا : لا • فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا اليه جميعا فقال له ابو موسى : يا أبا عبد الرحمن اني رأيت في المسجد آنفا أمرا انكرته ولم أر والحمد لله الا خيرا •قال: فما هو ؟فقال : ان عشت فستراه •قال :رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينظرون الصلاة في كل حلقة رجل ، وفي ايديهم حصى فيقول : كبروا مائة فيكبرون مائة •فيقول: هللوا مائة ، فيهللون مائة • ويقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة • قال : فماذا قلت لهم ؟قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار امرك •قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ان لا يضيع من حسناتهم •

ثم مضى ومضينا حتىأتى حلقة من تلك الحلقفوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا : يا ابا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح • قال : فعدوا سيئاتكم فانا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرعهلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل : وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده انكم لعلى ملة هي اهدى من ملة محمد او مفتتحو باب ضلاله ؟ •

←

فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما، ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما • فقال عمرو بن عتبة: أستغفر الله ، فقال : عليكم بالطريق فالزموه ، ولئن أخـــذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا •

أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر عن أبي محمد الجوهري ، عن أبي عمر بن أبي حياة ، ثنا احمد ابن معروف ، ثنا الحسين بن فهم ،ثنا محمد بن سعد ، ثـنا محمد بن عبد الله الانصاري ، ثنا ابن عوف، قال : كنا عند ابراهيم النخعـي فجاء رجل فقال : يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني • فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه • وذكر ابراهيم السنة فرغب فيها ، وذكر ما أحدثه الناس فكرهه • وقال فيه •

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي ، نا أحمد بن أحمد ، نا ابو نعيم سمعت محمد بن ابراهيم يقول : ســـمعت محمد بن ريان يقول : سمعـــت ذا النون ـ وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس • فقال: « أنا لا أتكلم في شيء من هذا فان هذا محدث ، سلوني عن شيء من الصـلاة أو الحديث » • ورأى ذو النون على خفا أحمر فقال : انزل هذا يا بني فانه شهرة مالبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لبس خفين أســـودين ســـاذجين (١) •

فصـــل

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وان لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكـــن • وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأسا كما روي أن النـــاس كانوا يصلون في رمضان وحدانا ، وكان الرجل يصلي فيصلي بصلاته الجماعة فجمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب رضي الله عنهما فلما خرج فرآهم

قالوا : والله يا ابا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير • قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهـــم وايم الله ما ادري لعل اكثرهم منكم • ثم تولى عنهم •

فقال عمرو بن سلمه : رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج • هـ مع الخوارج •هـ

(١) وقد أهداهما له النجاشي كما في الشمائل للترمذي •

قال : نعمت البدعة هذه (١) ـ لان صلاة الجماعة مشروعة • وانما قال الحسن في القصص : نعمت البدعة ،كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة • لان الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث الى أصل مشروع لم يذم • فأما اذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة ، وان كانت مضادة فهي أعظم • فقد بـان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون ، وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئـا لم يكن قبل ولا مستند له ، ولهذا استتروا ببدعتهم • ولم يكتم أهل السنـة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم •

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي التميمي ، نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ، قال : ثني أبي ، ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال ناس من أمتي ظـاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » في «الصحيحين» •

أخبرنا هبة الله الحسن بن علي ،نا ابن ملك ، ثنا عبد الله بن أحمـد ، ثني أبي ، قال : ثنا يوسف ، ثنا حماد بن زيد ، عن ايوب عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضـرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » انفرد به مسلم • وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم معاوية وجابر بن عبد الله وقرة • أخبرنا الكروخي ، نا النورجـي والازدي ، قالا : نا الجراحي ، ثنا المحبوبي ، ثنا الترمذي ، قال : قال محمد بن اسماعيل : قال علي بن المديني : هم أصحاب الحديث •

فصـل

في بيـان انقسام اهل البدع •

أخبرنا عبد الملك الكروخي ، نا أبو عامر الازدي وأبو بكر النورجي قالا :نا

---

(١) هذا القول من عمر رضي الله عنه هو تجوز لغوي فهو لم يحدث شيئا وانما اعادهم الى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيام رمضان في جماعة • لكنه صلى اللـه عليه وسلم انقطع عنهم في الليلة الثالثة خشية أن تفرض عليهم • فاعادهم عمـر بـن الخطاب الى السنة حين جمعهم علي ابي بن كعب لكن طول الانقطاع عن هذه السنة ثـم العودة اليها اظهرها وكأنها شيء جديد • فان كانت البدعة هكذا فهي نعمت البدعة •

الحراجي، ثنا المحبوبي ، ثنا الترمذي ، ثنا الحسين بن حريث ، ثنا الفضل ابن موسى ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه • قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ـ والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » قال الترمذي : هذا حديث صحيح •

قال المصنف : وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله وفيه « كلهم في النار الا ملة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » •

أخبرنا ابن الحسين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، نا عبد الله بن أحمد ، قال : ثني أبي ، ثنا حسن ، ثنا ابن لهيعة (١) ، ثنا خالد بن زيد ،عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه • أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان بني اسرائيل تفرقت احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ،وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة يهلك احدى وسبعون وتخلص فرقة » • قالوا : يا رسول الله ، ما تلك الفرقة ؟؟ قال : «الجماعة» • قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فان قيل:وهل هذه الفرق معروفة • فالجواب انا نعرف الافتراق وأصول الفرق (٢) ، وان كل طائفة من الفرق قد انقسمت الى فرق ، وان لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق : الحرورية (٣) والقدرية ، والجهمية والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية ، وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست • وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة •

وانقسمت **الحرورية** اثنتي عشرة فرقة •

فأولهم «الازرقية» (٤) قالوا : لا نعلم أحدا مؤمنا وكفروا أهل القبلة الا من دان بقولهم •

---

(١) عبدالله بن لهيعة صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه •

(٢) اختلف العلماء في اصول هذه الفرق وتعيينها على اقوال ومن اراد التفصيل فعليه بكتاب «الاعتصام» للشاطبي •

(٣) هم الذين خرجوا على علي وانحازوا الى حروراء ، وهم يومئذ اثنا عشر الفا ، وعبدالله بن كوا حينئذ زعيمهم •

(٤) نسبة الى نافع بن الازرق ولم يكن للخوارج قط فرقة اكثر عددا ولا اشد شوكة منهم •

«والاباضية» (١) قالوا : من اخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنـــــه فهو منافــق •

«والثعلبية» (٢) قالوا : ان الله لم يقض ولم يقدر •

«والحازمية» (٣) قالوا : ما ندري ما الايمان والخلق كلهم معذورون •

«والخلفية» (٤) زعموا ان من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر •

«والمكرمية» (٥) قالوا : ليس لاحد أن يمس أحدا لانه لا يعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل •

«والكنزية» قالوا : لا ينبغي لاحد أن يعطي ماله أحدا لانه ربما لم يكــن مستحقا بل يكنزه في الارض حتى يظهر أهل الحق •

«والشمراخية» قالوا : لا بأس بمس النساء الاجانب لانهن رياحين •

«والاخنسية» (٦) قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر •

«والمحكمية» قالوا : ان من حاكم الى مخلوق فهو كافر •

«والمعتزلة من الحرورية» قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين •

«والميمونية» (٧) قالوا : لا امام الا برضى أهل محبتنا •

وانقسمت **القدرية** اثنتي عشرة فرقة :

«الاحمرية » وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم •

«والثنوية» وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من ابليس •

«والمعتزلة» هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية •

«والكيسانية» (٨) هم الذين قالوا : لا ندري هذه الافعال من الله أم من العباد ، ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون •

«والشيطانية» (٩) قالوا : ان الله لم يخلق شيطانا •

---

(١) نسبة الى عبد الله بن أباض • (٢) نسبة الى ثعلبة بن مشكان • (٣) وهم اصحاب حازم بن علي • (٤) وهم اصحاب خلف الخارجي • (٥) وهم اتباع مكرم بن عبدالله العجلي، ويقول : تارك الصلاة كافر لا من اجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الانسان • (٦) أتباع رجل منهم كان يعرف بالاخنس (٧) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الاخوة • (٨) أصحاب كيسان مولى علي رضي الله عنه ، وقيل تلميذ ابن الحنفية • (٩) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضي الملقب بشيطان الطـــاق •

«والشريكية» قالوا : ان السيئات كلها مقدرة الا الكفر .

«والوهميــــة» قالوا : ليس لافعـــال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنــة والسيئــــة ذات .

«والرواندية» قالوا : كل كتاب انزل من الله فالعمل به حق ناسخا كـان أو منسوخا .

«والبترية» (١) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته .

«والناكثية» زعموا أن من نكث بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلــم فلا اثم عليه .

«والقاسطية» فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها .

«والنظامية» تبعوا ابراهيم النظام في قوله : من زعم ان الله شيء فهو كافر .

وانقسمت **الجهمية** (١) اثنتي عشرة فرقة :

«المعطلة» زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الانسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر .

«والمريسية» (٢) قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة .

«والملتزقة» جعلوا الباري سبحانه وتعالى في كل مكان (٣) .

«والواردية» قالوا : لا يدخل النار من عرف ربه ، ومن دخلها لم يخرج منهـا أبدا .

«والزنادقة» قالوا : ليس لاحد أن يثبت لنفسه ربا لان الاثبات لا يكون الا بعد ادراك الحواس ، وما يدرك فليس باله وما لا يدرك لا يثبت .

«والحرقية» زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقا أبدا لا يجد حر النار .

«والمخلوقية» زعموا ان القرآن مخلوق .

«والفانية» زعموا ان الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال : انهما لم تخلقا .

---

(١) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حي وكثير النوي الملقب بالابتر .

(٢) هم اتباع جهم بن صفوان ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم المازني بمرو .

(٣) هم أتباع بشر المريسي .

(٤) وهذه عقيدة العامة وادعياء العلم في عصرنا هذا وهي مخالفة لصريح القرآن والسنـــة الصحيحـــة من ان الله فوق السمـــاوات على العرش استوى . لكنه في كل مكـــان بعلمه لا بذاته .

«والمغيرية» جحدوا الرسل فقالوا : انما هم حكام ٠
«والواقفية» قالوا : لا نقول ان القرآن مخلوق ولا غير مخلوق ٠
«والقبرية» ينكرون عذاب القبر والشفاعة ٠
«واللفظية» قالوا : لفظنا بالقرآن مخلوق ٠
وانقسمت **المرجئة** اثنتي عشرة فرقة :
«التاركية» قالوا : ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الايمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ماشاء ٠
«والسائبية» قالوا : ان الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاؤا ٠
«والراجية» قالوا : لا نسمي الطائع طائعا ولا العاصي عاصيا لانا لا ندري ماله عند الله ٠

«والشاكية» قالوا : ان الطاعات ليست من الايمان ٠

«والبيهسية» (١) قالوا : الايمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر ٠
«والمنقوصية» قالوا : الايمان لا يزيد ولا ينقص ٠
«والمستثنية» نفوا الاستثناء في الايمان ٠
«والمشبهة» يقولون لله بصر كبصري ويد كيدي ٠
«والحشوية» جعلوا حكم الاحاديث كلها واحدا ، فعندهم ان تارك النفل كتارك الفرض ٠

«والظاهرية» (٢) وهم الذين نفوا القياس ٠
«والبدعية» أول من ابتدع الاحداث في هذه الامة ٠
وانقسمت **الرافضة** اثنتي عشرة فرقة :
«العلوية» قالوا : ان الرسالة كانت الى علي وان جبريل أخطأ ٠
«والامرية» قالوا : ان عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم في أمره ٠
«والشيعية» قالوا : ان عليا رضي الله عنه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده ، وأن الامة كفرت بمبايعة غيره ٠
«والاسحاقية» قالوا : ان النبوة متصلة الى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي ٠

---

(١) نسبة الى بيهس بن الهيصم ٠

(٢) أصحاب الامام المجتهد داود بن علي الظاهري ، ولد بالكوفة سنة مائتين ، ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين ، وهو من أئمة أهل السنة ٠

«والناووسية» قالوا : ان عليا أفضل الامة فمن فضل غيره عليه فقد كفر .

«والامامية» قالوا : لا يمكن ان تكون الدنيا بغير امام من ولد الحسين ، وان الامام يعلمه جبرائيل فاذا مات بدل مكانه مثله .

«واليزيدية» قالوا : ان ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات ، فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم .

«والعباسية» زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره .

« والمتناسخة » قالوا : ان الارواح تتناسخ فمن كان محسنا خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ، ومن كان مسيئا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه .

«والرجعية» زعموا أن عليا واصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من اعدائهم .

«واللاعنية» الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم .

«والمتربصة» تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر رجلا ينسبون الامر اليه ، يزعمون أنه مهدي هذه الامة فاذا مات نصبوا رجلا آخر .

وانقسمت **الجبرية** اثنتي عشرة فرقة فمنهم :

«المضطربة» قالوا : لا فعل للآدمي بل الله عز وجل يفعل الكل .

«والافعالية» قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وانما نحن كالبهائم نقاد بالحبل .

«والمفروغية» قالوا : كل الاشياء قد خلقت والان لا يخلق شيء .

«والنجارية» (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم .

«والمتانية» قالوا : عليك بما يخطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير .

«والكسبية» قالوا : لا يكسب العبد ثوابا ولا عقابا .

«والسابقية» قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فان السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بره .

---

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار ، واكثر معتزلة الري وحواليها على مذهبه .

«والحبية» قالوا : من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الاركان والقيام بها .

«والخوفية» قالوا : ان من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لان الحبيب لا يخاف حبيبه .

«والفكرية» قالوا : ان من ازداد علما سقط عنه بقدر ذلك من العبادة .

«والخسية» قالوا : الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثـــهم أبوهم آدم .

«والمعية» قالوا : منا الفعل ولنا الاستـطاعة .

الباب الثالث
في التحذير من فتن ابليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه • ووضع الغضب ليدفع به ما يؤذيه • وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب • وخلق الشيطان محرضا له على الاسراف في اجتلابه واجتنابه • فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان (١) عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام ، وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم • وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون» (البقرة : ١٢٨ ـ ١٦٩) وقال : تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » (البقرة : ٢٦٨) وقال تعالى : « ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالا بعيدا » (النساء : ٦٠) وقال : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (المائدة : ٩١) وقال تعالى : « انه عدو مضل مبين » (القصص: ١٥) وقال : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » (فاطر : ٦) وقال تعالى : « ولا يغرنكم بالله الغرور » (لقمان : ٣٣) وقال تعالى : « ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين » (يس : ٦٠) وفي القرآن من هذا كثير •

(فصل)

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغي أن تعلم أن ابليس الذي شغله التلبيس أول ما التبس عليه الامر فأعرض عن النص الصريح على السجود ، فأخذ يفاضل بين الاصول فقال : خلقتني من نار وخلقته من طين • ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال « أرأيتك هذا الذي كرمت علي » (الاسراء : ٦٢) • والمعنى أخبرني لم كرمته علي ؟ غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة • ثم أتبع ذلك بالكبر فقال : « أنا خير منه » ، ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب •

فمتى سول للانسان أمرا فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر ، وليقل له حين أمره اياه بالسوء : انما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغي شهوتي • وكيف

يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه • ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما في لقولك منفذ ، فلا يبقى الا أنه يستعين بالنفس لانه يحث على هواها ، فليستحضر العقل الى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مددتوفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس •

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، نا عاصم بن الحسن ، نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين بن اسماعيل ، ثنا زكريا بن يحي ، ثنا شامة بن سوار ، ثني المغيرة ، عن مطرف بن الشخير ، عن عياض بن حمار ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ان الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، ان كل مال نحلته عبدي فهو له حلال •واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم • وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا • وان الله تعالى نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب » •

أخبرنا ابن الحصين ، قال : أخبرنا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا يحي بن سعيد ، ثنا هشام ، ثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار، ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته : « ان ربي ••• » الى آخر الحديث المتقدم (١) •

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا أبو معاوية ، ثنا الاعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ـ أو قال : فيلتزمه ـ ويقول : نعم أنت»(١) • وبه قال أحمد •

وحدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه يرفعه ، قال : «ان ابليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش (٢)

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» •

(٢) أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن •

بينهم • قال : المصنف : انفرد به البخاري ، والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه (١) ، : « قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب » •

أنبأنا اسماعيل السمرقندي ، نا عاصم بن الحسن ، نا ابن بشران ، نا ابن صفوان ، نا أبو بكر القرشي ، ثني الحسين بن السكن ، ثنا المعلى بن أسد، ثني عدي بن أبي عمارة ، ثنا زياد النميري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه • قال : « ان الشيطان واضع خطمه (٢) على قلب ابن آدم ، فان ذكر الله خنس ، وان نسى الله التقم قلبه » (٣) •

أخبرنا محمد بن أبي منصور ، نا عبد القادر ، نا الحسن بن علي التميمي، نا أبو بكر ابن ملك ، ثنا عبدالله بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا عبدالرحمن ، عن حماد ابن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود رضي الله عنه • قال : «ان الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فاتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا ، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا» • قال عبدالله : وحدثني علي بن مسلم ، ثنا سيار ، ثنا حبان الحريري ، ثنا سويد القناوي ، عن قتادة رضي الله عنه ، قال : «ان لابليس شيطانا يقال له قبقب يجمه (٤) أربعين سنة فاذا دخل الغلام في هذا الطريق قال له : دونك انما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه » •

قال سيار : وحدثنا جعفر ، ثنا ثابت البناني رضي الله عنه • قال : بلغنا أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق (٥) من كل شيء • فقال يحيى : يا ابليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم ، قال : فهل لي فيها من شيء ؟: قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر • قال : فهل غير ذلك ؟ قال : لا والله • قال لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا • قال ابليس : ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا • قال عبد الله بن أحمد : ثنا

---

(١) أي حديث مسلم ولم يخرجه البخاري •

(٢) الخطم من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الانف والفم •

(٣) وعدي بن أبي عمارة ضعيف كما قال الهيثمي •

(٤) أي يتركه حتى يستريح ويقوى •

(٥) المعلاق : كل ما يعلق به •

أبى ، ثنا وكيع ، ثنا الاعمش ، عن خيثمة ،عن الحارث بن قيس رضى الله عنه • قال : « اذا أتاك الشيطان وانت تصلى فقال انك ترائى فزدها طولا » •

أنبأنا اسماعيل السمرقندي ، نا عاصم بن الحسن ، نا علي بن محمد ، نا أبو علي بن صفوان ، نا أبو بكر بن عبيد ، نا عبد الرحمن بن يونس ، نا سفيان بن عيينة • قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر ، سمع عبيد ابن رفاعه يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم يقول « كان راهب فى بنى اسرائيل ، فأخذ الشيطان جارية فخنقها ، وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب • فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها ، فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده ، فأتاه الشيطان فسول له ايقاع الفعل بها فأحبلها — ثم أتاه فقال له : الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها ، فان أتوك فقل : ماتت • فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها • فأتاه أهلها يسألونه عنها • فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان • فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها ، وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها ، وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنج ، اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال عز وجل : « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين » (الحشر : ١٦) (١) •

وقد روي هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضي الله عنه « ان عابدا كان في بني اسرائيل — وكان من أعبد أهل زمانه — وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت وكانت بكرا ليس لهم أخت غيرها • فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها • قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني اسرائيل ،وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه ان يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره الى أن يرجعوا من غزاتهم • فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم ،قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال : انزلوها في بيت حذاء صومعتى • قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ، ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ، ثم يغلق بابه ويصعد الى صومعته ، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام ،قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في

---

(١) والحديث مرسل لابن عبيد تابعي •

الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجرا قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زمانا • ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والاجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشي اليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لاجرك • قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه في بيتها ،فلبث على ذلك زمانا • ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك ، فانها قد استوحشت وحشة شديدة• قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته ، قال :ثم أتاه ابليس بعد ذلك ، فقال: لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها • فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها • قال : فلبثا زمانا يتحدثان• ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها •فلم يزل به حتى فعل ، قال : فلبثا زمانا • ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وفيما له عندالله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها• وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل ، فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حينا • ثم جاءه ابليس فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لاحد كان أحسن بك • فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته • قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها • فلم يزل به ابليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما ، فجاء ابليس فقال : أرأيت ان جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة أخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها • ففعل فقال له : أتراها تكتم أخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها • قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها ، وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد الى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل اخوتها من الغزو ، فجاؤوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها • وقال : كانت

خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه • فأتى اخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا الى أهاليهم • فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان • وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعا • وأتى الاوسط في منامه فقال له مثل ذلك • ثم أتى أصغرهم ، فقال له مثل ذلك • فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم • فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى • فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتي الى هذا المكان فأنظر فيه • قال: فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة ،كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما • فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب ،فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له: قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فان أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه • قال :فكفر العابد ، فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال :ففيه نزلت هذه الآية « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك الى قوله جزاء الظالمين » وقد تقدم ذكرها •

أخبرنا محمد بن ابي القاسم ، نا أحمد بن أحمد ، نا أبو نعيم ، نا أبو بكر الآجري ، ثنا عبد الله بن محمد العطيني ، ثنا ابراهيم بن الجنيد ، ثني محمد بن الحسين ، ثنا بشر بن محمد بن أبان ، ثني الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشي عن وهب بن منبه رضي الله عنه• قال : كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراده ابليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة (١) فلم يقدر عليه • فأتاه متشبها بالمسيح • فناداه : أيها الراهب أشرف علي أكلمك•

---

(١) أي نوع له الاساليب •

قال : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري فقال :اشرف علي فـأنا المسيح فقال :ان كنت المسيح فما لي اليك حاجة أنست قد أمرتنا بالعبـادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك فانطلق اللعين عنه وتركه ٠

أنبأنا اسماعيل بن أحمد ، نا عاصم بن الحسن ، نا علي بن محمد بن بشران نا أبو علي البردعي ، ثنا أبو بكر القرشي ، ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشي ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عمرو بن دينار ،ثنا سالم بن عبد الله رضي الله عنه ، عن أبيه ، قال :لما ركب نوح عليه السلام في السفينـة رأى فيها شيخا لم يعرفه، فقال له نوح :ما أدخلك ؟ قال : دخلت لاصيب قلـوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام :اخرج يا عدو الله ، فقال ابليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثـلاث ولا أحدثك بالثنتين ، فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه الصلاة والسلام انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين ، فقال : بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان الحسد (١) والحرص (٢) فبالحسد لعنت وجعلت شيطانـا رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة٠ قال : ولقي ابليس موسى عليه السلام ، فقال : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريـد أن أتوب فاشفع لي الى ربي عز وجل أن يتوب علي ٠ فدعا موسى ربه ، فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك ، فلقي موسـى ابليس ، فقال له : قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب، وقال : لم أسجد له حيـا أأسجد له ميتا ثم قال ابليس : يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن ، اذكرني حين تغضب فأنا وحي في قلبـك وعيني في عينك ، وأجرى منك مجرى الدم ٠ واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره وله وزوجته وأهله حتى يولى ٠ واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها ٠

قال القرشي : وحدثنا أبو حفص الصفار ، ثنا جعفر ابن سليمان ، ثنـا شعبة عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ،قال « ما بعـث الله نبيا الا لم يأمن ابليس أن يهلكه بالنساء »٠قال القرشي : وثني القاسـم بن هاشم عن ابراهيم بن الاشعث ، عن فضيل بن عياض ، قال : حدثنى بعض

---

(١) الحسد أن يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ٠

(٢) الحرص شدة الارادة والشره الى المطلوب ٠

أشياخنا ان ابليس لعنه الله جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى ، فقال له الملك: ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه • قال : أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة • قال القرشي : وثنا أحمد بن عبد الاعلى الشيباني ، ثنا فرج ابن فضالة ، عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه ، قال : بينما موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه اذ أقبل ابليس وعليه برنس (١) له يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى • فقال له موسى عليه السلام من أنت ؟قال : أنا ابليس •قال : فلا حياك الله ،ما جاء بك ؟قال: جئت لاسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه، قال : فما الذي رأيته عليك ؟ قال : به اختطف قلوب بني آدم •قال : فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه ،قال : اذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله ، ونسي ذنوبه ، وأحذرك ثلاثا :

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط ، فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها •

ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ، فانه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به •

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها ، فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين اخراجها • ثم ولى وهو يقول : يا ويله ثلاثا علم موسى ما يحذر به بني آدم •

قال القرشي : وحدثني محمد بن ادريس ، ثنا أحمد بن يونس ، ثنا حسن ابن صالح، قال : سمعت ان الشيطان قال للمرأة : انت نصف جندي وانت سهمي الذي أرمي به فلا أخطىء ، وأنت موضع سري ، وأنت رسولي في حاجتي •

قال القرشي : وحدثنا اسحاق ابن ابراهيم ، ثني هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل ابن أخي وهب بن منبه، قال:سمعت وهبا يقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له : أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم ؟ قال الحدة (٢) ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة•

---

(١) البرنس : هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة أو غيرهما •

(١) الحدة ما يعتري الانسان من الغضب •

قال القرشي : وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت رضي الله عنه ،قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعل ابليس لعنه الله يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم : مالكم لا تصيبون منهم شيئافقالوا: ما صحبنا صبحنا قوما مثل هؤلاء ، فقال : رويدا بهم فعسى ان تفتح لهم الدنيا هنالك تصيبون حاجتكم منهم ٠

قال القرشي : وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي ، نا ابن المبارك ،نا سفيان عن عطاء بن السائب ،عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن أبى موسى ، قال : اذا أصبح ابليس بث جنوده في الارض ، فيقول : من أضل مسلما ألبسته التاج٠ فيقول له القائل : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال : يوشك ان يتزوج ٠ ويقول آخر : لم ازل بفلان حتى عق قال : يوشك أن يبر ٠ ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى زنى ٠ قال : أنت ٠ ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال :أنت ٠ قال : ويقول آخر :لم أزل بفلان حتى قتل فيقول: أنت أنت ٠

قال القرشي : وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل ، فقال : لاقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضبا لله ، فلقيه ابليس في صورة انسان ، فقال: ما تريد ؟ قال :أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله ، قال :اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟قال: لاقطعنها ٠ فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا اصبحت عند وسادتك٠ قال: فمن اين لى ذلك ؟قال: أنا لك٠ فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئا ، فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته ، وقال : ما تريد ؟قال : أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى ٠ قال : كذبت مالك الى ذلك من سبيل ، فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتى كاد يقتله ، قال : أتدري من أنا ؟أنا الشيطان جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لى عليك سبيل ، فخدعتك بالدينارين فتركتها ، فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك ٠

قال القرشي : وحدثنا بشر بن الوليد الكندي ، ثنا محمد بن طلحة ، عن زيد بن مجاهد ، قال : لابليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ٠ ثم سماهم : فذكر ثبر،والاعور، ومسوط، وداسم، وزكنبورة

فأما ثبر فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبورة وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية. وأما الاعور فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه. وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل الى القوم ،فيقول لهم : قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا . وأما داسم فهو الذي يدخل مع الرجل الى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم . وأما زكنبور فهو صاحب السوق الذى يركز رايته في السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم ،نا أحمد بن أحمد ،نا أبو نعيم ، ثنا ابراهيم بن عبد الله ، ثنا محمد بن اسحاق ،ثنااسماعيل بن أبى الحارث،ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين ، قال : ما ندب الله العباد الى شىء الا اعترض فيه ابليس بامرين ما يبالي بأيهما ظفر اما غلو فيه واما تقصير عنه . وبالاسناد قال محمد بن اسحاق : ونا قتيبة بن سعيد ، ثنا ابن لهيعة ،عن أبي قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : ان ابليس موثق في الارض السفلى فاذا هو تحرك كان كل شر في الارض بين اثنين فصاعدا من تحركه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قلت: وفتن الشيطان ومكايده كثيرة وسيأتى فى غضون هذا الكتاب ، منها ما يليق بكل موضع منه ان شاء الله تعالى ، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة . فان من يدع الى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها ، ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا فاذا رأت الملائكة مؤمنا قد مات على الايمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن ابي منصور ، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن علي التميمى ،ثنا ابو بكر بن حمدان ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى ابن سريج قال : ثنا عتبة بن عبد الواحد ، عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع ، قال : اذا عرج بروح المؤمن الى السماء ،قالت الملائكة : سبحان الله الذي نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا .

ذكر الاعلام بأن مع كل انسان شيطانا

أخبرنا أبو الحصين الشيباني ، نا أبو علي المذهب ، نا أبو بكر بنحمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثني أبي ، ثنا هرون ، ثنا عبد الله بن وهب

أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ،فقال : « مالك يا عائشة أغرت ؟ (١) فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ، فقال : أو قد جاءك شيطانك ، قالت : يا رسول الله أو معي شيطان ؟قال : نعم ،قلت: ومع كل انسان ؟ قال: نعم ،قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي عز وجل اعانني عليه حتى أسلم » انفرد به مسلم • ويجيء بلفظ آخر « أعانني عليه فأسلم » • قال الخطابي : عامة الرواة يقولون فأسلم على مذهب الفعل الماضى الاسفيان ابن عيينة فانه يقول :فأسلم من شره، وكان يقول الشيطان لايسلم• قال الشيخ :وقول ابن عيينة حسن ،وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان ، الا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ماأخبرنا به ابن الحصين ،نا ابن المذهب ، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي، ثنا يحيى، عن سفيان ، ثني منصور ،عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبيه ، عن ابن مسعود يرفعه «ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياي، ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرني الا بحق » وفي رواية « فلا يأمرني الا بخير »• قال الشيخ : انفرد به مسلم • واسم أبي الجعد رافع ، وظاهره اسلام الشياطين ويحتمل القول الآخر •

بيان ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي ، نا أحمد بن جعفر ، نا عبدالله بن أحمد، ثنى أبى، ثنى عبد الرزاق، ثنامعمر، عن الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن صفية بنت حيي زوج النبي، قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ، ثم قمت لانقلب ، فقام معي ليقلبنى (٢) ــ وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ــ ،فمر رجلان من الانصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما انها صفية بنت حيي ،فقالا : سبحان الله يا رسول الله !! قال : ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، واني خشيت ان يقذف فى قلوبكما شرا أو قال شيئا » «الحديث فى الصحيحين» • قال

---

(١) وهي الحمية والانفة وكراهة شركة الغير في الحق •

(٢) ليقلبني بفتح الياء أي ليردني الى منزلي •

الخطابي : وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الانسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب • ويحكى في هذا عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال : خاف النبى صلى الله عليه وسلم أن يقع في قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وانما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه •

ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم (١)

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله • قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (النحل : ٩٨) وعند السحر • فقال : « قل أعوذ برب الفلق» الى آخر السورة • فاذا أمر بالتحرز من شره في هذين الامرين فكيف في غيرهما •

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي ، نا أحمد بن جعفر ، نا عبد الله بن أحمد ،ثنا أبي، ثنا سيار (٢) ،ثنا جعفر ، ثنا أبو التياح، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنيش: أدركت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال :نعم قلت : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : ان الشياطين تحدرت (٣) تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم • فهبط اليه جبريل عليه السلام، فقال : يا محمد قل : قال ما اقول ؟ قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى •

أنبأنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي ، نا عاصم بن الحسن ، نا أبوالحسين بن بشران ، نا ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي، حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك ، عن الضحاك بن عثمان ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة رضى اللهعنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :« ان الشيطان

---

(١) التعوذ : التحصن والاعتصام والالتجاء ،والمعوذتان عوذتا قارئهما اي عصمتاهمن كل سوء•

(٢) وهو ابن حاتم العنزي ، قال في «التقريب» : صدوق له أوهام •

(٣) من الحدور اي تنزلت •

يأتي احدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى • فيقول : فمن خلق الله ؟ فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه (١) •

قال القرشي : ثنا هناد بن السري ، ثنا أبو الاحوص ، عن عطاء بن السائب عن مرة الهمذاني، عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه قال : «ان للشيطان لمة (٢) بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب الحق ، وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » الآية (البقرة : ٢٦٨) (٣) •

قال الشيخ رحمه الله : وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود •

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي، ثنا عبد الرزاق ، نا سفيان ، عن منصور ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول : اعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ، ثم يقول : هكذا كان أبى ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق » أخرجاه في «الصحيحين» • قال أبو بكر ابن الانباري : الهامة واحد الهوام ، ويقال : هي كل نسمة تهم بسوء ، واللامة الملمة، وانما قال : لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا ابراهيم بن عمر البرمكي ، نا أبو الحسين عبد الله بن ابراهيم الزينبي ، ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا فضيل بن عبد الوهاب ، ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت ، قال : قال مطرف : نظرت فاذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عزوجل وبين ابليس فان شاء أن يعصمه عصمه وان تركه ذهب به ابليس •

---

(١) ورواه مسلم عن أبي هريرة نحوه •

(٢) اللمة : الهمة والخطرة تقع في القلب ، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان •

(٣) والحديث رواه الترمذي والنسائي وابن حبان، قال الترمذي : حسن غريب لا نعلمه مرفوعا الا من حديث أبي الاحوص • قلت : وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط كما في « التقريب » •

وحكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان اذا سول لك انخطايا ؟ قال : أجاهده • قال : فان عاد • قال : أجاهده، قال : فان عاد قال : اجاهده • قال : هذا يطول ، أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ، قال : أكابده وأرده جهدي • قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك •

قال الشيخ رحمه الله : واعلم أن مثل ابليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب فقال له : اخسأ ، فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخسأه (١) لم يبرح ،فالاول مثل المتقى يمر بهالشيطان فيكفيه في طرده الذكر ، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشيطان •

الباب الرابع

في معنى التلبيس والغرور

قال المصنف : التلبيس اظهار الباطل في صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحا والرديء جيدا ، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك • وانما يدخل ابليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ، ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم • واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب وفيه ثلم (٢) ، وساكنه العقل والملائكة تتردد الى ذلك الحصن ، والى جانبه ربض (٣) فيه الهوىوالشياطين تختلف الى ذلك الربض من غير مانع • والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم • فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم ،وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة ، فان العدو ما يفتر • قال رجل للحسن البصري : أينام ابليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة •وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به ،فأول ما يفعل الشيطان في الربض اكثار الدخان فتسود حيطان

---

(١) أي طرده •

(٢) الثلم : جمع ثلمة كغرفة وغرف، وهي في الاصل موضع الكسر من القدح •

(٣) الربض بفتحتين : المكان الذي يؤوى اليه •

الحصن وتصدأ المرآة ، وكمال الفكر يرد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث (١) وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدري بـه ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه في الشر ٠

قال بعض السلف : رأيت الشيطان ، فقال لي : قد كنت ألقى للنـاس فأعلمهم ، فصرت ألقاهم فأتعلم منهم ، وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر اليها فيستأسره ،وأقوى القيد الذى يوثق به الاسرى الجهل ، وأوسطه فى القوةالهوى، وأضعفهالغفلة٠ وما دام ذرع الايمان على المؤمن فان نيل العدو لا يقع فى مقتل ٠

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا أحمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ،نـا أبومحمد بن حيان،ثنا احمد بن محمد بن يعقوب ثنامحمدبن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدي ، قال : سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : ان الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير يريد به بابا من الشر ٠ أنبأنا علي بن عبد الله ، نا محمد بن محمد النديم ، نا عمي عبد الواحد بـن أحمد ، ثني أبي أحمد بن الحسين العدل ، ثنا ابو جعفر محمد بن صالح ، ثنا حيان بن الفلس الجماني ،ثنا حماد بن شعيب ، عن الاعمش ، قال : حدثنـا رجل كان يكلم الجن ، قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما اصحاب الاهواء فانا نلعب بهم لعبا ٠

الباب الخامس

فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات

ذكر تلبيسه على السوفسطائية (٢)

قـال الشيخ : هؤلاء قوم ينسبون الى رجل يقال له سوفسطا ، زعـموا

---

(١) عاث يعيث عيثا : أفسد ٠

(٢) اعلم ان السوفسطائية ثلاثة مذاهب : الاول ينكر حقائق الاشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية والثاني ينكر العلم بثبوت الشىء ولا بعدم ثبوته ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك في أنه شاك وهم اللا أدرية والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهي مذكورة في كلام المصنف على هذا الترتيب ٠

ان الاشياء لا حقيقة لها وان ما يستبعده يجوز ان يكون على ما نشاهده • ويجوز ان يكون على غير ما نشاهده • وقد أورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة ام لا ، فان قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز ان تدعو الى ما لا حقيقة له فكأنكم تقرون بهذا القول انه لا يحل قبول قولكم ، وان قلتم لها حقيقة فقد تركتم مذهبكم • وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب «الآراء والديانات» فقال : رأيت كثيرا من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطا بينا ، لانهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم ، وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة فكيف تكلم من يقول لا أدرى ايكلمنى أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدرى أموجود هو أم معدوم ؟ وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الابانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال : ثم انه انما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل ما يقر سببا الى تصحيح ما يجحده ، فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة ، قال الشيخ : وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء ابن عقيل فقال : ان أقواما قالوا: كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن المعقول الى المحسوس ، ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب ، وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن ، ولا ينبغى أن يؤيس من معالجة هؤلاء فان ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغى أن يضيق عطننا عن معالجتهم ، فانهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم الا كرجل رزق ولدا أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين ، حتى انه لم يشك أن فى السماء قمرين ، فقال له أبوه القمر واحد وانما السوء فى عينيك ، غض عينك الحولاء وانظر ، فلما فعل قال أرى قمرا واحدا لانى عصبت احدى عينى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية فقال له أبوه ان كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قمرين • فعلم صحة ما قال أبوه * •

أنبأنا محمد بن ناصر ، نا الحسن بن أحمد بن البنا ، ثنا ابن دودان ، نا أبو عبدالله المرزنانى ، ثنى أبو عبدالله الحكيمى ، ثنى يموت بن المزرع، ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبدالقدوس فمضى اليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له ، فرآه منحرفا فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع• فقال له صالح : يا أبا الهذيل : انما أجزع عليه ، لانه لم يقرأ كتاب

الشكوك • فقال له أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك قال : هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان • فقال له النظام : فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت ، وان كان قد مات فشك أيضا فى أنه قد قرأ الكتاب وان كان لم يقرأه * وحكى أبوالقاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف الى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها فرجع اليه فقال : سرقت دابتي ، فقال : ويحك لعلك لم تأت راكبا ، قال : بلى ، قال : فكر ، قال هذا أمر أتيقنه ، فجعل يقول له : تذكر • فقال : ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أننى جئت راكبا • قال : فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء وان حال اليقظان كحال النائم ، فوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه •

فصل

قال النوبختى : قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للاشياء حقيقة واحدة في نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها ، فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مرا ، ويجده غيره حلوا • قالوا : وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه • واللون جسم عند من اعتقده جسما وعرض عند من اعتقده عرضا • قالوا : فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الامر على وجود من يعتقد • وهؤلاء من جنس السوفسطائية ، فيقال لهم : أقولكم صحيح ؟ فسيقولون : هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا • قلنا : دعواكم صحة قولكم مردودة ، واقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ، ومن شهد عليكم مذهبه ، ومما يقال لهم : أتثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فان قالوا : لا ، لحقوا بالاولين وان قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الاولين •

فصل

قال النوبختى : ومن هؤلاء من قال ان العالم فى ذوب وسيلان ، قالوا : ولا يمكن الانسان أن يتفكر في الشىء الواحد مرتين ، لتغير الاشياء دائما • فيقال لهم : كيف علم هذا وقد انكرتم ثبوت ما يوجب العلم ، وربما كان احدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه •

قال المصنف : قد أوهم ابليس خلقا كثيرا أنه لا اله ولا صانع · وأن هذه الاشياء كانت بلا مكون · وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه · وهل يشك ذو عقل في وجود صانع ؟ فأن الانسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطا مبنيا علم أنه لا بد له من بان بناه · فهذا المهاد(١) الموضوع ، وهذا السقف المرفوع(٢) وهذه الابنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة ، أما تدل على صانع ؟ وما أحسن ما قال بعض العرب : ان البعرة تدل على البعير · فهيكل علوى بهــذه اللطافة ، ومركز سفلى بهذه الكثافة ، أما يدلان على اللطيف الخبير ؟ ثم لو تأمل الانسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا · فان في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب · ومن تأمل تحديد(٣) الاسنان لتقطع، وتفريض(٤) الاضراس لتطحن ، واللسان يقلب الممضوغ ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ، ثم ينفذ الى جارحة قدر ما تحتاج اليه من الغذاء · وهذه الاصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح ، فيمكن العمل بها · ولم تجوف لكثرة عملها اذ لو جوفت لصدمها الشيء القوى فكندها(٥) · وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى اذا ضمت· وأخفى في البدن ما فيه قوامه وهى النفس التى اذا ذهبت فسد العــقل الذى يرشد الى المصالح · وكل شيء من هذه الاشياء ينادى أفي الله شك· وانما يخبط الجاحد لانه طلبه من حيث الحس · ومن الناس من جحده لانه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود · ولو أعمل هذا فكره لعلم ان لنا أشياء لا تـدرك الا جملــة كالنفس والعقل · ولم يمتنع أحد من اثبات وجودهما · وهل الغاية الا اثبات الخلق جملة ؟ وكيف يقال : كيف هو أو ما هو ولا كيفية لــه ولا ماهية · ومن الادلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنــه يخلو من الحوادث · وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه · وللملـحـدين اعتـــراض يتطاولون به على قولنا لا بد للمصنعة من صانع فيقولون : انما تعلقتم في

(١) أي الارض · (٢) أي السماء ·
(٣) حد السكين : اذا شحذها ·
(٤) فرض الخشبة : حزها ·
(٥) كند الشيء : قطعه ·

هذا بالشاهد واليه نقاضيكم ، فنقول : كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها ، كالخشب لصورة الباب ، والحديد لصورة الفأس • قالوا : فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم • فالجواب انه لا حاجة بنا الى مادة بل نقول : ان الصانع اخترع الاشياء اختراعا فانا نعلم أن الصورة والاشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة • وقد اخترعها ولا بد لها من مصور ، فقد أريناكم صورة وهى شىء جاءت لا من شىء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع •

ذكر تلبيسه على الطبائعيين (١)

قال المصنف : لما رأى ابليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون المعقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع ، حسن لاقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة ، وقال : ما من شيء يخلق الا من اجتماع الطبائع الاربع فيه ، فدل على انها الفاعلة • وجواب هذا نقول : اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها • ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل الا باجتماعها وامتزاجها ، وذلك يخالف طبيعتها فدل على أنها مقهورة • وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون الا من عالم حكيم ، فكيف يفعل من ليس عالما وليس قادرا ؟ فان قالوا : ولو كان الفاعل حكيما لم يقع في بنائه خلل ، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع ، قلنا : ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الامور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع ، فأما الخلل المشار اليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة أو في طيه منافع لا نعلمها • ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة (٢) وتنشف البرة (٣) وتيبسها ولو فعلت طبعا لايبست الكل أو رطبته ، فلم يبق الا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار والنضج في هذه للتناول ، والعجب ان الذي أوصل اليها اليبس في أكنة (٤) لا يلقى جرمها والذي رطبها يلقى جرمها • ثم انها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب ، والماء واحد • وقد اشار المولى هذا بقوله : (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) ــ الرعد : ٤ •

(١) الطبائعيين نسبة الى الطبائع الاربعة وهي التراب والماء والنار والهواء ويعتقدون انها أصول كل شيء • (٢) الخلالة : ما تخلل به الاسنان •

(٣) اى القمحة • (٤) الاكنة الاغطية واحد الاكنان •

وهم قوم قالوا : صانع العالم اثنان • ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ومن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين • وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير • فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة ، منها الخير واللذة والسرور والصلاح ، وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر • وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ، ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد • كذا حكاه النوبختي عنهم ، قال : وزعم بعضهم ان النور لم يزل فوق الظلمة • وقال بعضهم : بل كل واحد الى جانب الاخر • وقال اكثرهم : النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب ، ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه • قال النوبختي : وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، اربعة منها أبدان وخامس هو الروح • وأبدان النور اربعة • النار والريح والتراب والماء • وروحه الشبح ولم تزل تتحرك في هذه الابدان • وأبدان الظلمة أربعة : الحريق والظلمة والسموم والضباب ، وروحها الدخان • وسموا أبدان النور ملائكة • وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت • وبعضهم يقول : الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة ، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه • وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة ، وملاهب سخيفة ، فمنها أنه فرض عليهم الا يدخرون الا قوت يوم• بعضهم : على الانسان صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر وعبادة الاوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذي ذا روح ، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة • وذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوما منهم يقال لهم : «الديصانية» زعموا ان طينة(١) العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكي جسم الباري الذي هو النور زمانا ، فتأذى بها • فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النوري والظلمي • فما كان من جهة الصلاح فمن النور ، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة • وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم، ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة • مذاهب سخيفة ، والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في

---

(١) وفي نسخة طبيعة العالم ولعله تصحيف •

العالم شرا واختلافا فقالوا : لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان ، كما لا يكون من النار التبريد والتسخين • وقد رد العلماء عليهم في قولهم أن الصانع اثنان ، فقالوا : لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والاخر عاجز ، لا يجوز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالوهية ، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزا ، فبقى أن يقال هما قادران • فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الاخر فيها تسكينه • ومن المحال وجود ما يريدانه ، فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الاخر • وردوا عليهم في قولهم : ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر • فانه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ، ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء فان مذاهبهم خرافات •

ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم

انما تمكن ابليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم ، وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات الى الانبياء • فمنهم من قال بقول الدهرية ان لا صانع للعالم ، حكاه النوبختي وغيره عنهم• وحكى النهاوندي أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الارض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الارض وأنهارا وأشجارا وأنكروا الصانع • وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم وأنه لم يـــزل موجودا مع الله تعالى ومعلولا له ومساويا غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان • فيقال لهم : لم أنكرتم أن يكون العالم حادثا بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ؟ فان قالوا : فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان • قلنا : الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان • ثم يقال لهم : كان الحق سبحانه قادرا على أن يجعل سمك الفلك الاعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع ، فان قالوا : لا يمكن ، فهو تعجيز • ولان ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن والواجب يستغني عن علة • وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا : الله عز وجل صانع العالم وهذا تجوز عندهم لا حقيقة • لان الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضروريا لا أن الله فعله • ومن مذاهبهم أن العالم باق أبدا كما لا بداية لوجوده فلا نهاية • قالوا : لانه معلول علة قديمة ، وكان المعلول مع العلة ، متى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديما ولا معلولا • وقد قال جالينوس : لو كانت

الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول (١) في هذه المدة الطويلة • فيقال له : قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ، ثم من أين له أنها لا تذبل فانها عندهم بمقدار الارض مائة وسبعين (٢) مرة أو نحو ذلك ، فلو نقص منهـــا مقدار جبل لم يبن ذلك للحس • ثم نحن نعلم ان الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما وانما الايجاد والاعدام بارادة القادر ، والقادر لا يتغير في نفسه ولا تحدث له صفة وانما يتغير الفعـــل بارادة قديمة •

فصـــل

وحكى النوبختي في كتاب «الاراء والديانات» أن سقراط كان يزعم أن أصول الاشياء ثلاثة : علة فاعلة ، والعنصر ، والصورة • قال : والله تعـالى هو الفعال (٣) والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد • والصورة جوهر للجسم • وقال اخر منهم : الله هو العلة الفاعلة ، والعنصر المنفعل • وقال اخر منهم : العقل رتب الاشياء هذا الترتيب • وقال اخر منهم : بل الطبيعة فعلته •

وحكي يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي أن قوما من الفلاسفة قالوا : لما شاهدنا العالم مجتمعا ومتفرقا ومتحركا وساكنا علمنا انه محدث ولا بد له من محدث • ثم رأينا أن الانسان يقع في الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه او في النار ، فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم • قال : واختلف هؤلاء في عدم هذا الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد فأهلك نفسه وخلا منه العالم ، وبقيت الاحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق • وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر فى ذات البارى ثؤول فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك الثؤول وهو العالم • وساء نور الباري وكان الباقي منه سنور • وزعموا أنه سيجذب النور من العالم اليه حتى يعود كما كان ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور •

---

(١) يقال : ذبل الشيء ضعف ، وذهبت نضارته •

(٢) هكذا كانوا يظنون •

(٣) وفي نسخة : هو العقل •

وقالت الفرقة الثالثة : بل الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم فهي من جوهر اللاهوتية • قال الشيخ رحمه الله : هذا الذي ذكره النهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ، ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره ما قد فعل ابليس في تلبيسه لكان الاولى الاضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره •

فصـــــل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة الى أن الله تعالى لا يعلم شيئا وانما يعلم نفسه، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق •

قال المصنف : وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه • فانظر الى ما زينه ابليس لهؤلاءالحمقى مع ادعائهم كمال العقل • وقد خالفهم ابو علي ابن سيناء في هذا فقال : بل يعلم نفسه • ويعلم الاشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات• وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة وكأنهم استكثروا المعلومات • فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ونؤمن بقوله «ألا يعلم من خلق» ــ الملك : ١٤) وقوله : «ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها» ــ الانعام : ٥٩ • وذهبوا الى ان علم الله وقدرته هو ذاته فرارا من ان يثبتوا قديمين • وجوابهم ان يقال انما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال •

فصـــــل

قال المصنف : وقد انكرت الفلاسفة بعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان ووجود جنة ونار جسمانيين • وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين • وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا أبدا ، اما في لذة لا توصف ، وهي الانفس الكاملة أو ألم لا يوصف ، وهي النفوس المتلوثة • وقد تتفاوت درجات الالم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الالم ويزول • فيقال لهم : نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمي عودها اعادة ، ولا أن لها نعيما وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الاجساد ؟ ولم ننكر اللذات والالام الجسمانية في الجنة والنار

وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية، واما اقامتكم الحقائق فيمقام الامثال فتحكم بلا دليل • فان قالوا : الابدان تنحل وتؤكل وتستحيل • قلنا : القدرة لا يقف بين يديها شيء • على أن الانسان انسان بنفسه ، فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو كما انه تتبدل أجزاؤه من الصغر الى الكبر وبالهزال والسمن • فان قالوا : لم يكن البدن بدنا حتى يرقى من حالة الى حالة الى أن صار لحما وعروقا • قلنا : قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد • ثم قد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن الاجسام تنبت في القبور قبل البعث • وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالباقي البزار ، نا أبو محمد الجوهري ، نا عمر بن محمد بن الزيات ، ثنا قاسم بن زكريا المطرز ، ثنا أبو كريب ، ثنا أبو معاوية ، عن الاعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بين النفختين أربعون (١) قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهرا ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ، قال : أبيت • قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال : وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا ، وهو عجب (٢) الذنب ، منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة» أخرجاه في «الصحيحين» •

فصـــل

وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم ، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة ، كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس • وهؤلاء قد كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أمورا خفية الا أنهم لما تكلموا في الالهيات خلطوا، ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات•

---

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخاري المسؤول فيها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم• ومعنى أبيت : امتنعت عن الاخبار بما لا أعلم ، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة •

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم : العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص •

وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم • وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم الا جملة والرجوع فيها الى الشرائع •

وقد حكي لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أوائك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين ، وؤهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع ، وخلعوا ربقة الاسلام • فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة في الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر في الادلة ، وهؤلاء لا مستند لكفرهم الا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء • أتراهم ما علموا أن الانبياء كانوا حكماء وزيادة • وما قد حكى لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال ، فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات ، وانما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعـوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة • وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف الا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام ، بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في انكار بعث الاجساد ، ولا يكاد يرى منهم أحد الا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه في تسخط على الاقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لي بعضهم ، أنا لا أخاصم الا من فوق الفلك ، وكان يقول أشعارا كثيرة في هذا المعنى فمنها قوله في صفة الدنيا قال :

أتراهـا صنعة من غير صانـع   أم تراهـا رمـيـة من غير رام

وقوله :

واحيرتا من وجـود مـا تقدمـه   منا اختيار ولا علـم فيـقتبس
كأنـه في عماء مـا يخلصنـا   منه ذكاء ولا عقل ولا شرس (١)
ونحن في ظلمة ما ان لها قمـر   فيها يضيء ولا شمس ولا قبس
مدنهين (٢) حيارى قـد تكنفنـا   جهل يجهمنا (٣) في وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ريب ولا عمـل   والقـول فيه كـلام كله هـوس

---

(١) أي سوء خلق •

(٢) المدله : الساهي القلب •

(٣) أي يلقي بالغلظة •

ولما كانت الفلاسفة قريبا من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مد بعض أهل ملتنا يده الى التمسك بهذه وبعضهم مد يده الى التمسك بهذه ، فترى كثيرا من الحمقى اذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا ، واذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا ، فنسأل الله ثباتا على ملتنا وسلامة من عدونا انه ولي الاجابة ·

ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون : ان لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلا أعنى جرما من الاجرام السماوية هو هيكله ، ونسبته الى الروحاني المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا ، فيكون هو مديره والمتصرف فيه · فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت · قالوا : ولا سبيل لها الى الروحاني بعينه ، فيتقرب الى هيكله بكل عبادة وقربان · وقال اخرون منهم : لكل هيكل سماوي شخص من الاشخاص السفلية على صورته وجوهره ، فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الاصنام وبنوا لها بيوتا ·

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوما قالوا : الكواكب السبعة وهي زحل، والمشترى، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ،وعطارد ، والقمر ، هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملأ الاعلى ، ونصبوا لها الاصنام على صورتها ، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان · فجعلوا لزحل جسما عظيما من الانك (١) أعمى يقرب اليه بثور حسن يؤتى به الى بيت تحته محفور وفوقه اندرابزين من حديد على تلك الحفرة ، فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ، ثم توقد تحته النار حتى يحترق · ويقول له المقربون : مقدس أنت أيها الاله الاعمى المطبوع على الشر الذي لا يفعل خيرا ، قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة ·

---

(١) الانك : الرصاص الخالص ·

ويقربون للمشتري صبيا طفلا وذلك أنهم يشترون جارية ليطأ السدنة(١) للاصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ، ويأتون بها والصبى على يدها ابن ثمانية أيام فيتحسونه بالمسال (٢) والابر وهو يبكي على يد أمه فيقولون له: أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قربانا وارزقنا خير ارواحك الخيرة ٠

ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش(٣) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلونه فى حوض عظيم ويشدون قيوده الى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتا حتى يبقى الرجل قائما فيه الى حلقه ويخلطوأن بالزيت الادوية المقوية للعصب والمعفنة للحم والجلد ،حتى اذا دار عليه الحول بعدأن يغذى بالاغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخوا(٤) عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به الى صنمهم الذي هو على صورة المريخ ، فقالوا : أيها الاله الشرير ذو الفتن والجوائح ، قربنا اليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة ٠ ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ٠

ويقربون للشمس تلك المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري ، ويطوفون بصورة الشمس ويقولون : مسبحة مهللة أنت أيتها الالهة النورانية قربنا اليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وارزقينا من خــيرك واعيذينا من شــرك ٠ ويقربون للزهرة عجوزا شمطاء ماجنة (٥) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الالهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا ٠ ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار الى أن تحترق فيحثون رمادها في وجه الصنم ٠

ويقربون لعطارد شابا أسمر حاسبا كاتبا متأدبا يأتون به بحيلة ٠ وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقــل وتخرس الانسنة فيقدمون هذا الشاب الى صنم عطارد ويقولون : أيها الرب الظريف

---

(١) السدنة جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الاصنام ٠

(٢) جمع مسلة وهي الابرة الكبيرة ٠

(٣) النمش بفتحتين : نقط بيض وسود

(٤) ملخ الشيء : جذبه ٠

(٥) أي لا تستحي من قبح القول ٠

أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ، ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم في كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده في وجهه ٠

ويقربون للقمر رجلا آدم (١) كبير الوجه ، ويقولون له : يا بريد الالهة وخفيف الاجرام العلوية ٠

ذكر تلبيسه على عباد الاصنام

قال المصنف : كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل الى الحس والاعراض عن مقتضى العقل ، ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا ابليس لعنة الله خلقا كثيرا الى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة ٠ فمنهم من حسن له أنها الالهة وحدها ، ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب الى الخالق ٠ فقالوا «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» (الزمر : ٣) ٠

بداية تلبيسه على عباد الاصنام

أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ ، نا أبوالحسين بن عبد الجبار ، نا ابو جعفر بن احمد بن السلم ، نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى، نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدالله الجوهري ، ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى ، ثنا ابو الحسن على بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرنا هشام (٢) بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرني ابي ، قال : أول ما عبدت الاصنام كان ادم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن ادم في مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه ادم بأرض الهند ، ويقال للجبل : بوذ ، وهو أخصب جبل فى الارض ٠ قال هشام : فأخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فكان بنو شيث بن ادم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد ادم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه ، فقال رجل من بني قابيل : يا بني قابيل ان لبني شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه وليس

---

(١) أسمر ٠

(٢) وهشام متروك كما قال الدارقطني ٠ وأبوه متهم بالكذب كما قال الحافظ في (التقريب)٠

لكم شيء ، فنحت لهم صنما فكان أول من عملها • قال : وأخبرني أبي أنه كان ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، قوما صالحين فماتوا في شهر فجزع عليهم أقاربهم ، فقال رجل من بني قابيل : يا قوم لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ؟ فقالوا : نعم : فنحت لهم خمسة اصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول• وعملت على عهد يزد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن ادم • ثم جاء قرن اخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الاول • ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا : ما عظم الاولون هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم ادريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس – حتى أدرك نوح فبعثه الله نبيا وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة ، فدعاهم الى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه ، فأمر الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة • وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة • فكان بين ادم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة ، فأهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها •

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهنا وكان يكنى أبا ثمامة له رئي (١) من الجن • فقال له : عجل المسير واظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت صفا جدة ، تجد فيها أصناما معدة • فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب • فأتى نهر جدة فاستثارها (٢) ثم حملها حتى ورد بها تهامة • وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات فدفع اليه ودا ، فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل ، وسمى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمى به • وجعل عوف ابنه عامرا سادنا له ، فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالاسلام •

---

(١) أى جنى يرى فيحب •
(٢) اى بحث عنها •

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودا • قال : وكان أبي يبعثني باللبن اليه ويقول : اسق الهك فأشربه • قال : ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر ، فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره ، وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له : قطن سريح فأقبلت أمه ـ وهو مقتول ـ وهي تقول :

ألا تلـك المـــودة لا تـدوم
ولا يبقى على الدهـــر النعـــيم
ولا يبقى على الحدثان عفـر(١)
لـــــه أم بشـــاهـــقة رؤوم

ثم قالت :

يا جامعا جامع الاحشاء والـكـبد
يا ليت أمك لم تولـــد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت •

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة : صف لي ودا حتى كأني أنظر اليه • قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أي نقش ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوسا وبين يديه حربـــة فيها لواء ووفضـــة (٢) فيهـــا نبل ، يعني جعبتهـــا •

قال : وأجابت عمرو بن لحي مضربن نزار فدفع الى رجل من هذيـل يقال له : الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا ، وكان بأرض يقال لها : رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر • فقال رجل من العرب :

تراهم حول قبلـــتهم عكوفـــا
كما عكفت هذيل عـــلى سواع
يظـــل حياته صرعى لديـــه
غنائم مـن ذخـــائر كـــل راع

---

(١) العفر بكسر العين وضمها : الشجاع والشديد •

(٢) الوفضة الجعبة التي تجعل فيها السهام •

وأجابته مذحج فدفع الى أنعم بن عمرو المرادي يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها ٠

وأجابته همدان فدفع الى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها : جوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن ٠

وأجابته حمير فدفع الى رجل من ذي رعين يقال له : معدى كرب نسرا ، وكان بموضع من أرض سبأ يقال له : بلخع تعبده حمير ومن والاها ٠ فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها ٠

قال ابن هشام : وحدثنا الكلبي(١) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رفعت لي النار فرأيت عمرو بن لحي قصيرا أحمر أزرق يجر قصبه في النار ٠ قلت : من هذا ؟ قيل : هذا عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين اسماعيل ودعا العرب الى عبادة الاوثان» ٠ قال هشام : وحدثني أبي وغيره أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد فكثروا حتى ملؤوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا في البلاد والتمسوا المعاش ٠ فكان الذي حملهم على عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر ابراهيم واسماعيل ، ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم ، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة ٠ وكانت نزار تقول اذا ما أهلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ٠

---

(١) وهو متهم بالكذب ٠

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة ، وكانت أم عمرو بن لحي فهيرة بنت عامر بن الحارث ، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ، ثم انه مرض مرضا شديدا فقيل له : ان بالبلقاء من أرض الشام حمة(١) ان أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الاصنام .

وكان أقدمها مناة ، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة ، وكانت العرب جميعا تعظمه والاوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبدالله بن أبي عبيدة ابن محمد بن عامر بن ياسر ، قال : كانت الاوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم ، فاذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك . وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (٢) وكانت سدنتها من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات . وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد ، وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت .

---

(١) الحمة بفتح الحاء : العين الحارة الماء يستشفي بها المرضى .

(٢) في نسخة : مربعة .

قال هشام : وحدثني أبي(١) عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد ، فقال : ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فأتاها فعضدها • فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئا • قال : لا • قال : فاعضد الثانية فأتاها فعضدها • ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم • فقال : هل رأيت شيئا ، قال : لا • قال : فاعضد الثالثة ، فأتاها فاذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها ، وخلفها دبية السلمي وكان سادنها • فقال خالـــد :

يا عز كفرانــك لا سبحانـــك
اني رأيـت الله قـد أهانـــك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حممة(٢) ، ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : «تلك العـزى ولا عزى بعدها للعرب» •

قال هشام : وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل • وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب • وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان في جوف الكعبة ، وكان قدامه سبعة أقداح(٣) مكتوب في أحدها صريح ، وفي الاخر ملصق • فاذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح ألحقوه وان خرج ملصقا دفعوه • وكانوا اذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده • وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أي علا دينك • فقال رسول الله صلى الله علـــيه وسلم لاصحـــابه : «ألا تجيبونه»(٤) •

فقالوا : وما نقول ؟ : قال : قولوا : الله أعلى وأجل » •

---

(١) وهذا الاسناد ضعيف بسبب هشام وابيه وقد مر أنهما متروكان •

(٢) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد وكل ما احترق من النار •

(٣) القدح بكسر القاف : السهم والجمع أقدح وقداح وأقداح وقدحان •

(٤) وهو حديث صحيح رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس •

وكان لهم أساف ونائلة ، قال هشام : فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس(١) أن اساف رجل من جرهم يقال له : اساف بن يعلي ونائلة بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشقها في أرض اليمن فأقبلا حجاجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا ، فأصبحـــوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما ، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب • قال هشام : لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما ، فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها • وكان أحدهما ملصقا بالكعبة والاخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقا بالكعبة الى الاخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما •

وكان من تلك الاصنام ذو الخلصة وكان مروة(٢) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة والمدينة(٣) على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير رضى الله عنه : «ألا تكفني ذا الخلصة(٤)» فوجهه اليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة •

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين • فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه •

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له : ذو الشرى •

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له : الاقيصر •

وكان لمزينة صنم يقال له : فهم ، وبه كانت تسمى عبد فهم •

وكان لعنزة صنم يقال له : سعير •

---

(١) هذه الرواية عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي وقد مر أنه متروك غير ثقة : قال أحمد بن حنبل : ما ظننت أن أحدا يحدث عنه ـ راجع ميزان الاعتدال للذهبي ٤ ـ ٣٠٤ •

(٢) المروة : حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو •

(٣) وفي نسخة واليمن قال ابن الاثير في «النهاية» تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء : بلد باليمن معروف •

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» بلفظ : ألا تريحني من ذي الخلصة •

وكان لطيء صنم يقال له : الفلس ·

وكان لاهل كل واد من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا اراد احدهم السفر كان اخر ما يصنع في منزله ان يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله ان يتمسح به · ومنهم من اتخذ بيتا ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجرا مما استحسن ثم طاف به وسموها الانصاب · وكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه ربا وجعله ثالثة الاثافي(١) لقدره ، فاذا ارتحل تركه · فاذا نزل منزلا اخر فعل مثل ذلك · ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة دخل المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية(٢) قوسه في عيونها ووجوهها، ويقول : «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» ثم امر بها فكفئت على وجوهها ، ثم اخرجت من المسجد فحرقت · وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : «في زمان يزدجرد عبدت الاصنام ورجع من رجع عن الاسلام» ·

أخبرنا اسماعيل بن أحمد ، نا عمر بن عبيد الله ، نا أبو الحسين بن بشران ، نا عثمان بن أحمد الدقاق ، ثنا جميل ، ثنا حسن بن الربيع ، ثنا مهدي بن ميمون ، قال : سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ،ولحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فاذا وجدنا حجرا هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه ، واذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به ·

أخبرنا محمد بن عبدالباقي بن أحمد ، نا احمد بن احمد الحداد ، نا ابو نعيم أحمد بن عبدالله ، ثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا أبوالعباس السراج ، ثنا احمد بن الحسن بن خراش ، ثنا مسلم بن ابراهيم ، ثنا عمارة المعولى · قال : سمعت ابا رجاء العطاردي يقول : كنا نعمد الى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه ·

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا ابو بكر ابن ثابت ، نا عبد العزيز بن علي الوراق ، نا احمد بن ابراهيم ، ثنا يوسف بن يعقوب النيسابوري ، نا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا يزيد بن هارون ، نا الحجاج بن أبى زينب ،

---

١ الاثافي جميع الاثفية : ما يوضع عليه القدر ·

٢ سية القوس بكسر السين وبالياء : ما عطف من طرفيها ·

قال : سمعت أبا عثمان النهدي ، قال : كنا في الجاهلية نعبد حجرا فسمعنا مناديا ينادي يا أهل الرحال ان ربكم قد هلك فالتمسوا لكم ربا غيره • قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب ، اذا نحن بمناد ينادي انا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر •

أنبأنا محمد بن أبى طاهر، نا أبو اسحاق البرمكى، نا أبو عمر بن حيوية، نا احمد بن معروف ،نا الحسين بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ،نا محمد بن عمرو ، ثنى الحجاج بن صفوان ، عن ابن أبى حسين،عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن عنبسة ، قال : كنت امرءا ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم آلهة فيخرج الحي منهم فيأتى بأربعة أحجار• فينصب ثلاثة لقدرته ويجعل أحسنها الها يعبد • ثم لعله يجد ما هو احسن منه قبل ان يرتحل فيتركه ويأخذ غيره •

أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك ،نا ابو الحسين بن عبد الجبار ،نا ابو الحسن العتيقي ، نا عثمان ابن عمرو بن الميثاب ، نا أبو محمد عبدالله بن سليمان الفامي ، ثني أبو الفضل محمد بن أبي هارون الوراق ، ثنا الحسن بن عبدالعزيز الجروي عن شيخ من ساكني مكة • قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والاصنام ؟ فقال : أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا : البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت • وقال أبو معشر: كان كثير من اهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة الا انهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وان الملائكة اجسام حسان وانه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناما على صورة الله سبحانه عندهم ، وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم • وقيل لبعضهم : ان الملائكة والكواكب والافلاك أقرب الاجسام الى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الاصنام •

وبنى جماعة من القدماء بيوتا كانت للاصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار • والبيت الثاني والثالث في أرض الهند • والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ • والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه • والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم •

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي : أن شريعة الهند وضعها لهم

رجل برهمي ، ووضع لهم أصنامًا وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتا بالميلتان ـ وهي مدينة من مداين السند ـ وجعل فيه صنمهم الاعظم الذي هو كصورة الهيولي الاكبر • وهذه المدينة فتحت في أيام الحجاج ، وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم : ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال • فأمر عبدالملك بن مروان بتركه ، فالهند تحج اليه من ألفي فرسخ ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة الى عشرة الاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر، ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه • فيلقيه في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم • فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين ، وثلثه لعمارة المدينة وحصونها ، وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه •

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه ، وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهمفقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » (الاعراف : ١٩٥) • وكانت الاشارة الى العباد أي أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والاصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد وهم حيوان ،فكيف عبد التام الناقص ؟ ولو تفكروا لعلموا أن الاله يصنع الاشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الاشياء به ولا يقوم بها ، وانما ينبغي للانسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه • وما خيل اليهم أن الاصنام تشفع فخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها •

ذكر تلبيسه على عابدى النـــار والشمس والقمر

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار ، وقالوا : هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ، ومن ها هنا زين عبـــادة الشمس •

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه ادم الى اليمن أتاه ابليس ، فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها • قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلغوهو صاحب المجوس فادعى آن الوحى ينزل اليه على جبل سيلان ، فدعا اهل تلك النواحى الباردة الذين لا يعرفون الا البرد وجعل الوعيد يتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث الا الى الجبال فقط • وشرع لاصحابه التوضؤ

بالابوال وغشيان الامهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة • قال : ومن قول زرادشت : كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته ابليس • فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه ، فلما رأى امتناعه ودعه الى مدة •

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدو النار لها بيوتا كثيرة • فأول من رسم لها بيتا افريدون فاتخذ لها بيتا بطرسوس واخر ببخاري ، واتخذ أها بهمن بيتا بسجستان ، واتخذ لها أبو قباذ بيتا بناحية بخاري ، وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها • وقد كان زرادشت وضع نارا زعم انها جاءت من السماء فأكلت قربانهم • وذلك أنه بنى بيتا وجعل في وسطه مرآة ولف القربان في حطب وطرح عليه الكبريت ، فلما استوت الشمس في كبد السماء قابلت كوة قد جعلها في ذلك البيت ، فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار • فقال : لا تطفؤا هذه النار •

فصل

قال المصنف : وقد حسن ابليس لعنه الله لاقوام عبادة القمر ولاخرين عبادة النجوم •قال ابن قتيبة :وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها • وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها • وقال : قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك الاوثان ، قالوا : هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله في الخلاف ، كما قالت بنو اسرائيل لمريم : يا أخت هارون أي يا شبيهة هارون في الصلاح • وهما شعريان احداهما هذه ، والشعرى الاخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينهما المجرة ـ والغميضاء من الذراع : المبسوط فى جبهة الاسد وتلك فى الجوزاء •

وزين ابليس لعنه الله لاخرين عبادة الملائكة ، وقالوا : هي بنات الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك • وزين لاخرين عبادة الخيل والبقر • وكان السامري من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا • وجاء في التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس في هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله في تدبير ما يفعل • نسأل الله السلامة في الدنيا والاخرة •

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الاصنام • ومن أقبح تلبيسة عليهم في ذلك تقليد الاباء من غير نظر في دليل كما قال الله عز وجل : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» (البقرة: ١٧٠) المعنى أتتبعونهم أيضا •

وقد لبس ابليس على طائفة منهم ، فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : «ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر » (الجاثية : ٢٤) • وعلى اخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث • وعلى اخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله • وأمال اخرين منهم الى مذهب اليهود • واخرين الى مذهب المجوس ، وكان في بني تميم منهم زرارة ابن جديس التميمي وابنه حاجب •

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والاعادة والثواب والعقاب عبدالمطلب بن هاشم ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب • وكان عبدالمطلب اذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة قال : تالله ان وراء هذه الدار لدارا يجزي فيها المحسن والمسيء • ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينتقم

ثم أسلم • ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكناني ، كان يخطب بفناء الكعبة ، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يامعشر العرب أطيعوني ترشدوا ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : انكم تفردتم بالهة شتى انى لاعلم ما اللهبكل هذا راض،وان الله رب هذه الالهة وانه ليحب أن يعبد وحده • فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه • وكان فيهم قوم يقولون : من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا ، وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي •

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وانما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الاصنام القليل ، كقس بن ساعدة وزيد ، وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة • فمنها النسيء وهو تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام ، وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة ابراهيم صلوات الله

وسلامه عليه بتحريم الاشهر الاربعة ، فاذا احتاجوا الى تحليل المحرم للحرب اخروا تحريمه الى صفر، ثم يحتاجون الى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة. واذا حجوا قالوا : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنها توريث الذكر دون الانثى . ومنها ان احدهم كان اذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس اليه ، ومنها البحيرة وهي الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء . والسائبة من الانعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبنا . والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أو أنثى قالوا : وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء ، فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحامي الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون : قد حمي ظهره ، فيسيبونه لاصنامهم ولا يحمل عليه . ثم يقولون ، ان الله عز وجل أمرنا بهذا، فذلك معنى قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » (المائدة : ١٠٣) . ثم الله عزوجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلةوالحامى فيما أحلوه بقولهم : «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا » (الانعام : ١٣٩) قال الله تعالى : « قل آلذكرين حرم أم الانثيين » (الانعام : ١٤٣) المعنى ان كان الله حرم الذكرين فكل الذكور حرام ، وان كان حرم الانثيين فكل الاناث حرام ، وان كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين فانها تشتمل على الذكور والاناث فيكون كل جنين حراما . وزين لهم ابليس قتل أولادهم ، فالانسان منهم يقتل ابنته ويغذو (١) كلبه . ومن جملة ما لبس عليهم ابليس أنهم قالوا : لو شاء الله ما أشركنا ، أي لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه ، فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الامر . ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته، فليس لاحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الامر . ومذاهبهم السخيفة التي ابتدعوها كثيرة لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هي مما يحتاج الى تكلف ردها .

ذكر تلبيس ابليس على جاحدى النبوات

قال المصنف : قد لبس ابليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله . وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة

---

١ اي يطعمه .

ادم وابراهيم فقط • وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب «الاراء والديانات» ان قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب ، له أربعة أيد واثنا عشر رأسا من ذلك رأس انسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات ، وانه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح الا ما كان للنار ، ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر ، وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ، ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه واشفار (١) عينيه، ثميذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها

قال المصنف : وقد القى ابليس الى البراهمة ست شبهات :

الشبهة الاولى : استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفي عن بعض ، فقالوا : « ما هذا الا بشر مثلكم » (المؤمنون : ٢٤) والمعنى وكيف اطلع على ما خفي عنكم • وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا (٢) العقول لاجازت اختيار شخص لخصائص يعلو بها جنسه ، فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي اذ ليس كل أحد يصلح لذلك • وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الامزجة متفاوتة وأخرج الى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدني ، فاذا أمد النبات والاحجار بخواص لاصلاح أبدان خلقت للفناء ها هنا وللبقاء في دار الاخرة لم يبعد أن يخص شخصا من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية اليه اصلاحا لمن يفسد في العالم بسوء الاخلاق والأفعال • ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون امداد الباري سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم ، وقد أشار عز وجل الى ذلك في قوله عز وجل : «أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس » (يونس : ٢) •

الشبهة الثانية قالوا : هلا أرسل ملكا فان الملائكة اليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد ، والادميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا • وجواب هذامن ثلاثة أوجه : أحدها ان فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلايمكن اظهار معجزة تدل على صدقهم ، لان المعجزة ما خرقت العادة وهذه عادة الملائكة ، وانما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا

---

١ **الشفر : أصل منبت شعر الجفن**

٢ **ناطقه : كلمه وقاوله •**

على صدقه • والثاني ان الجنس الى الجنس أميل ، فصح أن يرسل اليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ، ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه • والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك وانما الله تعالى يقوى الانبياء بما يرزقهم من ادراك الملائكة ، ولهذا قال الله تعالى : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » أي لينظروا اليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال : «وللبسنا عليهم ما يلبسون» (الانعام : ٩) • أي لخلطنا عليهم مـــا يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم ادمي •

الشبهة الثالثة قالوا :نرى ما تدعيه الانبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى اليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد • والجواب أن نقول : ان الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق ، فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتا ولا أن يخرج من عصا حية ، وأما الكاهن فقد يصيب ويخطيء بخـــلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه •

الشبهة الرابعة قالوا : لا يخلو اما أن تجيء الانبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه ، فان جاءوا بما يخالفه لم يقبل ، وان جاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه • والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيرا من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون الى متمم كالحكماء والسلاطين ، فكيف بأمور الالهية والاخروية •

الشبهة الخامسة قالوا : قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقـــل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك ايلام الحيوان • والجواب أن العقل ينكر ايلام الحيوان بعضه لبعض ، فأما اذا حكم الخالق بالايلام لم يبق للعقـــل اعتراض • وبيان ذلك ان العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص ، فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ، ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الاصل بالبطلان • ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ، ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية • وحاجة هـــذا الناطق الى ابقاء فهمه ، ولا يقوم في ابقاء القوى مقام اللحم شيء ، ولا يستطرف (١) تناول القوي الضعيف ، وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته • وانما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق بـــه

---

(١) استطرف الشيء : عده طريفا أي غريبا •

المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة • وأما ألم الذبح فانه يستتر ، وقد قيل : انه لا يوجد أصلا لان الحساس للالم أغشية الدماغ لان فيه الاعضاء الحساسة ، ولذلك اذا أصابها افة من صرع أو سكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الاوداج سريعا لم يصل ألم الجسم الى محل الحس ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « اذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » (١) •

الشبهة السادسة قالوا : ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب • والجواب أن هذا كلام ينبغي أن يستحيي من ايراده ، فانه لم يبق شيء من العقاقير والاحجار الا وقد وضحت خواصها وبان سترها ، فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الانكار من العلماء بتلك الخواص ، وقالوا : ليس هذا منك انما هذه خاصية في هذا • ثم ان المعجزات ليست نوعا واحدا بل هي بين صخرة خرجت منها ناقة ، وعصا انقلبت حية ، وحجر تفجر عيونا • وهذا القرآن الذى لهمنذ نزلدون الستمائةسنة فالاسماع تدركه والافكار تتدبره والتحدي به على الدوام ، ولم يقدر أحد على مداناة سورة منه ، فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة •

قال ابو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : صبأت (٢) قلوب أهل الالحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لاوامرها كابن الراوندي ومن شاكله كأبي العلاء • ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثرا ، بل الجوامع تتدغق زحاما والاذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم والاقرار بما جاء به ، وانفاق الاموال والانفس في الحج مع ركوب الاخطار ومعاناة الاسفار ومفارقة الاهل والاولاد • فجعل بعضهم يندس في أهل النقل فيضع المفاسد على الاسانيد ويضع السير والاخبار، وبعضهم يروي ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في أحجار وخوارق العادات في بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ، ويبالغ معزمون (١) يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما في احليل مهر • والاسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه • ها هنا اليوم

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن عن شداد بن أوس ولفظه : «ان الله تعالى كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا اذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » •

(٢) صبأ وصبؤ : خرج من دين الى دين اخر •

معزمون (١) يكلمون الجني الذي في باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات • فمن رأى مثل هذا قال : بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة : وهل ما جاءت به النبوات آلا مقارب هذا ؟وليس قول الكاهن : حبة بر في احليل مهر ، وقد اخفيت كل الاخفاء باكثر من قوله : «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» (آل عمران : ٤٩) • وهل بقي لهذا وقع في القلوب • وهذا التقويم (٢) ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل نرك تلمح هذا الا النبي والله ما قصدوا بذلك الا قصدا ظاهرا ولمحوا الا لمحا جليا ، فقالوا : تعالوا نكثر الجولان في البلاد والاشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه • فيصدق بها الكل ، ويبطل أن يكون ما جاء به الانبياء خرقا للعادات • ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى بانائه الى دجلة فامتلأ ذهبا فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين • وبطريق العادات في حق المنجمين • وبطريق الخواص في حق الطبائعيين • وبطريق الكهانة فى حق المعزمين والعرافين • فأى حكم بقىلقول عيسى عليه السلام : «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» (آلعمران : ٤٩) • وأي خرق بقي للعادات ، وهل العادات الا استمرار الوجود ، وكثرة الحصول ؟ فاذا نبههم العاقل المتدين على ما في هذا من الفساد قال الصوفي : أتنكر كرامات الاولياء ؟ وقال أهل الخواص : أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد ؟ والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لاجل ما كان فويل لمحق معهم • هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون ولا يعقدون الا بقولهم • فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلي كلمتها حتى ان كل الطوائف تحت قهرها اقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعا لاهل المحال •

فصـــل

ومن الهند البراعمة قوم قد حسن لهم ابليس أن يتقربوا باحراق نفوسهم فيحفر للانسان منهم أخدود وتجتمع الناس ، فيجيء مضمخا (٣) بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ، ويقولون : طوبى لهذه النفس التي تعلق الى الجنة • ويقول هو : ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثوابي

---

١ المعزم : الراقي

٢ لعله يقصد علم الارصاد الجوية •

٣ ضمخ جسده بالطيب : لطخه به •

الجنة ٠ثم يلقى نفسه فى الاخدود فيحترق، فان هرب نابذوه ونفوه وتبرؤوا منه حتى يعود ٠ ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم (١) صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه (٢) فيموت ٠ ومنهم من يقف قريبا من النار الى ان يسيل ودكه (٣) فيسقط ٠ ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعـــا ويلقيها الى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت ٠ ومنهم من يقف فى اخثاء (٤) البقر الى ساقه ويشعل النار فيحترق ٠ ومنهم من يعبد الماء ويقول : هو حياة كل شيء فيسجد له ٠ ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع في الاخدود حتى اذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع الى الاخدود حتى يموت ، فان مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا : حرم الجنة ، وان مات في أحدهما شهدوا له بالجنة ٠ ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشي ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه، ثم تبطل حركته ثم يخمد ٠ ومنهم من يهيم في الارض حتى يموت ٠ ومنهم من يغرق نفسه في النهر ٠ ومنهم من لا يأتي النساء ولا يواري الا العورة ٠ ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول : طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده ٠ ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت ، والناس يقولون : طوبى لك ٠ وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم ، وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين في نهر والنصف الاخر فى نهر ويزعمون انهما يجريان الى الجنة ،ومنهم من يخرج الى براح (٥) ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته ، فاذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون اليه فتبتدره الطير فتأكله ، فاذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان في كتابتها ٠ والعجب ان الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائــق الحكمة وتلهم دقائق الاعمال ، فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم ابليس هذا المقاد ٠ قال : وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة ، وان مكث

---

١ لزم الصخرة : لم يفارقها ٠

٢ مفرده معي وهو مصران البطن ٠

٣ الودك : الدسم من اللحم والشحم ٠

٤ لعلها أحشاء ٠

٥ البراح : المتسع من الارض لا شجر فيه ولا بناء ٠

أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة الف سنة وثلاثة وثلاثون الف سنة وستمائة وعشرون سنة ، وكل مرتبة أضعاف ما دونها • وان النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشرة مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عــذابه ، وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه •

ذكر تلبيسه على اليهود

قال المصنف : قد لبس عليهم في أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك • فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ، ولو كان تشبيههم حقا لجاز عليه ما يجوز عليهم • وحكى أبو عبدالله بن حامد من أصحابنا ، أن اليهود تزعم أن الاله المعبود رجل من نور على كرسي من نور ، على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للادميين • ومن ذلك قولهم : عزير ابن الله • ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون الا بالتبعيض والخالق ليس بذي أبعاض لانه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة • ثم ان الولد في معنى الوالد ، وقد كان عزير لا يقوم الا بالطعام ، والاله من قامت به الاشياء لا من قام بها • والذي دعاهم الى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه ، فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة •ويدل على ان القوم كانوا فى بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة في فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلهــا فقالوا : «اجعل لنا الها كما لهم الهة» (الاعراف : ١٣٨) فلما زجرهم موسـى عن ذلك بقي في نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل • والذي حملهم على هذا شيئان : أحدهما جهلهم بالخالق ، والثاني أنهم أرادوا ما يسكن اليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ،ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترؤوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم : (ان الله فقير ونحن أغنياء) (آل عمران : ١٨١) وقولهم : «يد الله مغلولة» (المائدة : ٦٥) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : لا يجوز نسخ الشرائع • وقد علموا أن من دين ادم جواز نكاح الاخوات ، وذوات المحارم ، والعمل في يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى • قالوا : اذا أمر الله عز وجل بشيء كان حكمه فلا يجوز تغييره • قلت : قد يكون التغيير في بعض الاوقات حكمة فان تقلب الادمي من صحة الى مرض ومن مرض الى موت كله حكمة ، وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الاحد ، وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك •

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : «لن تمسنا النار الا أياما معدودة»

(البقرة : ٨٠) وهي الايام التي عبد فيها العجل • وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فجحدوا ما كان في كتابهم من صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الاخرة ، فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا • ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الامر ويعمل بالهوى ؟ ثم انهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا : انه آدر (١) ، واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة «أوريا» •

أخبرنا محمد بن عبدالباقي البزار ، نا الحسن بن علي الجوهري ، نا أبو عمر بن حياة ، نا ابن معروف ، نا الحارث بن أبي أسامة ، ثنا محمد بن سعد ، نا علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد (٢) ، عن محمد بن اسحاق ، عن سالم مولى عبدالله بن مطيع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس (٣) فقال: « اخرجوا الي أعلمكم ، فخرج اليه عبدالله بن صوريا فخلا به ، فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أني رسول الله ، قال : اللهم نعم ، وان القوم ليعرفون ما أعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك • قال : فما يمنعك أنت ؟ قال : أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم •»

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبدالواحد ، قال : أخبرنا الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، قال : ثنا عبدالله بن أحمد ، قال : حدثنى ابى ، قال : ثنا يعقوب قال : ثنا أبى ،عن ابن اسحاق ، قال : حدثنى صالح بن عبدالرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة بن سلامه بن وقش • قال : كان لنا جار من اليهود في بني عبد الاشهل فخرج علينا يوما ، من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقف على مجلس بني عبد الاشهل • قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا علي بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثا كائنا بعد الموت • فقالوا له : ويحك يا فلان أترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى

---

١ الادر : منتفخ الخصية ، وهو عيب بالفحولية •

٢ وعلي بن مجاهد متروك كما قال الحافظ في «التقريب» •

(٣) المدراس : كنيسة اليهود ، وجمعه مداريس •

دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ، ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدا • قال له : ويحك وما اية ذلك؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : متى نراه ؟ قال : فنظر الي وأنا من أحدثهم سنا ، ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه ، قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى اللهعليهوسلم وهو حي بين أظهرنا فامنا به وكفر به بغيا وحسدا • فقلنا له : ويلك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به •

ذكر تلبيسه على النصارى

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن ابليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر ، فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : ان الله جوهر واحد بأقانيم ثلاثة فهو واحد في الجوهرية ثلاثة في الاقنومية ، فأحد الاقانيم عندهم الاب والاخر الابن والاخر روح القدس ، فبعضهم يقول : الاقانيم خواص • وبعضهم يقول : صفات • وبعضهم يقول : أشخاص ، وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الاله جوهرا لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والاوان• ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله •

قال أبو محمد النوبختي : زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الاله • وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله • وقال بعضهم : المسيح جوهران أحدهما قديم والاخر محدث • ومع قولهم هذا في المسيح يقرون بحاجته الى طعام ، ولا يختلفون في هذا وفي أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه • ويقولون : انما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت • ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جحدوه بعد ذكره في الانجيل • ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي الا أنه مبعوث الى العرب خاصة • وهذا تلبيس من ابليس استغفلهم فيه لانه متى ثبت أنه نبي ، فالنبي لا يكذب ، وقد قال : «بعثت الى الناس كافة» • وقد كتب الى قيصر وكسرى وسائر ملوك الاعاجم •

ومن تلبيس ابليس على اليهود والنصارى

انهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل أسلافنافمناالاولياءوالانبياء، فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : «نحن أبناء الله واحباؤه» (المائدة : ١٨) • أي منا ابنه عزير

وعيسى • وكشف هذا التلبيس ان كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ، ولو تعدت المحبة شخصا الى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض •وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة: «لا اغنى عنك من الله شيئا» (١) • وانما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة • ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الادميين بعضهم بعضا، اذ لو كانت كذلك لكان الامر يحتمل •

ذكر تلبيس ابليس على الصابئين

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم : صبأت : اذا خرجت من شيء الى شيء ، وصبأت النجوم : اذا ظهرت ، وصبأ به : اذا حرج • والصابئون : الخارجون من دين الى دين ، وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال :

أحدها ـ أنهم قوم بين النصارى والمجوس • رواه سالم عن سعيد بن جبير ، وليث عن مجاهد •

والثاني ـ أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد •

والثالث ـ أنهم بين اليهود والنصارى • رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد •

والرابع ـ أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم ، رواه أبو صالح عن ابن عباس •

والخامس ـ أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضا عن مجاهد •

والسادس ـ أنهم كالمجوس قاله الحسن •

والسابع ـ أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية •

والثامن ـ أنهم قوم يصلون الى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل •

والتاسع ـ أنهم طائفة من أهل التكاب قاله السدي •

---

(١) رواه مسلم •

والعاشر ـ أنهم كانوا يقولون : لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي الا قول لا اله الا الله قاله ابن زيد ٠

قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم ، فأما المتكلمون فقالوا : مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول : ان هناك هيولى كان ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى ٠ وقال أكثرهم : العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة ، وسماها قوم منهم الهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات ، وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل ٠ وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل الا بالنفي دون الاثبات ، ويقال : ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز ، قالوا : لئلا يقع تشبيه ٠ ولهم تعبدات في شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم ، أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة ، وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس ٠ والثانية خمس ركعات والثالثة كذلك ٠ وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من اذار ، وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الاول ، وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح ٠ وحرموا لحم الجزور في خرافات يضيع الزمان بذكرها ٠ وزعموا أن الارواح الخيرة تصعد الى الكواكب الثابتة والى الضياء ، وان الشريرة تنزل الى أسفل الارضين والى الظلمة ٠ وبعضهم يقول : هذا العالم لا يفنى وان الثواب والعقاب في التناسخ ٠ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج الى تكلف في ردها اذ هي دعاوى بلا دليل ٠ وقد حسن ابليس لاقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال في تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات ، واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا : لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والارشاد للمصالح ، الا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانيا لا جسمانيا ، قالوا : فنحن نحصل لانفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا اليه، وهؤلاء لا ينكرون بعث الاجساد ٠

ذكر تلبيس ابليس على المجوس

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي : كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت ، وكانوا يقولون ان الله تعالى عن ذلك شخص روحاني ظهر فظهرت معه الاشياء روحانية تامة ، فقال : لا يتهيأ لغيري أن يبتدع مثل هذه التي ابتدعتها فتولد من

فكرته هذه ظلمة اذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه • وكان مما سنه زاردشت عبادة النار والصلاة الى الشمس ، يتأولون فيها انها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات والحيوانات وترد الحرارات الى أجسادها • وكانوا لا يدفنون موتاهم في الارض تعظيما لها ، ويقولون انها نشوء الحيوانات فلا نقذرها • وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له ، وقالوا : لان به حياة كل شيء الا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه • ولا يبزقون فيه ، ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها • وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به واذا كان عتيقا كان أكثر بركة • ويستحلون فروج الامهات ، قالوا : الابن أحرى بتسكين شهوة أمه • واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة ، فان لم يكن له ابن اكترى رجل من مال الميت • ويجيزون للرجل ان يتزوج بمائة والف • واذا أرادت الحائض ان تغتسل دفعت دينارا الى الموبذ (١) ويحملها الى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته • وأظهر هذا الامر مزدك في أيام قباذ ، وأباح النساء لكل من شاء ، ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله، فلما بلغ الى أم انوشروان قال لقباذ : اخرجها الي فانك ان منعتنى شهوتى لم يتم ايمانـك ، فهـم باخراجها فجعل انوشروان يبكي بين يدي مزدك ويقبل رجله بين يدي أبيه قباذ ويسأله ان يهب له أمه ، فقال قباذ لمزدك : ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغي أن يرد عن شهوته ؟ قال بلى ، قال : فلم ترد انوشروان عن شهوته ؟ قال : قد وهبتهـا له • ثم اطلق للناس فى أكل الميتة ، فلما ولى انوشروان أفنـى المزدكية هو • ومن أقوال المجوس : ان الارض لا نهاية لها من أسلفها ، وان السماء جلد من جلود الشياطين ، والرعد انما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة في الافلاك المأسورة في حرب ، والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم •

ونبغ للمجوس رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية الى بنى العبـاس ، واستغوى خلقا وجرت له قصص يطول الامر بذكرها ، فهو اخر من ظـهر للمجوس • وذكر بعض العلماء انه كان للمجوس كتب يدرسونهـا وانهـم أحدثوا دينا فرفعت كتبهم •

ومن أظرف تلبيس ابليس عليهم ، أنهم رأوا في الافعال خيرا وشرا فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر ، فأثبتوا الهين وقالوا : أحدهما نور حكيم لا

---

١ لعله الكاهن عندهم • والبذيذة : التقشف •

يفعل الا الخير ، والاخر شيطان هو ظلمة لا يفعل الا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية •

قال المصنف : وقد سبق ذكر شبههم وجوابها • وقال بعضهم : الباري قديم فلا يكون منه الا الخير ، والشيطان محدث فلا يكون منه الا الشر • فيقال لهم : اذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر • وزعم بعضهم ان الخـــالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال : اخاف ان يحدث فى ملكي من يضادني ، وكانت فكرته رديئة فحدث منها ابليس ، فرضي ابليس أن ينسب الى الرداءة بعد اثبات أنه شريك •

وحكى النوبختي أن بعضهم قال : ان الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك الشك •قال : وزعم بعضهم ان الاله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من الآفة والشيطان بمعزل عنها ، فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عزوجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم، فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة الاف سنة لا هو خيصل اليهولا الرب عز وجل يدفعه ، ثم صالحه على أن يكون ابليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة ، ورأى الرب أن الصلاح في احتمال مكروه ابليس الى ان ينقضي الشرط ، فالناس في بلايا الى انقضائه ثم يعودون الى النعيم ، وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها في هذا العالم ، وانهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما الى العدلين ، وقالا : من نكث فاقتلاه • في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ، ونذكر ما انتهى تلبيس ابليس اليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخطيط •

والعجب أنهم يجعلون الخالق خيرا ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة، فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة ابليس ملك ثم يقال لهم : أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن ؟ فان قالوا : لا ، قيل لهم : فلا يليق بالحكمة استبقاؤه ، وان قالوا : نعم ، فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير • وكيف أطاع الشيطا العدلين وقد عصى ربه ، وكيف يجوز الافتيات على الاله ؟ وهــذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه ابليس بالعقول ماكان لذكرها فائدة ولا معنى•

ذكر تلبيس ابليس على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النوبختي : ذهب قوم الى أن الفلك قديم لا صانع له • وحكى جالينوس عن قوم انهم قالوا : زحل وحده قديم • وزعم قوم أن الفلك

طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل • وكان بعضهم يرى ان الفلك جوهر نارى وانه اختطف من الارض بقوة دورانه • وقال بعضهم : الكواكب من جسم تشابه الحجارة •وقال بعضهم: هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم فيشتعل وينطفىء• وقال بعضهم : جسم القمر مركب من نار وهواء • وقال اخرون : الفلك من الماء والريح والنار وانه بمنزلة الكرة ، وانه يتحرك بحركتين من المشرق الىالمغرب ومن المغرب الى المشرق • قالوا : وزحل يدور الفلك في نحو من ثلاثين سنة ، والمشتري في نحو من اثنتي عشرة سنة ، والمريخ في نحو من سنتين ، والشمس والزهرة وعطارد في سنة والقمر في ثلاثين يوما • وقال بعضهم : أفلاك الكواكب سبعة فالذي يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة• واختلفوا في مقادير أجرام الكواكب ، فقال أكثر الفلاسفة : أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الارض • والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربع وتسعين مرة مثل الارض • والمشتري نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الارض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الارض• قالوا : ومن كل موضع من أعلى الفلك الى أن يعود اليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخا • وقال بعضهم : الفلك حي والسماء حيوان وفي كل كوكب نفس • قال قدماء الفلاسفة : النجوم تفعل الخير والشر ، وتعطي وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس ، وتؤثر في النفوس ، وانها حية فعالة •

ذكر تلبيس ابليس على جاحدى البعث

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الاعادة بعد البلاء • وأقام لهم شبهتين احداهما أنه أراهم ضعف المادة ، والثانية اختلاط الاجزاء المتفرقة في أعماق الارض • قالوا : وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ اعادته ، وقد حكى القرآن شبهتهم ، فقال تعالى في الاولى : «أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أئنكم مخرجون• هيهات هيهات لما توعدون» (المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٦) •

وقال فى الثانية : « أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد » (السجدة : ١٠) • وهذا كان مذهب اكثر الجاهلية • قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأن سنحيى
وكيف حياة أصداء (١) وهام

١ الصدى : جسد الانسان بعد موته •

وقال اخر : هو أبو العلاء المعري :

حيـــاة ثـــم مـوت ثـــم بعث

حـديـث خرافـــة يا أم عمـــــرو

والجواب عن شبهتهم الاولى أن ضعف المادة في الثاني وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة • ثم أصل الادميين وهو ادم من تراب • على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا مستحسنا الا من مادة سخيفة • فانه أخرج هذا الادمي من نطفة ، والطاووس من البيضة المدرة (١) ، والطرفة الخضراء من الحبة العفنة • فالنظر ينبغي أن يكون الى قوة الفاعل وقدرته لا الى ضعف المواد • وبالنظر الى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية • ثم قد أرانا كالانموذج في جمع التمزق ، فأن سحالة (٢) الذهب المتفرقة في التراب الكثير اذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده ، فكيف بالقدرة الالهية التي من تأثيرها خلق كل شيء لا من شيء ؟ على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت اليه الابدان لم يصر بنفسه ، لان الادمي بنفسه لا ببدنه ، فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر الى كبر وهو هو • ومن أعجب الادلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبيائه ما هو أعظم من البعث ، وهو قلب العصا حية حيوانا ، وأخرج ناقة من صخرة، وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه •

قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا في الرد على الفلاسفة •

فصـــل

وقد لبس ابليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم : «ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا» (الكهف : ٣٦) • وقال العاص بن وائل : «لاوتين مالا وولدا» (مريم : ٧٧) • وانما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس ابليس عليهم في ذلك • فقالوا : ان كان بعث فنحن على خير ، لان من انعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الاخرة •

---

(١) **المدر : الطين • وتمدر : تلطخ •**

(٢) **السحالة : بالضم كالبرادة : ما سقط من الذهب والفضة •**

قال المصنف : وهذا غلط منهم لانه لم لايجوز أن يكون الاعطاء استدراجا أو عقوبة ، والانسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده ٠

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

قال المصنف : وقد لبس ابليس على أقوام ، فقالوا بالتناسخ وان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت ، وأرواح أهل الشر اذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق ٠ وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى ٠ وذكر أبو القاسم البلخي : أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الاطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها ليمتحن به غيرها أو ليتعوض (١) أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة ، فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال ٠

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي ان الهند يقولون الطبائع أربع : هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة ٠ فالمركبة هي الرب الاصغر والنفس هي الهيولى الاصغر ، والعقل الرب الاكبر والهيولى هو ايضا أكبر ، وان الانفس اذا فارقت الدنيا صارت الى الرب الاصغر وهو الهيولى المركبة ، فان كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها الى الهيولى الاصغر وهو النفس حتى تصير الى الرب الاكبر فيتخلصه الى الهيولي المركب الاكبر ٠ فان كان محسنا تام الاحسان أقام عنده في العالم البسيط ، وان كان محسنا غير تام أعاده الى الرب الاكبر ثم يعيده الرب الاكبر الى الهيولى الاصغر ثم يعيده الهيولى الاصغر الى الرب الاصغر ، فيخرجه ممازجا لشعاع الشمس حتى ينتهي الى بقلة خسيسة يأكلها الانسان فيتحول انسانا ويولد ثانية في العالم ، وهكذا تكون حاله في كل موتة يموتها ٠ وأما المسيئون فانهم اذا بلغت نفوسهم الى الهيولى الاصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم ، فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة ، فلا يزال منسوخا مترددا في العلل ٠ ويعود كل الف سنة الى صورة الانس ، فان أحسن في صورة الانس لحق بالمحسنين ٠

قال المصنف : قلت : فانظر الى هذه التلبيسات التي رتبها لهم ابليس على ما عن له لا يستند الى شيء ٠

أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار ، قال : أنبأنا علي بن المحسن ، عن أبيه ، قال : حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم ، قال : كان يحضر

---

(١) تعوض : أخذ العوض ٠

معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس ، فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ٠

ثم صار يقول بمذهب التناسخ ، قال : فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ، ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاء شديدا ٠ فقلت له : لم تبكي؟ فقال : ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها ، هذه أمي لا شك وانما تبكي من رؤيتها الي حسرة ٠ قال : وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا ، فقلت له : فهي تفهم عنك ما تخاطبها به ، فقال : نعم ، فقلت : أتفهم أنت صياحها قال : لا ، قلت : فأنت المنسوخ وهي الانسان ٠

ذكر تلبيس ابليس على أمتنا فى العقائد والديانات

قال المصنف : دخل ابليس على هذه الامة فى عقائدها من طريقين : أحدهما التقليد للاباء والاسلاف ٠ والثاني الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول الى عمقه ، فأوقع أصحاب هذا القسم في فنون من التخليط ٠ فأما الطريق الاول فان ابليس زين للمقلدين أن الادلة قد تشتبه والصواب قد يخفي والتقليد سليم ٠ وقد ضل في هذه الطريق خلق كثير ، وبه هلاك عامة الناس ، فان اليهود والنصارى قلدوا اباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية ٠ واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم لانه اذا كانت الادلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع في ضلال٠ وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد ابائهم وأسلافهم فقال عز وجل: «انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون٠ قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم» (الزخرف : ٢٣ ـ ٢٤) المعنى أتتبعونهم ، وقد قال عز وجل : «انهم ألفوا آباءهم ضالين ٠ فهم على اثارهم يهرعون» (الصافات : ٦٩ ـ ٧٠) ٠

قال المصنف : اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه ٠ وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه انما خلق للتأمل والتدبر ٠ وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة ٠ واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال ٠ لان النظر ينبغي أن يكون الى القول لا الى القائل ، كما قال علي رضى الله عنه للحارث بن حوط وقد قال له : أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل ؟ فقال له : يا حارث انه ملبوس عليك ان الحق لا

يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله • وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا • ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيد في الجد وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه •

فان قال قائل : فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون ؟ فالجواب ان دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا اليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل ، وأما الفروع فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامي عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر الا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده •

قال المصنف : وأما الطريق الثاني فان ابليس لما تمكن من الاغبياء فورطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم • ثم رأى خلقا فيهم نوع ذكـــاء وفطنـة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم ، فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن ، فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز ، فساقهم الى مذهب الفلاسفة ، ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام • وقد سبق ذكرهم في الرد على الفلاسفة • ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد الا ما أدركته حواسه • فيقال لهؤلاء : بالحواس علمتم صحة قولكم ؟ فان قالوا : نعم ، كابروا لان حواسنا لم تدرك ما قالوا اذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف • وان قالوا بغير الحواس ، ناقضوا قولهم • ومنهم من نفره ابليس عن التقليد وحسن له الخوض في علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام • وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم الى الشكوك وببعضهم الى الالحاد • ولم تسكت القدماء من فقهـــاء هذه الامة عن الكلام عجزا ، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا ثـم يـرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه ، حتى قال الشافعي رحمه الله : لان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام • قال : واذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد انه من أهل الكلام ولا دين له • قال : وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام • وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب كلام أبدا ، علماء الكلام زنادقة •

قال المصنف : قلت : وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة الى أنهم قالوا ان الله عز وجل يعلم جمل الاشياء ولا يعلم تفاصيلها • وقال جهم بن

صفوان : علم الله وقدرته وحياته محدثة • وقال أبو محمد النوبختي عن جهم انه قال : ان الله عز وجل ليس بشيء • وقال أبو علي الجبائي وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين : المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة ، وان الباري سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتا ولا العرض عرضا ولا الجوهر جوهرا ، وانما هو قادر على اخراج الذات من العدم الى الوجود • وحكى القاضي أبو يعلى في كتاب «المقتبس» قال : قال لي العلاف المعتزلي : لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ اليه ولا الرهبة منه ، لانه لا يقدر اذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر • قال : ويبقى أهل الجنة جمودا سكوتا لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك • لان الحوادث كلها لا بد لها من اخر تنتهي اليه لا يكون بعده شيء • تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

قال المصنف : قلت : وذكر أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمد البلخي في كتاب «المقالات» ان أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف ، وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم ، وانفرد بأن قال : أهل الجنة تنقضي حركاتهم فيصبرون الى سكون دائم وان لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج الى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره • وكان يقول : ان علم الله هو الله وان قدرة الله هي الله • وقال أبو هاشم : من تاب عن كل شيءالا أنه شرب جرعة من خمر فانه يعذب كعذاب أهل الكفر أبدا • وقال النظام : ان الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وان ابليس يقدر على الخير والشر • وقال هشام القوطي : ان الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل • وقال بعض المعتزلة : يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب الا أنه لم يقع منه • وقالت المجبرة : لا قدرة للادمي بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل • وقالت المرجئة : ان من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلا ، وخالفوا الاحاديث الصحاح في اخراج الموحدين من النار • قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا ، فان صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الاثبات ، وهي الخشية والمراقبة ، وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الاسلام •

قال المصنف : قلت : وتبع أبو عبدالله محمد بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الاحاديث أضعفها ومال الى التشبيه ، وأجاز حلول

الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى • وقال : ان الله لا يقدر على اعادة الاجسام والجواهر انما يقدر على ابتدائها • وقالت السالمية : ان الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شيء في معناه فيراه الادمي ادميا والجني جنيا • وقالوا : لله سر لو أظهره لبطل التدبير •

قال المصنف : قلت : أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة • وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الايمان الا بمعرفة ما رتبوه ، وهؤلاء على الخطأ لان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالايمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ، ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك • وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا اليه • وقد نقل الينا اقلاع منطقي المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله •

فأخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، نا أبو منصور محمد ابن عيسى بن عبدالعزيز البزار ، ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ، ثنا أحمد بن عبيد بن ابراهيم ، ثنا عبدالله بن سليمان بن الاشعث ، قال: سمعت أحمد بن سنان قال : كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالى فلماحضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداأعلم بالكلام منى ؟قالوا:لا، قال: فتتهموني ؟ قالوا : لا ، قال : فاني أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم ، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فاني رأيت الحق معهم • وكان أبو المعالي الجويني يقول : لقد جلت (١) أهل الاسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الاعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد ، والان فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الاخلاص ، فالويل لابن الجويني • وكان يقول لاصحابه : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به •

وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه : أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت • قال وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك وكثير منهم الى الالحاد تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين • وأصل ذلك انهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل ادراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد

(١) جال في المكان : طاف وجال الشيء : اختاره •

بها ، ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الامور • قال : ولقد بالغت في الاول طول عمري ثم عدت القهقرى الى مذهب الكتب وانما قالوا: ان مذهب العجائز أسلم لانهم لما انتهوا الى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما ينفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل ، وأذعن العقل بأن فوقه حكمة الهية فسلم • وبيان هذا أن نقول : أحب أن يعرف ، أراد أن يذكر فيقول قائل : هل شغف باتصال النفع ؟ هل دعاه داع الى افاضة الاحسان ؟ ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك الا الذات يدخل عليها داخل من شوق الى تحصيل ما لم يكن لها ، وهي اليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي ، وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض • ثم اذا نظرنا في انعامه رأيناه مشحونا بالنقص والالام وأذى الحيوانات ، فاذا رام العقل أن يعلل بالانعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولاصفاء ، ورآه منزها بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله، وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد ، فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى • وانما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته، ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنهالحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا في بحبوحة التفويض بلا اعتراض •

فصـــل

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس ، فقـــال بعضهم : ان الله جسم • تعالى الله عن ذلك • وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلي بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عبدالرحمن • ثم اختلفوا فقال بعضهم : جسم كالاجسام • ومنهم من قال : لا كالاجسام • ثم اختلفوا فمنهم من قال : هو نور ، ومنهم من قال : هو على هيئة السبيكة البيضاء • هكذا كان يقول هشام بن الحكم • وكان يقول ان الاله سبعة أشبار بشبر نفسه «تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا» ، وانه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئي •

قلت ما أعجب الا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالادميين والادمي طوله سبعة أشبار بشبر نفسه • وذكر أبو محمد النوبختي عـــن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال في التشبيه في سنة واحدة

خمسة أقاويل قطع في اخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار • فان قوما قالوا انه على هيئة السبيكة وان قوما قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة • وقال هشام : هو متناهي الذات حتى قال : ان الجبل اكبر منه ، قال : وله ماهية يعلمها هو •

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضا وذلك ينقض القول بالتوحيد • وقد استقر أن الماهية لا تكون الا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج ان يفرد منها ويبان (١) عنها ، والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له• ولا يجوز ان يوصف بان ذاته ارادية ومتناهية لا على معنى انه ذاهب في الجهات بلا نهاية • انما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية • قال النوبختي : وقد حكى كثير من المتكلمين ان مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحواري يقولون : ان الله صورة وأعضاء •

قال المصنف : أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الادميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الادميين من مرض أو تلف ؟ ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الاجسام ، فيدلك بذلك على ان الاله هو الذي اعتقدته جسما محدثا غير قديم • ومن قول المجسمة ان الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس • فيقال له : فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق • وقال بعضهم : انه جسم هو فضاء والاجسام كلها فيه • وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله ، وأنه على صورة رجل ، وأنه يهلك جميع أعضائه الا وجهه ، فقتله خالد بن عبدالله • وكان المغيرة بن سعد العجلي يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء • وكان هذا يقول بامامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن • وكان زرارة بن اعين يقول : لم يكن الباري قادرا حيا عالما في الازل حتى خلق لنفسه هذه الصفات • تعالى الله عن ذلك • وقال داود الحواري : هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه الى صدره ومصمت ما سوى ذلك •

ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا : هو على العرش بذاته على وجه المماسة فاذا نزل انتقل وتحرك ، وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد اوجبوا عليه المساحة والمقدار ، واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي صلى الله

---

(١) أبان الشيء : فصله وقطعه •

عليه وسلم «ينزل الله الى سماء الدنيا(١)» قالوا : ولا ينزل الا من هو فوق. وهؤلاء حملوا نزوله على الامر الحسي الذي يوصف به الاجسام . وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس. وقد ذكرنا جمهور كلامهم في كتابنا المسمى ب «منهاج الوصول الى علم الاصول» . وربما تخيل بعض المشبهة في رؤية الحق يوم القيامة لما يراه في الاشخاص فيمثله شخصا يزيد حسنه على كل حسن ، فتراه يتنفس من الشوق اليه ، ويمثل الزيادة فيزداد توقه ، ويتصور رفع الحجاب فيقلق ، ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع في الحديث أنه يدنى عبده المؤمن اليه فيتخايل القرب الذاتي كما يجالس الجنس ، وهذا كله جهل بالموصف .

ومن الناس من يقول : لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل : «ويبقى وجه ربك» (الرحمن : ٢٧) . وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يضع السموات على أصبع» وله قدم الى غير ذلك مما تضمنته الاخبار ، وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس . وانما الصواب قراءة الآيات والاحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن(٢) هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة ، وعلى هذا فسر الآية المحققون ، فقالوا : ويبقى ربك وقالوا فى قوله: «يريدون وجهه» : يريدونه . وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله : «قلوب العباد بين اصبعين(٣) » ان الاصبع لما كانت هي المقلبة للشيء وأن ما بين الاصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا ان ثم صفة زائدة .

قال المصنف : والذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا الا أنه يجوز أن يكون مرادا ،ولا يجوز ان يكون ثم ذات تقبل التجزء والانقسام . ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية : ان الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح ، لانهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم الا هذا ، ولو قنعوا بما ورد

---

(١) رواه الجماعة عن أبي هريرة ولفظ البخاري : «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

(٢) اي وما يدريهم .

(٣) رواه مسلم واحمد عن ابن عمر .

فى الآثار من ان ارواح المؤمنين تجعل فى حواصل طير تأكل من شجر (١) الجنة لسلموا ، لكنهم أضافوا ذلك الى الجسد ٠

قال ابن عقيل : ولهذا المذهب مرض يضاهي الاستشعار الواقـــع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام (٢) والصدى (٣) والمالكة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فان المقاومة تفسدهم ٠ وانما لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لادلة الشرع والعقل ٠ فانه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الاضافة حصلت الى الاجساد والقبور تعريفا كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت في هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار ٠

فصـــل

قال المصنف : فان قال قائل : قد عبت طريق المقلدين في الاصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس ابليس ؟ فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم باحسان من اثبات الخالق سبحانه واثبات صفاته على ما وردت به الايات والاخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر ادراكه ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق٠ قال علي كرم الله وجهه : والله ما حكمت مخلوقا انما حكمت القران وانه المسموع لقوله عز وجل : «حتى يسمع كلام الله» (التـوبة : ٦) وانه في المصاحف لقوله عز وجل : «في رق منشور» (الطور : ٣) ولا نتعدى مضمون الايات ولا نتكلم في ذلك برأينا ٠ وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف الى حدث ٠

والعجب ممن يدعي اتباع هذا الامام ثم يتكلم في المسائل المحدثة ٠

---

(١) رواه الترمذي والطبراني عن كعب بن مالك ولفظه : «ان ارواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة» ٠٠ اي تأكل ٠ قال الهيثمي وفيه محمد بن اسحق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح ٠

(٢) جمع هامة وهي الجثة ٠

(٣) الصدى : جسد الانسان بعد موته ٠

أخبرنا سعد الله بن علي البزار ، نا أبو بكر الطريثيثي ، نا هبة الله بن الحسن الطبري ، نا أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه ، نا عمر بن أحمد الواعظ ، ثنا محمد بن هارون الحضرمي ، ثنا القاسم بن العباس الشيباني ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : أدركت تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر • وقال مالك بن أنس : من قال القرآن مخلوق فيستتاب فان تاب والا ضربت عنقه •

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار، نا أحمد بن علي الريثيثي، نا هبةالله الطبـري ، ثنا محمد بن أحمد بن القاسم ، ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا محمد بن ماهان ، ثنا عبدالرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبدالعزيز قال لرجل : وسأله عن الاهواء فقال : عليك بدين الصبي في الكتاب والاعرابي (١) واله عما سواهما • قال ابن مهدي : وثنا عبدالله بن المبارك ، عن الاوزاعي ، قال : قال : عمر بن عبدالعزيز : اذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة •

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا أحمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا محمد بن أحمد ابن الحسن ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا خلاد بن يحيى ، عن سفيان الثوري ، قال : بلغني عن عمر أنه كتب الى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل ، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته • واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد كفوا • وفي رواية أخرى عن عمر : وأنهم كانوا على كشف الامور أقوى وما أحدث الا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، لقد قصر دونهم أقوام فخفوه(٢) وطمح عنهم آخرون فعلوه(٣) •

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا أحمد بن أحمد ، نا أحمد بن عبدالله الحافظ ، ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا عبدالصمد بن حسان، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الاقراء والعمل •

---

(١) لها عن الشيء : ترك ذكره وسلا عنه •

(٢) خفى الشيء : ستره وأظهره وهو من الاضهراد •

(٣) من علا يعلو اذا ارتفع • وعلت العين عن فلان : نبت •

قال المصنف : فان قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا • وقلنا : ان الوقوف على العمل ضرورة لان بلوغ ما يشفي العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين في البحار ، فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم •

ذكر تلبيس ابليس على الخوارج

قال المصنف : أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة • أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبدالله بن أحمد ، ثني أبي، ثنا محمد بن نضيل ، ثنا عمارة بن القعقاع ، عن ابن يعمر ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث علي رضي الله عنه من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة في أديم مقروظ (١)لم تخلص من ترابها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة بين: زيد الخيل والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة ، فوجد من ذلك بعض أصحابه والانصار وغيرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء» ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبهة كث اللحية مشمر الازار محلوق الرأس ، فقال : اتق الله يا رسول الله ، فرفع رأسه اليه فقال : «ويحك أليس أحق الناس أن يتقي الله أنا» ثم أدبر ، فقال خالد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فلعلـه يكون يصلي» فقال : انه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» ثم نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقف فقال : «أما انه سيخرج من ضئضيء (٢) هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (٣) » •

قال المصنف : هذا الرجل يقال له : ذو الخويصرة التميمي وفي لفظ انه قال له : اعدل فقال : «ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل(٤) ؟ » فهذا أول خارجي

---

(١) المقروظ المدموغ بالقرظ •

(٢) الضئضىء اصل الشيء اى سيخرج من عقبه •

(٣) قلت : والحديث رواه الشيخان بمعناه وفيه ان الذي طلب أن يضرب عنـق الاعرابي عمر بن الخطاب •

(٤) وهي رواية (الصحيحين) وبعدها : «وقد خبت وخسرت ان لم اكن أعدل» •

خرج فى الاسلام وآفته أنه رضى برأى نفسه ، ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه • وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي الى ما فيها ، وقال : تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا • ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل • فقال الناس : قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب علي : ابعث أبا موسى فقال علي : لا أرى أن أولي أبا موسى ، هذا ابن عباس • قالوا : لا نريد رجلا منك ، فبعث أبا موسى وأخر القضاء الى رمضان ، فقال عروة ابن أذينة : تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم الا لله • ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج ، فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهم اثنا عشر الفا ، وقالوا: لا حكم الا لله • وكان ذلك أول ظهورهم ، ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبدالله بن الكوا اليشكري • وكانت الخوارج تتعبد الا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب •

أخبرنا اسماعيل بن أحمد ، نا محمد بن هبة الله الطبري ، نا محمد بن الحسين بن الفضل ، نا عبد اللهبن جعفربن درستويه ، نا يعقوب بنسفيان، ثنى موسى بن مسعود ، ثنا عكرمة بن عمار ، عن سماك بن رميل ، قال :قال عبدالله بن عباس : انه لما اعتزلت الخوارج دخلوا دارا وهم ستة الاف وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب فكان لا يزال يجيء انسان ، فيقول : يا أمير المؤمنين ان القوم خارجون عليك فيقول : دعوهم فاني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون • فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر ، فقلت له : يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم • فقال : اني أخاف عليك • فقلت : كلا • وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذي أحدا • فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن ، وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار ، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادا • جباههم قرحة(٢) من السجود وأياديهم كأنها ثفن(٣) الابل • وعليهم قمص مرحضة(٤) مشمرين مسهمه (٥) وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم ، فقالوا:

---

(١) حروراء قرية بالعراق قريبة من الكوفة •

(٢) القرح : الذي به قروح اي اثار جراح •

(٣) الثفن جمع ثفنة : ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من اثر البروك •

(٤) رحض الثوب : غسله حتى بلي • (٥) سهم : تغير لونه من هزال •

مرحبا يا ابن عباس ما جاء بك ؟ فقلت : أتيتكم من عند المهاجرين والانصار ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم ، فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا قريشا فان الله عز وجل يقول: «بل هم قوم خصمون» (الزخرف : ٥٨) فقال اثنان أو ثلاثة : لنكلمنه • فقلت : هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد ، وهم أعلم بتأويله • قالوا ثلاثا : قلت هاتوا : قالوا : أما احداهن فانه حكم الرجال في أمر الله • وقد قال الله عز وجل : «ان الحكم الا لله» (الانعام : ٥٧) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل ؟ فقلت : هذه واحدة • وماذا ؟ قالوا : وأما الثانية فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لناسبيهم ؟ قلت : وما الثالثة ؟ قالوا : فانه محا عن نفسه أمير المؤمنين فانه ان لم يكن أمير المؤمنين فانه لامير الكافرين • قلت : هل عندكم غير هذا ؟ قالوا : كفانا هذا • قلت لهم : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا • فاذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا : نعم قلت : فان الله قد صير من حكمه الى الرجال فى ربع درهم ثمن ارنب وتلا هذه الآية : «لا تقتلوا الصيد وانتم حرم» الى آخر الاية (المائدة:٩٥) وفي المرأة وزوجها «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها» الى آخر الآية (النساء : ٣٥) فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في اصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل ؟ قالوا : بل هذه • قلت : خرجت من هذه ؟ قالوا : نعم• قلت : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها ؟ فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الاسلام • ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الاسلام • فانتم بين ضلالتين لان الله عز وجل قال: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» (الاخراب : ٦) أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم • قلت : وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين ابا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو • فقال لعلى رضي الله عنه : اكتب لهم كتابا فكتب لهم علي • هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ، فقال المشركون :والله ما نعلم انك رسول الله لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : اللهم انك تعلم اني رسول الله ، امح يا علي ، اكتب

هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله • فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه(١) • قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا(٢) •

اخبرنا ابو منصور القزاز ، نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت ، نا ولاد بن علي الكوفي ، نا محمد بن علي بن دحيم الشيباني ، ثنا أحمد بن حازم ، ثنا أحمد بن عبد الرحمن يعنى ابن أبى ليلى ، ثنا سعيد بن خيثم ، عـــن القعقاع بن عمارة ، عن أبي الخليل ، عن أبي الشائعة عن جندب الازدى ، قال : لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال : فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن •

قال المصنف : وفي رواية أخرى أن عليا رضي الله عنه لما حكم اتاه من الخوارج زرعه بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه ، فقالا له : لا حكم الا لله • فقال علي : لا حكم الا لله • فقال له حرقوص : تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ، ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لآقاتلنك طلب بذلك وجه الله • واجتمعت الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا التى ايثارها عناء آثـر عنده من الامر بالمعـروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فأخرجوا بنا • فكيف اليهم على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : أما بعد ، فان هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا اهواءهما ونحن على الامر الاول • فكتبوا اليه انك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك ، فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، والا فقد نابذناك (٣) على سواء والسلام • ولقي الخوارج في طريقهم عبدالله بن خباب فقالوا : هل سمعت من أبيك حديثا تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه ؟ قال : نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم • والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ،

---

(١) قصة الحديبية وكتابة باسمك اللهم الخ •• رواها البخاري وأحمد (راجع فقه السيرة للغزالي ص ٣٦٠)

(٢) هذه الرواية فيها سماك بن حرب ـ لا ابن رميل كما هو مذكور ـ وسماك لم يسمع من ابن عباس فلعله سمعه عن عكرمة عن ابن عباس ، وروايته عن عكرمة مضطربة كما قال الحافظ في «التقريب» وقد تغير بأخرة •

(٣) نابذه الحرب : جاهره بها •

فان ادركت ذلك فكن عبدالله المقتول (١) »٠ قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله ؟قال : نعم فقدموه الى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك (٢) نعل ٠ وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى، ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فيه ٠ فقال احدهم :أخذتها بغير حدها (٣) وبغير ثمنها فلفظها من فيه ٠ واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه فمر به خنزير لاهل الذمة فضربه به يجربه فيه ، فقالوا : هذا فساد في الارض ، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه ٠ قال : فبعث اليهم علي رضي الله عنه أخرجوا الينا قاتل عبدالله بن خباب ، فقالوا : كلنا قتله ٠ فناداهم ثلاثا كل ذلك يقولون هذا القول ٠ فقال علي رضي الله عنه لاصحابه : دونكم القوم ٠ فما لبثوا أن قتلوهم ، وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض : تهيأ للقاء الرب الرواح الرواح الى الجنة ! وخرج على علي رضي الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث اليهم من قاتلهم ، ثم اجتمع عبدالرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم ، وقالوا : والله ما قنعنا بالبقاء في الدنيا شيء بعد اخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو انا شرينا (٤) انفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الائمة الضلال فثأرنا بهم (٥) اخواننا وارحنا منهم العباد ٠

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار ، نا أبو محمد الجوهري ، نا ابن حياة ، نا أبو الحسن بن معروف ، نا الحسين بن الفهم ، نا محمد بن سعد عن أشياخ له ٠ فقالوا : انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقلتن هؤلاء الثلاثة عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم ، فقال ابن ملجم : أنا لكم بعلي ، وقال البرك : أنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو : أنا لكم بعمرو ، فتواثقوا لا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة

---

(١) في «الصحيحين» عن ابي هريرة مرفوعا : «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به » ٠ ومعنى تشرف لها : تعرض لها ٠ أما حديث : كن عبدالله المنقول فقد ورد من طرق تقوي بعضها بعضا ٠

(٢) شراك النعل : سيره ٠

(٣) لعلها : بغير حقها ٠

(٤) أي بعنا ٠

(٥) ثأرالقتيل : قتل قاتله ٠

فلما كانت الليلة التي عزم على قتل علي رضي الله عنه فيها خرج علي رضي الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه. فقال علي رضي الله عنه لا يفوتنكم الرجل فأخذ ، فقالت أم كلثوم : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين . فقال : ما قتلت الا أباك . قالت : والله اني لارجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس . قال : فلم تبكين اذن ؟ ثم قال : والله لقد سممته شهرا يعني سيفه، فان أخلفني(١) فأبعده الله وأسحقه(٢) . فلما مات علي رضي الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبدالله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه بمسمار محمي ،فلم يجزع وجعل يقرأ «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق» حتى ختمها وان عينيه لتسيلان . فعولج على قطع لسانه فجزع . فقيل له : لم تجزع ؟ فقال : أكره أن أكون في الدنيا مواتا لا أذكر الله . وكان رجلا أسمر في جبهته أثر السجود ، لعنه الله .

قال المصنف : قلت : ولما أراد الحسن رضي الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان ، وقال : أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه في أصل فخذه .وما زالت الخوارج تخرج على الامراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الازرق يقولون : نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون، ومرتكبو الكبائر مشركون ،والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة . وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك . وكان نجدة بن عامر الثقفي من القوم فخالف نافع بن الازرق ، وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم ، وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم ، وان جهنم لا يعذب بها الا مخالفوه في مذهبه ، وقال ابراهيم : الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس في بدء الاسلام .وكان بعضهم يقول : لو ان رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار ، ولو قتله أو قطع يديه أو بقر بطنه لم تجب له النار ، لان الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

قال المصنف : ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها وانما المقصود النظر في حيل ابليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين

---

(١) أخلف وعده : لم يتممه .

(٢) أهلكه .

عملوا بواقعاتهم(١) واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والانصار على الخطأ وأنهم على الصواب · واستحلوا دماء الاطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا في العبادات وسهروا، وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر ، واستحل قتل علي كرم الله وجهه · ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه · فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اعدل فما عدلت ، وما كان ابليس ليهتدي الى هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان ·

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أبو بكر بن مالك ،ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، ثني أبي ، قال : قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع اعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» (٢) · أخرجاه في «الصحيحين» ·

أخبرنا سعد الله بن علي ، نا أبو بكر الطريثيثي ، ثنا هبة الله بن الحسن الطبري ، نا أحمد بن عبيد ، ثنا علي بن عبدالله بن مبشر ، ثنا أحمد بن سنان ، ثنا اسحاق بن يوسف الازرق ، عن الاعمش ، عن عبدالله بن أبي أوفى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الخوارج كلاب أهل النار » (٣) ·

فصل

قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الامامة بشخص الا أن يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان اماما ولو كان نبطيا (٤)· ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة في التحسين والتقبيح الى العقل وأن العدل ما يقتضيه ، ثم حدث القدرية في زمن الصحابة وصار معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم الى القول بالقدر · ونسج على منوال معبد الجهني واصل بن عطاء وانضم اليه عمرو بن عبيد · وفي ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا : لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة · ثم طالعت المعتزلة

---

(١) الواقعة : المصادمة في الحرب · ويقال وقع له واقع اذا عرض له عارض ·

(٢) الرمية الصيد الذي ترميه فينفذ فيه السهم ·(٣)ولم يسمع الاعمش من ابن ابي أوفى ·

(٤) النبطي : نسبة الى النبط بفتحتين أخلاط الناس وعوامهم ·

مثل أبي الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ، كتب الفلاسفة في زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون • وأول مسألة اظهروها القول بخلق القرآن ،وحينئذ سمي هذا الفصل فصل علم الكلام• وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر • فقال قوم : هي معاني زائدة على الذات ونفتها المعتزلة ، وقالوا : عالم لذاته • وكان أبو الحسن الاشعري على مذهب الجبائي ثم انفرد عنه الى مثبتي الصفات • ثم أخذ بعض مثبتي الصفات في اعتقاد التشبيه واثبات الانتقال في النزول ، والله الهادي لما يشاء •

ذكر تلبيسه على الرافضة

قال المصنف : وكما لبس ابليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب • حمل آخرين على الغلو في حبه ، فزادوه على الحد ، فمنهم من كان يقول : هو الآله ، ومنهم من يقول : هو خير من الانبياء ، ومنهم من حمله على سب أبي بكر وعمر حتى ان بعضهم كفر أبا بكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التي يرغب عن تضييع الزمان بذكرها ، وانما نشير الى بعضها •

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، قال : حدث أبو يعقوب اسحاق بن محمد النخعي ، عن عبدالله بن محمد بن عائشة وأبي عثمان المازني وغيرهما ، وسمعت عبدالواحد بن علي بن برهان الاسدي يقول : اسحق بن محمد النخعي الاحمر كان يقول : ان عليا هو الله ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه ، قال الخطيب : ووقع الي كتاب لابي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة • وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الامامية ، فذكر أصناف مقالات الغلاة الى أن قال : وقد كان ممن جره الجنون في الغلو في عصرنا اسحاق بن محمد المعروف بالاحمر ، كان يزعم أن عليا هو الله عز وجل ، وأنه يظهر في كل وقت فهو الحسن في وقت وكذلك هو الحسين ، وهو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم •

قال المصنف : قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين ، وقال بعضهم : ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول بالتبري من غير علي • وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبري ممن خالف عليا في امامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة •

ومنهم أقوام قالوا : الامامة في موسى بن جعفر ثم في ابنه علي ثم الى محمد بن علي ثم الى علي بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكري ثم الى ابنه محمد وهو الامام الثاني عشر الامام المنتظر الذي يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع في اخر الزمان فيملا الارض عدلا • وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن علي الباقر ويدعي أنه خليفة ، وانه عرج به الى السماء فمسح الرب بيده على رأسه ، وزعم انه الكسف الساقط من السماء • وكانت طائفة من الرافضة يقال لها : الجناحية وهم أصحاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذي الجناحين يقولون : ان روح الاله دارت في أصلاب الانبياء والاولياء الى أن انتهى الى عبدالله ، وأنه لم يمت ، وهو المنتظر ، ومنهم طائفة يقال لها : الغرابية يثبتون شركة علي في النبوة • وطائفة يقال لها المفوضة يقولون: ان الله عز وجل خلق محمدا ثم فوض خلق العالم اليه • وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون : كان مأمورا بالنزول على علي فنزل على محمد • ومنهم من يقول : ان أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها •

وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوما ، فقال رجل من آل علي رضي الله عنه، قال : أنا من أولاد علي رضي الله عنه ،فقال : يا أمير المؤمنين اعدني على من ظلمني ، قال : ومن ظلمك ، قال : أنا من أولاد علي رضي الله عنه ، والذي ظلمني أبو بكر ر ضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة ، قال : ودام على ظلمكم ؟ قال : نعم ، قال : ومن قام بعده، قال : عمر رضى الله عنه ،قال : ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال :ومن قام بعده،قال عثمان رضىاللهعنه،قال: ودام على ظلمكم ؟ قال : نعم ، قال : ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب اليه •

قال ابن عقيل : الظاهر ان من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة ، وذلك أن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر غائب عنا ، وانما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين الى ذلك منهم • فكأننا نظرنا اذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله ، فاذا قال قائل : انهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في ارثها وما هذا الا لسوء اعتقاد في المتوفى • فان الاعتقادات الصحيحة سيما في الانبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهليهم وذريتهم • فاذا قالت الرافضة : ان القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع ، لانه ليس بيننا وبينه الا النقل عنهم والثقة بهم • فاذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول ، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول ، ولم نأمن ان

يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه الا الاقل من أهله • فطاحت(١) الاعتقادات، وضعفت النفوس، عن قبول الروايات في الاصل، وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة •

قال المصنف : وغلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه حملهم على أن وضعوا احاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه • وقد ذكرت منها جملة في كتاب «الموضوعات» • منها أن الشمس غابت ففاتت عليا صلاة العصر فردت له الشمس • وهذا من حيث النقل موضوع، لم يروه ثقة، ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت • وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفي بذلك الغسل • وهذا من حيث النقل كذب، ومن حيث المعنى قلة فهم • لان الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها الى مستند • ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الاجماع • فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل • قال : نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية • منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الارض • فأما الصوف والجلود والوبر فلا • وان الاستجمام لا يجزىء في البول بل في الغائط خاصة، ولا يجزىء مسح الرأس الا بباقي البلل الذي في اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفا لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج الى استئناف الطهارة • وانفردوا بتحريم من زنى بها وهي تحت زوج أبدا، فلو طلقها زوجها لم تحل للزاني بها بنكاح أبدا • وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وان وجد شرطه • وأن الطلاق لا يقع الا بحضور شاهدين عدلين • وأن من نام عن صلاة العشاء الى أن مضى نصف الليل وجب عليه اذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائما كفارة لذلك التفريط • وأن المرأة اذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ • وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين • وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم • وأن شارب الخمر اذا حد ثانية قتل في الثالثة • ويحد شارب الفقاع (٢) كشارب الخمر، وأن قطع السارق من أصول الاصابع ويبقى له الكف، فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى، فان سرق الثالثة خلد

---

(١) طاح السهم : خرج وتاه عن غرضه •

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزبد، فاذا كان مسكرا ففيه الحد•

في الحبس الى أن يموت • وحرموا السمك الجرى (١) •وذبائح أهل الكتاب واشترطوا في الذبح استقبال القبلة • في مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الاجماع وسول لهم ابليس وضعها على وجه لا يستندون فيه الى أثر ولا قياس • بل الى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى • وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم اماما معصوما وابتلوا بسب الصحابة •

وفي «الصحيحين» عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لا تسبوا أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد(٢) ذهبا ما أدرك مدأحدهم ولا نصيفه (٣)» • وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قالا : أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة ، نا أبو طاهر المخلص ، ثنا البغوي ، ثنا محمد بن عباد المكي ، ثنا محمد بن طلحة المديني ، عن عبدالرحمن بن سالم بن عبد اللهبن عويم بن ساعدة ، عن أبيه ،عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله اختارني واختار لي أصحابا ، فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا» (٤) •

قال المصنف : والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة •

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار ، نا أبو بكر الطريثيثي ، نا هبة الله بن الحسن الطبري ، نا عبيد الله بن محمد بن أحمد ، نا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي ، ثنا أبي ، ثنا الحسن بن عمارة ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سويد بن غفلة ، قال : مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على علي بن أبي طالب ، فقلت : يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله

---

(١) الجري او الجريث : نوع من السمك النهري الطويل المعروف بالحنكيس ، ويدعونه في مصر : ثعبان الماء •

(٢) اي جبل احد وهو في المدينة المنورة •

(٣) أي لو انفق احدكم مثل الطود العظيم ذهبا ما وصل من الفضيلة والمثوبة مثوبة او انفق احدهم من مد طعام ولا نصفه والحديث رواه الجماعة •

(٤) وفيه عبدالرحمن بن سالم وهو مجهول كما قال في «التقريب» والراوي عنه محمد بن طلحة صدوق يخطيء •

عنهما بغير الذي هما له أهل ، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك ، قال علي : أعوذ بالله ، أعوذ بالله أن أضمر لهما الا الذي ائتمنني النبي عليه ، لعن الله من أضمر لهما الا الحسن الجميل، أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ، ثم نهض دامع العينين يبكي قابضا على يدى حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنا قابضا على لحيته وهو ينظر فيها ، وهي بيضاء حتى اجتمع لنا الناس ، ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة ، ثم قال : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ، ومما قالوه بريء ، وعلى ما قالوا معاقب . أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة (١) لا يحبهما الا مؤمن تقي ولا يبغضهما الا فاجر شقي ، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى غير رأيهما ، ولا يحب كحبهما أحدا ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده . ولاه المؤمنون ذلك ، وفوضوا اليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين ، وأنا أول من سن له ذلك من بني عبدالمطلب وهو لذلك كاره ، يود لو أن منا أحدا كفاه ذلك .وكان والله خير من أبقى، أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعا وأقدمه سنا واسلاما . شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة ، وبابراهيم عفوا ووقارا فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الامر بعده لعمر رضي الله عنه وكنت فيمن رضي . فأقام الامر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل(٢)أثر أمه ، وكان والله رفيقا رحيما بالضعفاء ، ناصرا للمظلومين على الظالمين ، لا يأخذه في الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه ، وجعل الصدق من شأنه ، حتى ان كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه أعز الله باسلامه الاسلام ، وجعل هجرته للدين قواما ، وألقى له في قلوب المنافقين الرهبة . وفي قلوب المؤمنين المحبة ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظا غليظا على

---

(١) النسمة : كل دابة فيها روح . وبرأها : خلقها .

(٢) الفصيل ولد الناقة او البقرة اذا فصل عن أمه .

الاعداء ، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضي في سبيلهما ، فمن أحبني فليحبهما ، ومن لم يحبهما فقد أبغضني ، وأنا منه بريء ، ولو كنت تقدمت اليكم في أمرهما لعاقبت في هذا أشد العقوبة الا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فان عليه ما على المفتري ، الا وخير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو • أقول قولي واستغفر الله لي ولكم (١) •

أخبرنا سعد الله بن علي ، نا الطريثيثي ، نا هبة الله الطبرى ،نا محمد بن عبدالرحمن ، نا البغوي ، ثنا سويد بن سعيد ، ثنا محمد بن حازم ، عن أبي خباب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني ، عن علي كرم الله وجهه ، قال : يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز (٢) يقال لهم : الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا ، وآية ذلك انهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فانهم مشركون •

ذكر تلبيس ابليس على الباطنية

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم ، بل يزعمون أن الله حق وأن محمدا رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر ، وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء :

الاسم الاول : **الباطنية** ـ سموا بذلك لانهم يدعون أن لظواهر القرآن والاحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر ، وانها بصورتها توهم الجهال صورا جلية ، وهي عند العقلاء رموز واشارات الى حقائق خفية ، وان من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التي هي تكليفات الشرع • ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ، قالوا : وهم المرادون بقوله تعالى : «ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم» (آلاعراف : ١٥٧) ومرادهم ان ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل عن ابطال الشرائع •

---

(١) وفيه الحسن بن عمارة وهو متروك •

(٢) النبز : اللقب •

الاسم الثاني : **الاسماعيلية** ـ نسبوا الى زعيم لهم يقال له : محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويزعمون أن دور الامامة انتهـــى اليه ، لانه سابع • واحتجوا بأن السموات سبع والارضين سبع وأيام الاسبوع سبعة • فدل على أن دور الائمة يتم بسبعة ، وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون : العباس ثم ابنه عبدالله ثم ابنه علي ثم ابنه محمد بن علي ثم ابراهيم ، ثم السفاح ، ثم المنصور •

وذكر أبو جعفر الطبري في «تاريخه» قال : قال علي بن محمد عن أبيه ان رجلا من الراوندية كان يقال له : الابلق ـ وكان أبرص ـ فبكى بالعلو(١) ودعا الراوندية اليه ، وزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت الى علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ثم في الائمة واحدا بعد واحد الى ان صارت الى ابراهيم بـــن محمد ، واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته • فبلغ ذلك أسد بن عبدالله فقتلهم وصلبهم • فلم يزل ذلك فيهم الى اليوم • وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الارض الا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس في السلاح ، وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت •

الاسم الثالث : **السبعية** ـ لقبوا بذلك لامرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا ، وأن الانتهاء الى السابع هو آخر الادوار ، وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر له ، والثاني لقولهم ان تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة : زحل ثم المشتري ثم المريخ ، ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد ، ثم القمر •

الاسم الرابع : **البابكية** ـ قال المصنف : وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له : بابك الخرمي ، وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنا ، فظهر في بعض الجبال بناحية أذر بيجان سنة احدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات ، وكان اذا علم أن عند أحد بنتا جميلة أو أختا جميلة طلبها فان بعثها اليه والا قتله وأخذها ، ومكث على هذا عشرين سنة ، فقتل ثمانين ألفا وقيل خمسة وخمسين الفا وخمسمائة انسان ، وحاربه السلطان وهزم خلقا من الجيوش حتى بعث المعتصم أفشين فحاربه فجاء ببابك وأخيه في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فلما دخلا قال لبابك أخوه :

---

(١) من علا يعلو : اذا ارتفع : فلعله كان يرفع صوته بالبكاء •

يا بابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الان صبرا لم يصبره أحد • فقال : سترى صبري فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه ، فلما قطعوا مسح بالدم وجهه ، فقال المعتصم : أنت في الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعا من الموت ، فقال : لا ، ولكنى لما قطعت أطرافى نزف الدم ، فخفت أن يقال عني : انه اصفر وجهه جزعا من الموت ، قال : فيظن ذلك بي فسترت وجهي بالدم كيلا يرى ذلك مني • ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه ، فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهرا جزعا لعنهما الله ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال ان لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، ويطفئون السرج ثم يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم الى امرأة ، ويزعمون أن من احتوى(١) على امرأة يستحلها بالاصطياد لان الصيد مباح •

الاسم الخامس : **المحمرة** ــ قال المصنف : سموا بذلك لانهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها •

الاسم السادس : **القرامطة** ــ قال المصنف : وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان :

أحدهما ــ أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا الى امام من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزل على رجل يقال له : كرميتة لقب بهذا لحمرة عينية وهو بالنبطية حاد العين ،فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية ، فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح الى مكانه • فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج الى الشام فسمي كرميتة باسم الذى كان نازلا عليه ، ثم خفف فقيل : قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده •

والثاني ــ أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة الى رجل يقال له : حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء ، فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية • وكان هذا الرجل من أهل الكوفة ، وكان يميل الى الزهد فصادفه احد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه الى قرية وبين يديه بقر يسوقها • فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه : أين مقصدك • فذكر قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه لئلا تتعب ، فقال : انى لم أومر

---

(١) احتوى على الشيء : أحرزه •

بذلك ، فقال : وكأنك لا تعمل الا بأمر ؟ قال : نعم ، قال : وبأمر من تعمل ؟ قال : بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة ، فقال : ذلك اذن هو الله رب العالمين • فقال : صدقت • قال له : فما غرضك في هذه القرية التي تقصدها ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ومن الشقاء الى السعادة • وان أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله وأفض علي من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجي الى مثل هذا ، فقال : ما أمرت أن أخرج السر المخزون الى كل أحد الا بعد الثقة به والعهد اليه • فقال : اذكر عهدك فاني ملتزم به ، فقال له أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الامام الذي ألقيه اليك ولا نفس سري أيضا ، فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له، ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة ، فسمي اتباعه القرامطة والقرمطية • ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه ، وكان أشدهم بأسا رجل يقال له : أبو سعيد ، ظهر في سنة ست وثمانين ومائتين وقوي أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف • وفتك بالحاج وسن لاهله وأصحابه سننا ، وأخبرهم بمحالات • وكان اذا قاتل يقول وعدت النصر في هذه الساعة • فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائرا من جص • وقالوا : اذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره ، وجعلوا عند القبر فرسا وخلعة ثياب وسلاحا ، وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وان لم يكن له فرس حشر ماشيا • وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه اذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا سمعوا من يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : أتأكل رزق أبي سعيد وتصلي على أبي القاسم ؟ وخلف بعده ابنه أبو طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة ، فأخذ ما فيها من الذخائر، وقلع الحجر الاسود فحمله الى بلده ، وأوهم الناس أنه الله عز وجل •

الاسم السابع : **الخرمية** ـ وخرم(١) لفظ أعجمي ينبىء عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان له • ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات ، كيف كانت وطي بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد ، وقد كان هذا الاسم لقبا للمزدكية ، وهم أهل

---

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة ، بوزن سكر ، صفة مشبهة بالفارسي بمعنى جذلان ومسرور •

الاباحة من المجوس الذين نبغوا (١) فى ايام قباذ وأباحوا النساء **المحرمات** ، وأحلوا كل محظور ، فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم في **نهاية هذا** المذهب ، وان خالفوهم في مقدماته ٠

الاسم الثامن : **التعليمية** ــ لقبوا بذلك لان مبدأ مذهبهم ابطال الرأي وافساد تصرف العقول ، ودعاء الخلق الى التعليم من الامام المعصوم ، وأنه لا يدرك العلوم الا بالتعليم ٠

فصــــل

في ذكر السبب الباعث لهم على الدخول في هذه البدعة ٠

قال المصنف : اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى اخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع ، وتكذيب الرسل وجحد البعث ، وزعمهم أن الانبياء ممخرقون ومنمسون (٢) ، ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار (٣) فى الاقطار ، وانهم قد عجزوا عن مقاومته ، فقالوا : سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أزكاهم عقلا وأتحفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالاكاذيب ، وهم الروافض فنتحصن بالانتساب اليهم ونتودد اليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا اليهم الشريعة ، فاذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا الى ما نقلوه فأمكن استدراجهم الى الانخداع عن الدين ، فان بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والاخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق ، وانما الفطنة في اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهم عقائدنا ونزعم أنهـــا المراد بظواهرها عندكم فاذا تكثرنا (٤) بهؤلاء سهل علينا استدراج باقــي الفرق ٠ ثم قالوا : وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ، ويزعم انه من أهل البيت وانه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ والمعصوم من الخطأ والزلل

---

(١) ظهروا ٠

(٢) ممخرقون أي مكذبون مموهون ، ومنمسون أي ملبسون على الناس الحق بالباطل ٠

(٣) اي انتشر ٠

(٤) تكثر من الشيء : اتخذ منه كثيرا ٠

من جهة الله عز وجل ، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة ، فان قرب الدار يهتك الاستار • واذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة ان يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره ؟ وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس ، والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم •

فصل

قال المصنف : وللقوم حيل في استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه • فاذا طمعوا في شخص نظروا في طبعه، فان كان مائلا الى الزهد دعوه الى الامانة والصدق وترك الشهوات • وان كان مائلا الى الخلاعة قرروا في نفسه ان العبادة بله(١) • وان الورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية • ويثبتون عند كل ذي مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقده فيستجيب لهم اما رجل ابله أو رجل من أبناء الاكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الاسلام أو رجل يميل الى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله• او شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق • أو رافضي يتدين بسب الصحابة رضي الله عنهم • أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين في الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات • وثقل عليه التكليف •

فصل

ذكر نبذة من مذاهبهم

قال أبو حامد الطوسي : الباطنية قوم يدعون الاسلام ويميلون الى الرفض • وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام • فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثاني • قالوا : والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم • ولا هو معلوم ولا هو مجهول • ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثاني • وهو أول مبدع • ثم حديث النفس الكلية • وعندهم أن لنبى عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة

---

(١) بله بلها وبلاهة : ضعف عقله وعجز رأيه •

الثاني قوة قدسية صافية • وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص • واتفقوا على أنـــه لا بد لـــكل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام في العصمة • وأنكروا المعاد وقالوا : معنى المعاد عود الشيء الى أصله وتعود النفس الى أصلها • وأما التكليف • فالمنقول عنهم الاباحة المطلقـــة وإستباحة المحظورات ، وقد ينكرون هذا اذا حكي عنهم وانما يقرون بأنه لا بد للانسان من التكليف • فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف • ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها اذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا ، فقالوا : معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر • ومعنى الغسل : تجديد العهد على من فعل ذلك • ومعنى الزنا القاء نطفة العلم الباطنَ في نفس من لم يسبق معه عقد العهد • والصيام : الامساك عن كشف السر ، والكعبة هي النبي • والباب علي • والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة ، والسفينة الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوته • ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة • وذبح اسحاق معناه أخذ العهد عليه • وعصى موسى حجته ، ويأجوج مأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون : ان الله عز وجل لما أوجد الارواح ظهر لهم فيما بينهم كهم (١) فلم يشكوا أنه واحد منهـــم فعرفوه ، فأول من عرفه سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر ، وأول المنكرين الذي يسمى ابليس : عمر بن الخطاب • في خرافات ينبغي أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها ، ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وانما اخترعوا بواقعاتهم (٢) ما أرادوا ، فان اتفقت مناظرة لاحدهم فليقل له : اعرفتم هذه الاشياءالتى تذكرونها عن ضرورة أو عن نظر ، أو عن نقل عن الامام المعصوم • فان قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذوو العقول السليمة • ولو ساغ للانسان ان يهذى(٣) بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة في نقض ما ادعاه • وان قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل لانه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وان قلتم عن امام معصوم ، قلنا : فما الذي دعاكم الى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد صلى الله عليه وسلم مع المعجزات • ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الامام

---

(١) أي مثلهم •

(٢) يقصد انهم اتبعوا أهواءهم •

(٣) من الهذيان اي تكلم بكلام غير معقول •

المعصوم له باطن غير ظاهر • ثم يقال لهم : هذه البواطن والتأويلات يجب اخفاؤها أم اظهارها • فان قالوا : يجب اظهارها ، قلنا : فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم • وان قالوا : يجب اخفاؤها ، قلنا : ما وجب على الرسول اخفاؤه كيف حل لكم افشاؤه •

قال ابن عقيل : هلك الاسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية • فأما أهل البواطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء الا وقد وضعوا وراءه معنى ، حتى أسقطوا ايجاب الواجب ، والنهي عن المنهى • وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله • فحملوا الاسماء والصفات على ما عقلوه • والحق بين المنزلتين • وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ، ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع •

قال المصنف : ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم • بل التوبيخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه • بأن أقول ان للامال طرقا تسلك ووجوها توصل • ووضع الامل في جهة اليأس حمق ، ومعلوم أن هذه الملل التي قد طبقت الارض أقر بها شريعة الاسلام التي تتظاهرون بها • وتطمعون في افسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع في تمحيقها فضلا عن ازالتها حمقا • فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع في الجوامع ومجمع كل يوم في المساجد فمتى(١) تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الامر الظاهر • في الآفاق يؤذن كل يوم على ألوف المنائر (٢) بأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة ، أو متقدم في قلعة ، ان نبس بكلمة يرمي رأسه وقتل قتل الكلاب ، فمتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الامر الكلي الذي طبق البلاد ، فما أعرف أحمق منكم الى أن يجيء الى باب المناظرة بالبراهين العقلية •

فصـــل

قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين في سنة أربع وتسعين واربعمائة ،فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقا منهم لما تحقق مذهبهم

---

(١) لعلها فحتى متى ، أو كيف •

(٢) جمع منارة وهي المئذنة •

فبلغت عدة القتلى تلثمائة ونيفا ، وتتبعت اموالهم فوجد لاحدهم سبعون بيتا من اللالي المحفور وكتب بذلك كتاب الى الخليفة ، فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ، ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب • وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا • وصار كل من في نفسه شيء من انسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله •

وأول ما عرف من أحوال الباطنية في أيام الملك شاه جلال الدولة انهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد في ساوة • ففطن بهم الشحنة(١) فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم • ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه ، فبلغ الخبر الى نظام الملك فتقدم يأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجارا ، وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك • وكانوا يقولون قتلتم منا نجارا فقتلنا به نظام الملك • واستفحل أمرهم بأصبهان ، فلما مات ملك شاه وآل الامر الى أنهم كانوا يسرقون الانسان ويقتلونه ويلقونه في البئر • وكان الانسان اذا دنا وقت العصر ولم يعد الى منزله أيسوا منه • وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير ، فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا ، فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة •وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار ، فاذا مر انسان سأله أن يقوده خطوات الى الزقاق ، فاذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون في طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا •

وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة في ناحية يقال لها : الروزباد من نواحي الديلم،وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه ،وكان يستحفظها (٢)متهما بمذهب القوم • فأخذ الفا ومائتي دينار وسلم اليهم القلعة في سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملك شاه ،وكان مقدمها الحسن بن الصباح ، وأصله من مرو وكان كاتبا للرئيس عبدالرزاق بن بهرام اذ كان صبيا ، ثم صار الى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم ، وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو الا غبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ، ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز(٣) حتى ينبسط

---

(١) شحنة البلد : من أقامهم الملك لضبطها وهم المعروفون برجال الشرطة •

(٢) استحفظه مالا : سأله أن يحفظه •

(٣) الشونيز : الحبة السوداء •

دماغه ، ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك في نفسه ، ثم يقول : اذا كانت الازارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في قتال بني أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة امامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف، وكان ملك شاه قد أرسل الى ابن الصباح هذا يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالفه ، ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والامراء ، فقال في جواب الرسالة والرسول حاضر : الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه : أريد أن أنفذكم الى مولاكم في حاجة ، فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك ، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها اياهم ، فأومأ الى شاب منهم فقال له : اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته (١) فخر ميتا • وقال لآخر : ارم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت الى رسول السلطان ، فقال : أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفا ، هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب ، فعاد الرسول الى السلطان ملك شاه فأخبره بما رأى ،فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الامراء والوزراء •

قال المصنف : وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هنا •

فصل

وكم من زنديق في قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوي يلقى بها من يصحبه ، وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين • وفي العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات ، فمنهم بابك الخرمي حصل له مقصوده من اللذات ، ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ في الاذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذي خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك ، فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت عواقبهم في الدنيا أقبح العواقب ، فما وفى ما نالوا بما نيل منهم (٢) • ومنهم من لم يبرح على تعثيره (٣) ففاتته الدنيا والاخرة مثل ابن الراوندي والمعري •

أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم على بن المحسن التنوخي ،

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء في الحلق ، والجمع غلاصم •

(٢) أي خسروا اكثر مما ربحوا •

(٣) من العثار وهو السقوط •

عن أبيه ، قال : كان ابن الراوندي ملازم الرافضة وأهل الالحاد فاذا عوتب قال : انما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم كاشف وناظر •

قال المصنف : من تأمل حال (١) **ابن الراوندى وجده من كبار الملاحدة** ، وصنف كتابا سماه « الدامغ » زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة ، فسبحان من دمغه فأخذه وهو في شرخ الشباب ، وكان يعترض على القرآن ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة ، وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالالكن (٢) • وأما **ابو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الالحاد ، وكان** يبالغ في عداوة الانبياء ولم يزل متخبطا في تعثيره خائفا من القتل الى أن مات بخسرانه • وما خلا زمان من خلف للفريقين الا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله • **فليس الا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس** وأخسأهم قدرا • وأردأهم عيشا • وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في التاريخ فلم نر التطويل بذلك ، والله الموفق •

---

(١) **ومن تتبع شعر ابي العلاء المعري وسيرة ابن الراوندي علم أنهما على جانب عظيم من الالحاد والزندقة الا ان المعري يتستر كثيرا بخلاف ابن الراوندي •**

(٢) **العيي ، الثقيل اللسان •**

الباب السادس

في ذكر تلبيس ابليس على العلماء في فنون العلم

قال المصنف : : اعلم أن ابليس يدخل على الناس في التلبيس من طرق منها ظاهر الامر ، ولكن يغلب الانسان في ايثار هواه فيغمض على علم يذلله (١) •ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء• ونحن نشير الى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها اذ حصر الطرق يطول ، والله العاصم •

ذكر تلبيسه على القراء

فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والاقراء بها ، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات• فربما رأيت امام مسجد يتصدى للاقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة • وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم (٢) ، ولو تفكروا لعلموا ان المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الاقبال على ما يصلح النفس ويطهر اخلاقها ، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع • ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الاهم •

قال الحسن البصري : أنزل القرآن ليعمل به ، فاتخذ الناس تلاوته عملا، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به ، ومن ذلك أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور ، والصحيح عند العلماء ان الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وانما مقصود هذا اظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس واقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن • ومنهم من يجمع القراءات فيقول : ملك (٣) مالك ملاك ، وهذا لا يجوز لانه اخراج للقرآن عن نظمه • ومنهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه ، وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب الى اجتماع النساء والرجال بالميل للفساد ، ويريهم ابليس أن في هذا اعزازا

---

(١) ذلله : سهله •

وفي نسخة : وربما حمله حب التصدر حتى اجترأ بعين الجهل على أن يجيب في فتوى

(٢) بما يقع له ، وان لم يجز في مذهبه •

(٣) أي مالك يوم الدين •

للاسلام ، وهذا تلبيس عظيم لان اعزاز الشرع باستعمال المشروع • ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه ، فقال : أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الامر في ذلك قريب لكونه يروي القراءات ويراها فعل خير ، وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين • ومن ذلك أن المقرىء المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الاشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان • وقد كان بعض المحققين يقول : ينبغي أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ، ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات (١) ، فان قصر عيب، وان أتم مدح، وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السعاة ، ويريهم ابليس أن في كثرة التلاوة ثوابا ، وهذا من تلبيسه لان القراءة تنبغي أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها، وتنبغي أن تكون على تمهل ، وقال عز وجل : «لتقرأه على الناس على مكث» (الاسراء:١٠٦) وقال عز وجل : «ورتل القرآن ترتيلا» (المزمل :٤) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت الى حد قريب ، وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي •

أنبأنا محمد بن ناصر ، نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى ، نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ، ثنا الفضل بن الفضل ، ثنا السياحى ،ثنا الربيع بن سليمان ، قال : قال الشافعي : أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ، ولا بأس بقراءة الالحان وتحسين الصوت •

قال المصنف : وقلت : انما أشار الشافعي الى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيرا ، فأما اليوم فقد صبروا ذلك على قانون الاغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته • فان أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك • ومن ذلك أن قوما من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء ، وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب ، واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب ، واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : «لو جعل القرآن في اهاب

---

(١) وقد قال رسول الله (ص) : لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث • رواه ابو داوود

(٢) والترمذي والدارمي واسناده صحيح •

ما احترق(١) » وذلك من تلبيس ابليس عليهم لان عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لا يعلم ، اذ زيادة العلم تقوي الحجة وكون القارىء لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر . قال الله عز وجل : «أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى» (الرعد : ١٩) وقال في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين» (الاخراب : ٣) .

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا أبو الحسن بن زرقويه ، نا اسماعيل الصفار ، ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا معروف الكرخي ، قال : قال بكر بن حبيش : ان في جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات . وان في الوادي لجبا يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات ، وان في الجب لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي رب يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان ، فقيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم .

قال المصنف : فلنقتصر على هذا الانموذج فيما يتعلق بالقراء .

ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوما استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الاسانيد (٢) العالية والمتون الغريبة ، وهؤلاء على قسمين :

قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد الا أن ابليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث فان قال قائل : فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم،فالجواب ان أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وابن عدي والبيهقي . قال العراقي : وسنده ضعيف ، وقال الهيثمي : فيه ابن الضحاك متروك . والاهاب الجلد .

(٢) الاسناد العالي : هو القريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد او القريب من أمام من أئمة الحديث .

وقلة الحديث فاتسع زمانهم للامرين ، فأما في هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت ، وما في هذا الكتاب في تلك الكتب ، وانما الطرق تختلف فقل ان يمكن أحدا أن يجمع بين الامرين ، فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر الى بعض أحداث المتفقهة الذين يترددون اليه لسماع الحديث منه ، وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين ، فقالوا: زوامل(١) أسفار لا يدرون ما معهم • فان أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك ، وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه رزع غيره (٢) فقال جماعة ممن حضر : قد كنا اذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه الى جيراننا ونحن نستغفر الله • فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا •

قال الخطابي : وكان بعض مشايخنا يروي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام • قال : وأخبرني : أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة ، قال : فقلت له : انما هو الحلق جمع حلقة ، وانما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة • فقال : قد فرجت علي وكان من الصالحين • وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، قال : سمعت البرقاني يقول : قال أبو بكر الابهري الفقيه قال : كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد فجاءته امرأة ، فقالت : أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت ، فهل الماء طاهر أو نجس ؟ فقال يحيى : ويحك ، كيف سقطت الدجاجة في البئر ؟ قالت : لم تكن البئر مغطاة ، فقال يحيى : ألا غطيتيها حتى لا يقع فيها شيء ، قال الابهري : فقلت : يا هذه ان كان الماء تغير فهو نجس والا فهو طاهر •

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئا •

---

(١) اي حوامل كتب •

(٢) يشير الى ما رواه ابو داود في سننه «رقم ٢١٥٨» عن رويفع مرفوعا : (لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسقي ماءه زرع غيره) ورواه الترمذي مختصرا وقال : حديث حسن •

وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل ، فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة (١) فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى ·

وأنبأنا محمد بن أبي منصور ، نا أحمد بن الحسين بن حبرون ، نا أحمد بن محمد العتيقي ، نا أبو عمر بن حياة ، نا سليمان بن اسحاق الحلاب ، ثنا ابراهيم الحربي ، قال : بلغني أن امرأة جاءت الى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار الف نفس ، فقالت له : حلفت بصدقة ازاري (٢) ، فقال لها : بكم اشتريتينه ؟ قالت : باثنين وعشرين درهما ، قال : اذهبي فصومى اثنين وعشرين يوما ، فلما مرت جعل يقول : آه آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار ·

قال المصنف : قلت : فانظروا الى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الاقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط · واعلم ان عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لانهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى المحكم ،وقدرأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل · ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الاعيان وايثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس ابليس ·

القسم الثاني قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحا ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق ، وانما كان مرادهم العوالي (٣)والغرائب (٤)، فطافوا البلدان ليقول احدهم : لقيت فلانا ولى من الاسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري · وقد كان دخل الينا الى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطىء دجلة ، فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته : حدثني فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الاسفار لطلب الحديث · وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول : حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث ·وكان

---

(١) من يضحك عليه الناس ·

(٢) الازار : كل ما ستر كالملحفة وغيرها ·

(٣) أي الاحاديث ذات الاسناد العالي ·

(٤) أي الاحاديث الغريبة ·

يقول : حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمان الطلب ٠

قال المصنف : وهذا كله من الاخلاص بمعزل(١) ، وانما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه ، وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين ٠ وربما رحل أحدهم الى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب ٠

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلبا للتشفي ، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الامة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ، ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا ، فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفا ثم يقول : وفي حديث الشيخ ما فيه ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري ، نا أبو سعيد بن أبي صادق ، نا أبو عبدالله بن باكويه ، ثنا بكران بن أحمد الجيلي ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت حارثا المحاسبي عن الغيبة ، فقال : احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضي به خصماءك(٢) ومن تبغضه في الدنيا كيف ترضي به خصمك يوم القيامة ، يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته اذ ليس هناك درهم ولا دينار ، فاحذرها وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية ٠

وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على ابداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ولو صح ما كان عونا على الغيبة ، وهو قوله : أترعون(٣) عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس(٤) ٠ ولو كان الخبر محفوظا صحيحا

---

(١) اي هو بعيد عنه ٠

(٢) مفرده خصيم وهو المخاصم ٠

(٣) اي تتورعون ٠

(٤) رواه أبو يعلي والعقيلي وابن عدى وابن حبان والطبراني وغيرهم بلفظ : «اترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس» ٠ وفي سنده الجارود بن يزيد وقد رمي بالكذب وقد تفرد به وقال في «الميزان» : موضوع ٠

لم يكن فيه ابداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه ، وانما اذا جاءك مسترشد ، فقال : أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك : أريد أن أودع مالي فلانا وليس ذلك الرجل موضعا للامانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ، أو يقول لك رجل : أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله امامي في علم ، فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته ٠

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدي عوار الاخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له ٠ وأما منبع الغيبة من الرؤساء والاساتذة فمن طريق ابداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين : فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بابداء الرحمة والشفقة على أخيه ٠ ثم يتصنع بالدعاء له عند اخوانه، ويقول : انما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضا أو تصريحا ، فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها ، فقال عز وجل : «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» (الحجرات : ١٢) وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة ٠

ومن تلبيس ابليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع ، وهذه جناية منهم على الشرع ، ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» (١) ٠ ومن هذا الفن تدايسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم : فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع ، وهذا قبيح لانه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ٠ ومنهم من يروي عن الضعيف والكذاب فينفي اسمه ، فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه الى جده لئلا يعرف ، وهذه جناية على الشرع لانه يثبت حكما بما لا يثبت به ، فاما اذا كان المروي عنه ثقة فنسبه الى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى انه قد ردد الرواية عنه ، أو يكون المروى عنه في مرتبة الراوي فيستحي الراوي من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروي عنه ثقة ، والله الموفق ٠

---

(١) رواه مسلم في (صحيحه) ولفظه : «من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين» ٠

م (٩)

قال المصنف : كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الامر يتناقص حتى قال المتأخرون : يكفينا أن نعرف آيات الاحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث ك «سنن أبي داود» ونحوها ثم استهانوا بهذا الامر أيضا ، وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناهـا وبحديث لا يدري أصحيح هو أم لا ، وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته الى معرفة النقل ، وانما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه •

ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري أصحيح هو أم لا ، ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الانسان الى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ، ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن ان يطالعوا علم الحديث حتى اني رأيت بعض الاكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في الصحاح : لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ، ورأيته يحتج في مسألة فيقول : دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال : كذا ، ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول : هذا الحديث لا يعرف ، وهذا كله جناية على الاسلام •

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ، ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وانما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام ، فيتقدم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلبا للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى •

ذكر تلبيسه عليهم بادخالهم في الجدل كلام الفلاسفة واعتمادهم على تلك الاوضاع

ومن ذلك ايثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة ليتسع لهم المجال في النظر • وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ، ومن الادب(١)

---

(١) بل من الواجب •

تقديم الاستدلال بالحديث • ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه • ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار ازالة النجاسة والماء المتغير ، وهي محتاجة الى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة • ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع الا أنها لا تنهض بكل المطلوب • ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذي تمذهب (١) له لم يمكنهم سلوك طريقهم • وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم • فاذا نظر في سير القدماء زاحمهم (٢) وتأدب بأخلاقهم •

وقد كان بعض السلف يقول : حديث يرق له قلبي أحب الى من مائة قضية من قضايا شريح (٣) • وانما قال هذا لان رقة القلب مقصودة ولها أسباب • ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع ، فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث فلا يدري ، وهذا غبن فأين الانفة من التقصير • ومن ذلك أن المجادلة انما وضعت ليستبين الصواب • وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق • وقد كانوا ينتقلون من دليل الى دليل ، واذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لان المقصود كان اظهار الحق ، فصار هؤلاء اذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها ، فقيل له : ما الدليل على الحكم في الاصل معلل بهذه العلة ، فقال : هذا الذي يظهر لي ، فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه ، فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك • ولقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل • بل في باب النصح واظهار الحق يلزمه ، ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه • وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق • وهذا من أقبح القبيح لان المناظرة انما وضعت لبيان الحق • وقد قال الشافعي رحمه الله : ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة الا سقط من عيني ، ولا قبلها الا هبته ، وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة ان كانت معه صرت اليه •

ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة ، فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفا يوجب قهر خصمه له خرج الى

---

(١) اي اتبعه في مذهبه •

(٢) اي قاربهم •

(٣) هو شريح بن الحارث القاضي الشهير ، وقد حكم سبعين سنة مات سنة ثمانين للهجرة •

المكابرة ، فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب ، فصارت المجادلة مخاذلة ، ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة ، فيقول أحدهم : تكلمت مع فلان فما قال شيئا • ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة • ومن ذلك أن ابليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره ، فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئا وينسون أن الحديث هو الاصل ، فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا : هذا كلام الوعاظ ، ومن ذلك اقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها ، وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى •

فقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي ، نا محمد بن هبة الله الطبري ، ثنا محمد بن الحسين بن الفضل، نا عبدالله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان ، ثنا الحميدي ، ثنا سفيان ، ثنا عطاء بن السائب (١) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول • قال يعقوب : وثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، قال : سمعت عبدالرحمن بن أبي ليلى أيضا يقول : أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثا الا ود أن أخاه كفاه الحديث ، ولا يسأل عن فتيا الا ود أن أخاه كفاه الفتيا •

قال المصنف : وقد روينا عن ابراهيم النخعي أن رجلا سأله عن مسألة فقال : ما وجدت من تسأله غيري ؟ وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال : ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخا هل ترون لي أن أفتي ؟ فقالوا : نعم • فقيل له : فلو نهوك ؟ قال : لو نهوني انتهيت • وقال رجل لاحمد بن حنبل : اني حلفت ولا أدري كيف حلفت ، قال : ليتك اذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك •

قال المصنف : وانما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب •

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء • مخالطتهم الامراء والسلاطين ومداهنتهم

---

(١) قال في «التقريب» : صدوق اختلط •

وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك • وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه : الاول ـ الامير يقول : لولا أني على صواب لانكر علي الفقيه وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي • والثاني ـ العامي أنه يقول: لا بأس بهذا الامير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلانا الفقيه لا يبرح عنده • والثالث ـ الفقيه فانه يفسد دينه بذلك •

وقد لبس ابليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول : انما ندخل لنشفع في مسلم ، وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك ، وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان •

ومن تلبيس ابليس عليه في أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق • ومعلوم أنها ان كانت من حرام لم يحل له منها شيء وان كانت من شبهة فتركها أولى، وان كانت من مباح جاز له الاخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاقه في اقامة الرعونة ، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح •

وقد لبس ابليس على قوم من العلماء • ينقطعون عن السلطان اقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة منْ يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس •

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لان النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ، ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم • وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول : ما أخاف من اهانتهم لي انما أخاف من اكرامهم فيميل قلبي اليهم • وقد كان علماء السلف يبعدون عن الامراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الامراء لحاجتهم اليهم في الفتاوي والولايات ، فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم • ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الامراء أن الامراء كانوا قديما يميلون الى سماع الحجج في الاصول فأظهر الناس علم الكلام • ثم مال بعض الامراء الى المناظرة في الفقه فمال الناس الى الجدل • ثم مال بعض الامراء الى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ، ولما كان جمهور العوام يميلون الى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء •

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء : ان أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما قد عرف أو ينتهي في العلم فلا يبقى له في الوقف حظ ، لانه انما جعل لمن يتعلم الا أن

يكون ذلك الشخص معيدا أو مدرسا فان شغله دائم • ومن ذلك ما يحكى عن بعض الاحداث المتفقهة من الانبساط في المنهيات ، فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكس (١) فيأخذه الى غير ذلك من المعاصي • وسبب انبساط هؤلاء مختلف • فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستتر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر • ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك ، لان نفس الجدل والمناظرة تحرك الى الكبر • والعجب وانما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف ، وأكثر القوم في بعد عن هذا، وليس عندهم الا ما يعين الطبع على شموخه ، فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد • ومنهم من يلبس عليه ابليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه ، وهيهات فان العلم أولى ان يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء • وقد قال الحسن البصري : انما الفقيه من يخشى الله عز وجل • قال ابن عقيل : رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له : ما هذا ؟ فقال : خلع السلطان وكمد الاعداء ، فقلت : بل هو شماتة الاعداء بك ان كنت مسلما ، لان ابليس عدوك واذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك ، وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين • خلع عليك السلطان فانخلعت به من الايمان ، وقد كان ينبغي أن يخلع منك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى، رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت : هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لان عدوانك دليل على فساد باطنك •

ومن تلبيسه عليهم : أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون : من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فيه القلب ويخشع • والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لان الله عز وجل قال: «نحن نقص عليك أحسن القصص» (يوسف: ٣) وقال: «فاقصص القصص» (الاعراف : ١٧٦) وانما ذم القصاص لان الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده • وربما اعتمد على ما أكثره محال ، فأما اذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا فهو ممدوح • وقد كان أحمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس الى قاص صدوق •

---

(١) مكسه : ظلمه • والمكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في اسواق الجاهلية • او ما ياخذه اعوان الدولة عن اشياء معينة عند بيعها او عند ادخالها المدن •

ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف : كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء • وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبدالله بن عمر رضي الله عنه • وكان عمر بن عبدالعزيز يحضر مجلس القاص • ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص ، وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع في هذا الفن •

وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب القصاص والمذكرين • الا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك : ان قوما منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم ابليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات(١) منهم على الشريعة لانها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج الى تتمة ، ثم قد نسوا قوله صلى الله عليه وسلم : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (٢) •

ومن ذلك أنهم تلمحوا (٣) ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الرائقـــة الغزلية في العشق • ولبس عليهم ابليس بأننا نقصد الاشارة الى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل •

ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع ، فمن كان منهم كاذبا فقد خسر الآخرة • ومن كان صادقا لم يسلم صدقه من رياء يخالطه •

ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع (٤) بها على قراءة الالحان، والالحان التي قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم أقرب منها الى الكراهة، والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وايقاع برجليه فتشبه السكر ، ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء

---

(١) افتات برايه : استبد به • واستفات على فلان في الامر : حكم عليه •

(٢) رواه الجماعة وهو حديث متواتر •

(٣) لمح الشيء بالبصر : صوب بصره اليه •

(٤) من الايقاع وهو اتفاق الاصوات وتوقيفها في الغناء •

وتمزيق الثياب لما في النفوس من دفائن الهوى ، ثم يخرجون فيقولون : كان المجلس طيبا ويشيرون بالطيبة الى ما لا يجوز •

ومنهم من يجري في مثل تلك الحالة التي شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجري لهم من البلاء ويذكر الغربة ، ومن مات غريبا فيبكي بها النساء ويصير المكان كالمأتم ، وانما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الاحباب لا ما يوجب الجزع •

ومنهم من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه ابليس: أنك من جملة الموصوفين بذلك لانك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق • وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم • ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد • وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب ، فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ، ولهذا نفقت(١) سلعهم لان الحق ثقيل والباطل خفيف •

ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع الى زاوية أو خرج الى جبل فبقيت عائلتـــه لا شيء لهم •

ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ، ثم يقوي ما ذكر بميله الى الدنيا من المراكب الفارهة (٢) والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله •

فصـــل

وقد يكون الواعظ صادقا قاصدا للنصيحة الا أن منهم من أشرب(٣) الرئاسة قلبه مع الزمان فيحب أن يعظم ، وعلامته أنه اذا ظهر واعظ ينوب

---

(١) أي راجت •

(٢) فره فرها : نشط وبطر فهو فره •

(٣) يقال : اشرب حب فلان : أي خالط حب فلان قلبه •

عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق ٠

فصل

ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء ، وترى النساء يكثرون الصياح وجدا على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لانه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الامراء والظلمة ، والاخذ من أصحاب المكوس(١)والتكسب به في البلدان، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الاحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر ٠

فصل

وقد يلبس ابليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وانما يعظ متيقظ (٢) فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس ابليس ، لانه يمنع فعل الخير ويقول : انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة ٠ فربما دخل الرياء في قولك وطريق الوحدة أسلم ٠ ومقصوده بذلك سد باب الخير ٠ وعن ثابت قال : كان الحسن في مجلس ، فقيل للعلاء : تكلم فقال : أوهناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته ٠ قال ثابت : فأعجبني ٠ قال : ثم تكلم الحسن فقال : واننا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحدا بخير ولم ينهه عن شر ٠

ذكر تلبيسه على أهل اللغة والادب

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة عن المهمات اللازمة التي هي فرض عين ، وعن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب ٠ وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه ٠ فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها ، فان الانسان اذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى الى العمل بها اذ هي

---

(١) الذين يأخذون المكس ٠ والمكس دراهم تؤخذ من البائعين عند ادخال السلعة الى البلد ٠

(٢) المتنبه للامور ٠

مرادة لغيرها • فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة الا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت الى تزكير نفسه وصلاح قلبه • ومع هـــذا ففيهم كبر عظيم ، وقد خيل لهم ابليس أنكم من علماء الاسلام لان النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز • ولعمري ان هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لاصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم ، وما عدا ذلك فضل لا يحتاج اليه وانفاق الزمـان في تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط وايثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث عبن (١) ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا • ولكن العمر قصير فينبغي ايثار الاهم والافضل •

فصـــل

ومما ظنوه صوابا وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال : قيل لفقيه العرب : هل يجب على الرجل اذا أشهد الوضوء قال : نعم ، قال : والاشهاد أن يمذي الرجل •

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ لانه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان اطلاق الفتوى على أحدهمـــا دون الآخر خطأ ، مثاله أن يقول : المستفتي : ما تقول : في وطء الرجل زوجته في قرئها ، فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض • فيقول الفقيه : يجوز اشارة الى الطهر أو لا يجوز اشارة الى الحيض خطأ • وكذلك لو قال السائل : هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر ؟ لم يجز اطلاق الجواب • فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما ـ أنه لم يستفصل في المحتملات ، والثاني ـ أنه صرف الفتوى الى أبعد المحتملات وترك الاظهر • وقد استحسنوا هذا • وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل •

فصـــل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادا عما وضع عليه من مطالعة الاحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع الى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث ، فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى

---

(١) الغبن : ضعف الراي والنسيان • او الخديعة •

أو ناظرا في مطعم ، فان النحو يغلب طلبه على السلاطين ، فيأكل النحاة من أموالهم الحرام ، كما كان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره ٠

وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبي اسحاق ابراهيم بن السري٠ قال : كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له: ان بلغت الى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي ؟ فيقول : ما أحببت ٠ فأقول له : ان تعطيني عشرين ألف دينار ٠ وكانت غاية أمنيتي فما مضت الا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له ٠ وقد صرت نديمه فدعتني نفسي الى اذكاره بالوعد ثم هبته ٠ فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي : يا أبا اسحاق ، لم أرك أذكرتني بالنذر ٠ فقلت : عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج الى اذكار لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق ٠ فقال لي : انه المعتضد ٠ ولولاه ما تعاظمني(١) دفع ذلك اليك في مكان واحد ، ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا ٠ فقلت : افعل ، فقال : اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل(٢) عليها ولا تمتنع من مسائلتي شيئا تخاطب فيه صحيحا كان أو محالا الى أن يحصل لك مال النذر ، ففعلت ذلك ، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها وربما قال لي : كم ضمن لك على هذا ، فأقول : كذا وكذا ، فيقول: غبنت هذا يساوي كذا وكذا ، فاستزد فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم (٣) ويزيدونني حتى أبلغ الحد الذي رسمه ٠ قال : فعرضت عليه شيئا عظيما فحصل عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مدة مديدة ٠ فقال لي بعد شهور : يا أبا اسحاق حصل مال النذر ، فقلت : لا ، فسكت وكنت أعرض ثم يسألني في كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول : لا خوفا من انقطاع الكسب الى أن حصل عندي ضعف المال ٠ وسألني يوما فاستحييت من الكذب المتصل ٠ فقلت : قد حصل ذلك بسعادة الوزير ، فقال : فرجت والله عني فقد كنت مشغول القلب الى أن يحصل لك ٠ قال : ثم أخذ الدواة ووقع لي الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئا ولم أدر كيف أقع منه ، فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمي فأومأ الي هات ما معك ليستدعي مني الرقاع على الرسم ، فقلت : ما أخذت من

---

(١) تعاظمه الامر : عظم عليه ٠

(٢) اي اطلب عليها جعلا : اي اجرا ٠

(٣) تماكس الرجلان في البيع : تشاحا ٠ وماكسه : استنقص الثمن ٠

أحد رقعة لان النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير ، فقال : يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئا قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح الى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رتبتك أعرض على رسمك وخذ بلا حساب ، فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع ، وكنت أعرض عليه كل يوم شيئا الى أن مات ، وقد تأثلت(١) مالي هذا ٠

قال المصنف : انظروا ما تصنع قلة الفقه ، فان هذا الرجل الكبير القدر في معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جرى له لم يجز شرعا ما حكاه وتبجح به ٠ فان ايصال الظلامات واجب ، ولا يجوز أخذ البرطيل (٢) عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة ، وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره ٠

ذكر تلبيس ابليس على الشعراء

قال المصنف : وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الادب ، وانهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم ٠ ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم ٠ فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الاعراض والاقرار بالفواحش ٠ وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين ٠ وجميع ذلك من جنس المصادرة ٠ وترى خلقا من الشعراء وأهل الادب لا يتحاشون من لبس الحرير ٠ والكذب في المدح خارجا عن الحد ٠ ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك ٠ ويقول أحدهم : اجتمعت أنا وجماعة من الادباء ففعلنا كذا وكذا ــ هيهات هيهات ليس الادب الا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له ٠ ولا قدر للفطن في أمور الدنيا ٠ ولا تحسن العبارة عند الله اذا لم يتقه ٠ وجمهور الادباء والشعراء اذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الاقدار كقول بعضهم :

لئـــن سمت همتي في الفضـــل عـــالية
فـــان حظي ببطن الارض ملتصــــق
كـــم يفعل الدهـــر بي ما لا أســـر به
وكم يسيء زمـــان جـــائر حنـــق

---

(١) تأثل المال : اكتسبه وثمره ٠

(٢) البرطيل : الرشوة ٠

وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم في هذه الغفلة ٠

ذكر تلبيس ابليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف : ان أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والادب وغير ذلك ٠ فأتاهم ابليس يخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم ٠ فمنهم من يستفزه(١) لطول عنائه في الطلب ، فحسن له اللذات ، وقال له : الى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح(٢) لنفسك في مشتهاها ، فان وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة ٠ وأورد عليه فضل العلماء ٠ فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك ، وان وفق فينبغي له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها ــ أنه انما فضل العلماء بالعمل ، ولولا العمل به ما كان له معنى ٠ واذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ، ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه ٠ والثاني ــ أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم لقوله صلى الله عليه وسلم : «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»(٣) وحكايته صلى الله عليه وسلم عن رجل يلقى في النار فتندلق أقتابه فيقول : كنت آمــر بالمعروف ولا آتية ، وأنهي عن المنكر وآتيه (٤) ٠ وقول أبي الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات ٠ والثالث ــ أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعــام ٠ ويكفي في ذم العالم اذا لم يعمل قوله تعالى : «كمثل الحمار يحمل أسفارا» (الجمعة : ٥) ٠

فصــــل

وقد لبس ابليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهــة

---

(١) يستخفه ويدعوه ليغويه ٠

(٢) يشير الى ما رواه الطبراني وغيره باسناد ضعيف جدا عن ابي هريرة مرفوعا : «ان من اشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه » ٠

(٣) فسح له : وسع له ٠

(٤) رواه الشيخان عن أسامة بن زيد وأوله : «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار» الحديث٠

أخرى ، فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة ، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم ، وتارة يقوي حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ • وعلاج هذا لمن وفق ادمان النظر في اثم الكبر والحسد والرياء واعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هـذه المكتسبات ، بـل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها • ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر • ومن عرف الله لم يراء ، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى ارادته لم يحسد •

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة ، فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب (١) الشرع ، فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض أهل البدع واطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع اذ الحساد قد ذموا من قام به ، وما تظنونه رياء فليس برياء لان من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب اذا احتمى اكثر من اقتدائهم بقوله اذا وصف •

وكشف هذا التلبيس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه أو قال حاسد عنه شيئا لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه ، وان كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه انما لم يغضب لنفسه بل للعالم • وأما الرياء فلا عذر فيه لاحد ولا يصلح أن يجعل طريقا لدعاية الناس • وقد كان أيوب السختياني اذا حدث بحديث فرق (٢) مسح وجهه وقال : ما أشد الزكام ـ وبعد هذا فالاعمال بالنيات والناقد بصير ، وكم من ساكت عن غيبة المسلمين اذا اغتيبوا عنده فرح قلبه • وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه أحدها ـ الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب • والثاني ـ لسروره بثلب المسلمين • والثالث ـ أنه لا ينكر •

فصـــل

وقد لبس ابليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريهم ابليس أن المقصود نشر الدين • ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق الى المصنف •

---

(١) النائب : من قام مقام غيره في امر او عمل •

(٢) اي رق قلبه كما صرح بذلك في (نقد مسالك الصوفية في الوجد) في هذا الكتاب •

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد اليه أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك ان كان مراده نشر العلم • وقد قال بعض السلف ، ما من علم علمته الا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب الي • ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه ابليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم ، وانما مراده كثرة الاصحاب واستطارة الذكر ، ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم • وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم الى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه • وما هذه صفة المخلص في التعليم لان مثل المخلص مثل الاطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى، فاذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر • وقد ذكرنا آنفا حديث ابن أبي ليلى ونعيده باسناد (١) آخر عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار ما منهم رجل يسأل عن شيء الا ود أن أخاه كفاه ، ولا يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه •

فصل

قال المصنف : وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات ابليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبيسه بأن يقول له : ما لقيت مثلك ما أعرفك بمداخلي ومخارجي فان سكن الى هذا هلك بالعجب ، وان سلم من المسالمة له سلم • وقد قال السري السقطي : لو أن رجلا دخل بستانا فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه كل طائر بلغته ، وقال : السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الي ذلك كان في أيديها أسيرا ، والله الهادي لا اله الا هو •

---

(١) كذا في الاصول بدون ذكر السند •

الباب السابع

في ذكر تلبيس ابليس على الولاة والسلاطين

قال المصنف : قد لبس عليهم ابليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها (١)٠

فالوجه الاول ـ أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نوابا عنه في عباده ٠ وينكشف هذا التلبيس بأنهم ان كانوا نوابا عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه ، فحينئذ يحبهم لطاعته ٠ فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقا ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر اليه ٠ وسلط جماعة من أولئك على الاولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم ، فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم ٠ ودخل ذلك في قوله تعالى : «انما نملي لهم ليزدادوا اثما» (آل عمران : ١٧٨) ٠

والثاني ـ أنه يقول لهم : الولاية تفتقر الى هيبة ، فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين ، والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثري الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ماعنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك ٠

والثالث ـ أنه يخوفهم الاعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم ، ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم ٠ وقد روى أبو مريم الاسدي عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠ قال : «من ولاه الله شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقرة » ٠ (٢)

والرابع ـ أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى ، فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس ٠ ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد ٠ ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه في عنق الوالي ٠ هيهات ان العامل على الزكاة اذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن ٠

---

(١) اي اهمها او اصولها ٠

(٢) رواه أبو داود واللفظ له والحاكم بنحوه ٠ وقال صحيح الاسناد ، ورواه الترمذي بمعناه ومعني الخلة : الفقر والحاجة ٠

م (١٠)

والخامس ـ أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ، ويقتلون من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج الى اتمام ونحن نتمها بآرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لان الشريعة سياسة الالهية ومحال أن يقع في سياسة الاله خلل يحتاج معه الى سياسة الخلق ، قال الله عز وجل : «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (الانعام : ٣٨) . وقال : «لا معقب لحكمه» (الرعد : ١١). فمدعي السياسة مدعي الخلل في الشريعة ، وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل الى جارية فكانت تشغل قلبه ، فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لان قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر ، وان اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع .

والسادس ـ أنه يحسن لهم الانبساط في الاموال ظانين أنها بحكمهم . وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره ، وانما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط ، قال ابن عقيل : وقد روي عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتا فأعطام خمسين ألفا وجاريتين ، قال : هذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لانه تبذير في بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير .

والسابع ـ أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي ، ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب . وجواب هذا أن يقال : انما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذا واجب عليهم ، وما انبسطوا فيه من المعاصي منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك .

والثامن ـ أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الاحوال مستقيمة ، ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيرا . وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد ، قال : رأيت علي بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا برزق يطوف على باعة العنب ، فاذا اشترى أحد سلة عنب خمري لم يعرض له ، وان اشترى سلتين فصاعدا طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمرا . قال : وأدركت السلاطين يمنعون

---

(١) اي يقاربه .

المنجمين من القعود في الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم • وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة(١) ولا شعر الى أن بدىء بحكم العجم •

والتاسع ـ أنه يحسن لهم استجلاب الاموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وانما الطريق اقامة البينة على الخائن • وقد روينا عن عمر بن عبدالعزيز أن غلاما كتب له : ان قوما خانوا في مال الله ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم الا أن أنالهم بعذاب ، فكتب اليه : لان يلـقوا الله بخيانتهم أحب الي من أن ألقاه بدمائهم •

والعاشر ـ أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب ، يريهم أن هذا يمحو ذلك، ويقول : ان درهما من الصدقة يمحو اثم عشرة من الغصب • وهذا محال لان اثم الغصب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغصب لم يقبل ، وان كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضا اثم الغصب لان اعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر •

والحادي عشر ـ أنه يحسن لهم مع الاصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ، ويريهم أن هذا يخفف ذلك الاثم ، وهذا الخير لا يدفع ذلك الشر ، وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال : سمعت منيعا يقول : مر تاجر بعشار (٢) فحسبوا عليه سفينته فجاء الى مالك بن دينار فذكر له ذلك ، فقام مالك فمشى معه الى العشار ، فلما رأوه ، قالوا : يا أبا يحيى ألا بعثت الينا في حاجتك قال : حاجتي أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل ، قالوا : قد فعلنا ، قال : وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه ، فقالوا : ادع لنا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم ، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لالف •

والثاني عشر ـ أن من الولاة من يعمل لمن فوقه ، فيأمره بالظالم فيظلم، ويلبس عليهم ابليس بأن الاثم على الامير لا عليك ، وهذا باطل لانه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطرة : الناصية • وطر الشارب : طلع •

(٢) العشار : آخذ العشر ، او ملتزمه •

لعن في الخمر عشرة (١) ، ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه • ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه ، وقد علم أنه يبذر فيه ويخون ، فهذا معين على الظلم أيضا • وفي الحديث باسناد مرفوع الى جعفر بن سليمان • قال : سمعت مالك بن دينار يقول : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة ، والله الهادي الى الصواب •

(١) رواه ابو داود والحاكم وابن ماجه ولفظه : «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها» • قال المنذري عن اسناد ابن ماجة : رواته ثقات •

ذكر تلبيس ابليس على العباد في العبادات

قال المصنف : اعلم أن الباب الاعظم الذي يدخل منه ابليس على الناس هو الجهل • فهو يدخل منه على الجهال بأمان • واما العالم فلا يدخل عليه الا مسارقة (١) • وقد لبس ابليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم ، لان جمهورهم يشتغل بالتعبد ، ولم يحكم العلم • وقد قال الربيع بن خيثم : تفقه ثم اعتزل •

فأول تلبيسه عليهم ايثارهم التعبد على العلم ، والعلم افضل من النوافل ، فأراهم ان المقصود من العلم العمل ، وما فهموا من العمل الا عمل الجوارح ، وما علموا ان العمل عمل القلب ، وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح •

قال مطرف بن عبد الله : فضل العلم خير من فضل العبادة • وقال يوسف بن أسباط : باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة • وقال المعافي بن عمران : كتابة حديث واحد أحب الي من صلاة ليلة •

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن ابليس من التلبيس عليهم في فنون التعبد •

ذكر تلبيسه عليهم في الاستطابة والحدث

من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء ،وذلك يؤذي الكبد ، وانماينبغي أن يكون بمقدار • ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدما ويحط أخرى وعنده أنه يستنقي بهذا ، وكلما زاد في هذا نزل البول ــ وبيان هذا ان الماء يرشح الى المثانة ويجمع فيها ، فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما إجتمع فاذا مشي وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر ، فالرشح لا ينقطع ، وانما يكفيه أن يجتلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء • ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وانما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشهد المذاهب ، فان استعمل الاحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار اذا أنقى بهن • ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعا لا متبع والله الموفق

ذكر تلبيسه عليهم في الوضوء

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول : أرفع الحدث • ثم يقول :

---

(١) سارق النظر اليه : ترقب غفلة منه لينظر اليه •

أستبيح الصلاة ثم يعيده فيقول : ارفع الحدث • وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لان النية بالقلب لا باللفظ ، فتكلف اللفظ امر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ • ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به • فيقول : من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد • وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الاصل بالاحتمال • ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة : الاسراف فى الماء، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطى (١) على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل • والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة •

وتلبيس ابليس على هذا : بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ،ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الامر ، وفى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ ، فقال : «ما هذا السرف يا سعد ؟ قال : أفى الوضوء سرف ،قال : نعم وان كنت على نهر جار (٢) »• وفى الحديث عن أبى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « للوضوء شيطان يقال له : الولهان ، فاتقوه ، أو قال : فاحذروه (٣) »• وعن الحسن رضى الله عنه قال : شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء • وباسناد مرفوع الى أبى نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم انى أسألك الفردوس وأسألك ، فقال عبد الله : سل الجنة وتعوذ به من النار، فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور (٤) »، وعن ابن شوذب ، قال : كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول : يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباصبا ، ودلكا دلكا ، تعذيبا لانفسهم ، وخلافا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم • وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول : أجل محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء • وقد قال

---

(١) تعاطى الامر : خاض فيه • وتعاطينا فعطوته : تغالبنا في العطاء فغلبته •

(٢) رواه احمد وابن ماجه وفي سنده ضعف •

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم ، وفيه خارجة بن صعب •

(٤) رواه احمد وابو داود وابن ماجه • قال الحافظ ابن حجر : وهو صحيح •

صلى الله عليه وسلم : « صبوا على بول الاعرابى ذنوبا من ماء (١) » وقال في المنى : « أمطة عنك بأذخرة (٢) » قال : وفي الحذاء طهوره بان يدلك بالارض (٣) ، وفى ذيل المرأة يطهره ما بعده (٤)، وقال : يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام (٥) • وكان يحمل بنت ابى العاص بن الربيع فى الصلاة (٦) ونهى الراعي عن اعلام السائل له عن الماء وما يرده (٧) • وقال : « ما ابقت لنا طهور » • وقال : يا صاحب الماء لا تخبره • وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب • وركب الحمار معروريا (٨) • وما عرف من خلقه التعبد بكثر الماء • وتوضأ من سقاية (٩) المسجد • ومعلوم حال

---

(١) رواه الجماعة الا مسلما عن أبي هريرة قال : «قام أعرابي فبال في المسجد ، فقام اليه الناس ليقعوا به ، فقال النبي (ص) : «دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء ، فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » • والذنوب : الدلو لها ذنب •

(٢) رواه الدارقطني والبيهقي والطحاوي عن ابن عباس • وقد اختلف في رفعه ووقفه • والاذخر نبات طيب الرائحة •

(٣) يشير الى ما رواه احمد وأبو داود عن ابي سعيد مرفوعا : «اذا جاء احدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما ، فان راى خبثا فليمسحه بالارض ثم ليصل فيهما » ورواه ايضا الحاكم وابن ماجه وابن خزيمة وصححه •

(٤) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة ومالك والدارمي عن ام سلمة ان امرأة سألتها فقالت : اني أمة أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر فقالت ام سلمة : قال رسول الله (ص) : «يطهره ما بعده» •

(٥) وضعف الحديث بسبب جهالة المراة وهي ام ولد لابرهيم بن عبدالرحمن بن عوف • رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي قال الحافظ في «الفتح» اسناده صحيح • ولفظه عند احمد : « بول الغلام ينضح عليه وبول الجارية يغسل » •

(٦) متفق عليه من حديث ابي قتاده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل امامة بنت زينب بنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سجد وضعها ، واذا قام حملها • واخرجه ابو داود والنسائي •

(٧) يشير الى ما رواه الدارقطني عن ابن عمر قال : خرج رسول الله (ص) في بعض اسفاره ليلا فمروا على رجل جالس عند مقراة له فقال عمر : أولغت السباع عليك الليلة في مقراتك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف ، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور» • والمقراة : الحوض الذي يجتمع فيه الماء • وفي الباب ما يقوي الحديث •

(٨) اعرورى الفرس : ركبه عريانا اي دون سرج •

(٩) السقاية : الاناء يسقى به امر مائيين لجمع الماء •

الاعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت آن أحدهم أقدم على البول فى المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ منغدير كان ماءه نقاعة الحناء (١) ، فأما قوله : استنزهوا من البول (٢)، فان للتنزه حدا معلوما وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء ،فاما الاستنثار فانه اذا علق (٣) نما وانقطع الوقت بما لا يقضي بمثله الشرع •

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءا كثيرا فى وضوئه ثم ترك ذلك ، فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال : نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا • يحيى بن سعيد الانصاري حدثني عن سعيد بن المسيب • قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثا لم يرفع الى السماء ،قال: اذا جاوز الوضوء ثلاثا لم يرفع الى السماء ، قال :
قلت : لا أعود لا أعود ،فانا اليوم يكفينى كف من ماء •

ذكر تلبيسه عليهم فى الاذان

ومن ذلك التلحين فى الاذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لانه يخرجه عن موضع التعظيم الى مشابهة الغناء • ومنه أنهم يخلطون اذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الاذان وسطا فيختلط • وقد كره العلماء كل ما يضاف الى الاذان • وقد رأينا من يقوم بالليل كثيرا على المنارة فيعظ ويذكر • ومنهم من يقرأ سورا من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات •

ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة

فمن ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها ، فترى أحدهم يغسل الثوب مرارا ، وربما لمسه فيغسله • ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة

---

(١) قال ابن المنذر : يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من بئر كان ماءه نقاعة الحناء •
قلت : وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : انتوضأ من بئر بضاعة ـ وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن ـ فقال : «ان الماء طهور لا ينجسه شيء »
وقد صححه احمد وغيره وحسنه الترمذي •
يشير الى ما رواه الدارقطني من حديث قتادة من انس مرفوعا : «تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه » • قال الدارقطني : مرسل : وقال الذهبي : سنده وسط •
(٣) من التعليق بالشيء والميل اليه •

لا يرى غسلها في البيت (١) يجزيء ، ومنهم من يدليها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم (٢) واكسيتهم • ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لاجل مطر يسير يخاف أن ينتضح (٣) عليه • ولا يظن ظان أننى أمنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى ننهى عنها •

ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول : أصلى صلاة كذا، ثم يعيد هذا ظنا منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ• ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض ،فاذا ركع الامام كبر الموسوس وركع معه • فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ وما ذاك الا لان ابليس أراد أن يفوته الفضيلة • وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة • وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلهاتلبيسات ابليس • والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه شىء من هذا • وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه ابليس أنك تصلى بغير وضوء فقال : ما بلغ نصحك الى هذا •

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس : ان كنت تريد احضار النية فالنية حاضرة لانك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ ، وان كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الاعادة افتراك تظن وقد قلت انك ما قلت هذا مرض •

قال المصنف : وقد حكى لى بعض الاشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال : انى أغسل العضو وأقول ما غسلته ، وأكبر وأقول ما كبرت • فقال له ابن عقيل : دع الصلاة فانها ما تجب عليك • فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا ؟فقال لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم : رفع القلم

---

(١) أي يكفي •
(٢) الوطاء : ما تفترشه وهو خلاف الغطاء •
(٣) انتضح الماء عليه : ترشش •

عن المجنون حتى يفيق (١) • ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب الصلاة عليه •

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل وجهل بالشرع • ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له (٢) وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لاجل علمه مقبلا عليه بوجهى سفه فى عقله ، فان هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم • فقيام الانسان الى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه وانما يطول زمان نظم الالفاظ والالفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض • وان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال • ولو كلف نفسه ذلك فى القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية • ثم انه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها • فما وجه هذا التعب فى الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير • وعن مسوز، قال : اخرج الي معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه واذا فيه قال عبد الله : والذى لا اله غيره ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبى بكر ، وانى لاظن عمر كان أشد أهل الارض خوفا عليهم •

فصل

ومن الموسوسين من اذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن

---

(١) رواه ابو داود والترمذي عن علي مرفوعا ولفظه : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المعتوه حتى يعقل » ، وهو حديث صحيح (راجع مشطاة المصابيح ٢ ـ ٢١١) •

(٢) هذا من باب ضرب المثل ، والا فالقيام لا يجوز لاحد ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قد كرهه • فقد اخرج ابو يعلى في مسنده ، والترمذي ، وصححه عن أنس ، قال : ما كان في الدنيا شخص احب اليهم ـ يعني الصحابة ـ رؤية من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك •

والبخاري في «الادب المفرد» والطحاوي بسند صحيح : «من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار» •

وفي لفظ : « من سره ان يقوم له بنو ادم وجبت له النار » • رواه المخلص في فوائده بسند صحيح •

المقصود من الصلاة التكبير فقط • وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول في العبادة • فكيف تهمل العبادة وهي كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب •

فصل

ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقد بقي من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الامام • وهذا تلبيس أيضا لان الذي شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة •

قال المصنف : وقد كنت أصلي وراء شيخنا ابي بكر الدينوري في زمان الصبا فرآني مرة أفعل هذا فقال : يا بني ان الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن •

فصل

وقد لبس ابليس على قوم فتركوا كثيرا من السنن لواقعات وقعت لهم • فمنهم من كان يتخلف عن الصف الاول ويقول : انما أراد قرب القلوب•ومنهم من لم يضع يدا على يد فى الصلاة ، وقال : أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى • وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين ،وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم • انه قال : « لو يعلم الناس ما لهم فى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا » • وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرصفوف الرجال أولها وشرها آخرها » • وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبو داود فى «سننه» أن ابن الزبير قال : وضع اليد على اليد من السنة • وان ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فوضع اليمنى على اليسرى (١) •

قال المصنف : ولا يكبرن عليك انكارنا على من قال : أراد قرب القلوب ولا أضع يدا على يد وان كان من الاكابر ، فان الشرع هو المنكر لا نحن •

---

(١) **وأخرجه النسائي وابن ماجة • قال ابن حجر في «الفتح» : اسناده حسن •**

وقد قيل لاحمد بن حنبل رحمة الله عليه : ان ابن المبارك يقول : كذا وكذا فقال : ا نابن المبارك لم ينزل من السماء • وقيل له قال ابراهيم بن أدهم، فقال : جئتموني ببينات (١) الطريق عليكم بالاصل • فلا ينبغي أن يتـــرك الشرع لقول معظم فى النفس • فان الشرع أعظم والخطـــأ فى التأويل على الناس يجرى • ومن الجائز أن تكون الاحاديث لم تبلغه •

فصـــل

وقد لبس ابليس على بعض المصلين فى مخـــارج الحروف فتراه يقول : الحمد ، الحمد • فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة • وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد • وتارة فى اخراج ضاد المغضوب • ولقد رأيت من يقول : المغضوب فيخرج بصاقه مع اخراج الضاد لقوة تشديده وانما المراد تحقيق الحرف فحسب • وابليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حـد التحقيـق ويشغلهـــم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة ، وكل هذه الوســاوس من ابليس •

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثه : أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال : يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء تنفلته • قال : انها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت الا شيئا سهوت عنه أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهـــم فى الصوامع والديورات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم (٢) » • وفـــي أفراد مسلم من حديث عثمان بن ابى العاص قال • قلت لرسول الله صلـــى الله عليه وسلم : ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتى وقراءتى يلبسهـا علي • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك الشيطان يقــال له : خنزب ، فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثا واتفل عن يسارك » • ففعلـت ذلك فأذهبه الله عنى •

---

(١) الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة •

(٢) رواه أبو داود (رقم ٤٩٤) ، وسعيد بن عبدالرحمن لين الحديث ، فالحديث ضعيف •

فصل

وقد لبس ابليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا ان العبادة هي القيام والقعود فحسب ، وهم يدأبون في ذلك ويخلون في بعض واجباتهم ولا يعلمون ، وقد تأملت جماعة يسلمون اذا سلم الامام ، وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون في الصلاة ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة ، فقلت له : ان الجهر بالقراءة بالنهار مكروه ، فقال لي : انا أطرد النوم عني بالجهر ، فقلت له : ان السنن لا تترك لاجل سهرك ، ومتى غلبك النوم فنم فان للنفس عليك حقا . وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهر بالقراءة في النهار فارجموه بالبعر (١) » .

فصل

وقد لبس ابليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل ، وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع (٢) قبيل الفجر فتفوته الفريضة ، او يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة ، او يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته . ولقد رأيت شيخا من المتعبدين يقال له : حسين القزويني يمشي كثيرا من النهار في جامع المنصور ، فسألت عن سبب مشيه فقيل لي : لئلا ينام . فقلت : هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل .

أما الشرع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال :« ان لنفسك عليك حقا فقم ونم » (٣) وكان يقول : « عليكم هديا قصدا فانه من يشادد هذا الدين يغلبه (٤) ». وعن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال : « ما هذا ؟ قالوا : لزينب تصلي

---

(١) ولم أجده بهذا اللفظ .

(٢) يقصد انه ينام .

(٣) رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، ولفظه «ان لجسدك عليك حقا» .

(٤) رواه البخاري عن ابي هريرة ، ولفظه «ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا ، وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الداجة » .

فاذا كسلت أو فترت أمسكت به • فقال : حلوه • ثم قال : ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا كسل أو فتر فليقعد » • وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه » •

قال المصنف : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى •

وأما العقل فان النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فمتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل •

فا نقال قائل : فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل • فالجواب : أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك ، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة ، وكانوا يستعينون بالقائلة (١) مع قلة المطعم وصح لهم ذلك • ثم لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ليلة (٢) لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة •

فصل

وقد لبس ابليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار • فربما قال أحدهم : فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها •فأقل ما فى هذا ان سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية فيقل الثواب •

فصل

وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم ، وذلك من دسائس ابليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح • وعن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أفضل

---

(١) القائلة : النوم في الظهيرة ، وقد تطلق على الاستراحة في الظهيرة وان لم يكن معها نوم •

(٢) وفي «الصحيحين» في قصة الرهط الذين سألوا عائشة عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فتقالوها •• فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وافطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » •

صلاة المرء فى بيته الا الصلاة المكتوبة (١) » ٠

قال المصنف : أخرجاه فى «الصحيحين» وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلي وكان لا يتنفل في المسجد وكان يصلي كل يوم الف ركعة ٠ وكان ابن أبى ليلى اذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع ٠

فصــل

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم ٠ وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء ٠ وعن عاصم قال كان أبو وائل اذا صلى في بيته نشج (٢) نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله ٠ وقد كان أيوب السختيانى اذا غلبه البكـاء قام

فصــل

وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلــون الليل والنهار ولا ينظرون فى اصلاح عيب باطن ولا فى مطعم ، والنظر فى ذلك أولى بهم من كثـرة التنفل ٠

ذكر تلبيسه عليهـم فى قراءة القرآن

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون (٣) هزا من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة ٠ وقد روى عن جماعة من السلف انهـم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة ٠ وهذا يكون نادرا منهم ومن داوم عليه فانه وان كان (٤) جائزا الا أن الترتيل والتثبت أحـب الى العلماء ٠ وقد قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفقه من قـرأ القرآن فى أقل من ثلاث » ٠

---

(١) لكن المصين اليوم بين افراط وتفريط ، فاما أن يصلوا الصلوات كلها بما فيها التطوع في المسجد ، او يصلوا الصلوات كلها في البيت بما فيها المكتوبة ، والسنة ان يترك المصلي من صلاته لبيته شيئا ولا يجعله كالقبور ٠

(٢) نشج : غص بالبكاء من غير انتحاب ٠

(٣) هز به السير : اسرع به ٠

(٤) بل هو خلاف الاولى ، فليس في سنة المصطفى انه كان يقرا القرآن في كل يوم او في كل ركعة ٠ وقد قال صلى الله عليه وسلم : «لم يفقه من قرا القرآن في أقل من ثلاث » رواه ابو داوود والترمذي والدارمي ، واسناده صحيح ٠

قال المصنف : وقد لبس ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالاصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين ،فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء • ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الاذان لانه حين اجتماع الناس في المسجد •

قال المصنف : ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة • وما هذه طريقة السلف فان السلف كانوا يستترون عبادتهم ، وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرا فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه • وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرا ولا يدرى متى يختم •

قال المصنف : قد سبق ذكر جملة من تلبيس ابليس على القراء ، والله أعلم بالصواب وهو الموفق •

ذكر تلبيسه عليهم في الصوم

قال المصنف : وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم • وذلك جائز اذا أفطر الانسان الايام المحرم صومها الا أن الآفة فيه من وجهين : أحدهما ــ أنه ربما عاد بضعف القوى فاعجز الانسان عن الكسب لعائلته ومنعه من اعفاف زوجته ، وفي «الصحيحين» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان لزوجك عليك حقا » فكم من فرص يضيع بهذا النفل • والثاني ــ أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « أفضل الصيام صيام داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما » (١) • وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل، وأنت الذي تقول لاقومن الليل ولاصومن النهار ، قال : أحسبه قال : نعم يا رسول الله قد قلت ذلك ، فقال : فقم ونم وصم وافطر ، وصم من كل شهر ثلاثة أيام ، ولك مثل صيام الدهر ، قال : قلت : يا رسول الله اني أطيق أكثر من ذلك قال : فصم يوما وافطر يومين ، قلت : اني أطيق أفضل من ذلك • قال : فصم يوما وافطر يوما وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام• قلت : اني أطيق أفضل من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أفضل من ذلك » أخرجاه في «الصحيحين » •

---

(١) رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو ، وعند البخاري نحوه •

فان قال قائل فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم، فالجواب : انهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ،ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة الى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ، ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشف دماغه، وهذا تفريط فى حق النفس الواجب ، وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز ٠

فصل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وان أفطر أخفى افطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء ، ولو أراد الاخلاص وستر الحال لافطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم عاد الى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول : اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بانك انما تخبر ليقتدى بك ، والله أعلم بالمقاصد٠ قال سفيان الثورى رضى الله عنه : ان العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ٠ وفيهم من عادته صوم الاثنين والخميس فاذا دعى الى طعام ، قال ، اليوم الخميس ، ولو قال :أنا صائم كانت محنة وانما قوله اليوم الخميس معناه انى أصوم كل خميس ، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائما وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة ، وقد خيل له ابليس أن صومك يدفع اثمك وكل هذا من التلبيس ٠

ذكر تلبيسه عليهم فى الحج

قال المصنف : قد يسقط الانسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضى الوالدين وهذا خطأ ٠ وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة ٠ ومنهم من يحب ان يتلقى ويقال : الحاج ٠ وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية ٠ وابليس يريهم صورة الحج فيغرهم ، وانما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالابدان ٠ وانما يكون ذلك مع القيام بالتقوى ، وكم من قاصد الى مكة همته عدد حجاته فيقول : لى

م (١١)

عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع في تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن (١) كان وربما قال : ان لى اليوم عشرين سنة مجاورا ٠وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد الى الحج يضرب رفقاءه (٢) على الماء ويضايقهم في الطريق ٠

وقد لبس ابليس على جماعة من القاصدين الى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون اذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم ٠ وقد لبس ابليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها ، فرأيت جماعة يتصنعون فى احرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون في الشمس أياما فتكشط (٣) جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك ٠ وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه » ٠ وفى لفظ آخر : « رأى رجلا يقود انسانا بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده » ٠

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وان قصدت بذلك الطاعة ٠

فصل

وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ ٠ قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أريد أن أخرج الى مكة على التوكل من غير زاد ٠ فقال له احمد : فاخرج فى غير القافلة ٠ قال : لا الا معهم ، قال : فعلى جراب الناس توكلت فنسأل الله أن يوفقنا ٠

ذكر تلبيس ابليس على الغزاة

قال المصنف : قد لبس ابليس على خلق كثير فخرجوا الى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال : فلان غاز، وربما كان المقصود أن يقال : شجاع أو كان طلب الغنيمة ، وانما الاعمال بالنيات ٠

---

(١) اي من اي شخص كان ٠

(٢) الرفيق : المرافق ، وجمعه رفقاء ٠

(٣) كشط الغطاء عن الشيء : كشفه ونزعه ٠

وعن أبي موسى قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم • فقال : يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل بشجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » • أخرجاه في «الصحيحين» •

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : اياكم ان تقولوا مات فلان شهيدا أو قتل فلان شهيدا فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه •

وبالاسناد الى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى قتلت، قال : كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار • ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن ،فقال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : هو عالم فقد قيل ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار • ورجل وسع الله عليه فاعطاه من أصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ فقال : ما تركت من سبيل أنت تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك • قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » • انفرد باخراجه مسلم •

وباسناد مرفوع عن أبي حاتم الرازي قال : سمعت عبدة بن سليمان يقول : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ، ثم دعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله • فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا هو ملثم وجهه بكمه فاخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع (١) علينا• قلت : فانظروا رحمكم الله الى هذا السيد المخلص ، كيف خاف على اخلاصه برؤية الناس له ومدحهم اياه فستر نفسه • وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئا من الغنيمة ليوفر له الاجر •

---

١ ـ شنع عليه الامر : قبحه

فصـــــل

وقد لبس ابليس على المجاهد اذا غنم ٠ فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه ، فاما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى ان الغلول من الغنائم مصيبة ٠ وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهبا ولا ورقا (١) ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا الى الوادى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له ، فلمانزلنا قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه ٠ فلما قلنا له : هنيئا له الشهادة يا رسول الله، فقال : « كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم » ، قال : ففزع الناس ٠ فجاء رجل بشراك أو شراكين ٠فقال: أصبته يوم خيبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراك من نار أو شراكان من نار » ٠

فصـــــل

وقد يكون الغازى عالما بالتحريم الا أنه يرى الشىء الكثير فلا يصبر عنه٠ وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل ٠ وها هنا يتبين أثر الايمان والعلم٠ روينا باسناد عن هبيرة بن الاشعث عن أبي عبيدة العنبري ٠ قال : لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الاقباض (٢) ، أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض فقال الذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه ، فقال له : هل أخذت منه شيئا ؟فقال : أما والله ، لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا ٠ فقالوا : من أنت ؟ فقال :والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني (٣) ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس ٠

---

(١) الورق : الدراهم والفضة ٠

٢ ـ القبض : ما جمع من الغنيمة قبل ان يقسم ٠

٣ ـ قرظه : مدحه وهو حي ٠

ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول ابليس على العالم من طريقين :

الطريق الاول ـ التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن أحمد بن أبي الحوارى ، قال : سمعت أبا سلمان يقول : سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال : فكرهت أن أقوم الى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقونني بأبصارهم فيعرض لى تزين (١) فيأمر بى فأقتل على غير صحيح (٢) فجلست وسكت ٠

والطريق الثاني ـ الغضب للنفس ، وربما كان ابتداء ، وربما عرض فى حالة الامر بالمعروف لاجل ما يلقى به المنكر من الاهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل : لولا أنى غضبان لعاقبتك ، وانما أراد أنك أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب لله ولى ٠

فصل

فأما اذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وانما كان افساده في أمره أكثر من اصلاحه ٠ لانه ربما نهى عن شيء جائز بالاجماع ، وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب ، وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم ، فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه ،وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره ٠ وقد سئل أحمد ابن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال : اذا كان مغطى فلا تكسره ٠ وقال فى رواية أخرى : اكسره ٠ وهذا محمول على انه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والاولى على انه لا يتبين ٠ وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال : ولا عليك ما غاب عنك افلا تفتش ٠ وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر الى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : ان علمت ان السلطان يقيم الحدود فارفع اليه ٠

فصل

ومن تلبيس ابليس على المنكر أنه اذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل

---

(١) زين الشيء : حسنه وزخرفه ٠

(٢) اي على عمل غير صحيح ٠

ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ، ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيرا منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لانه يعلم من لا يعلم ، والستر على المسلم واجب مهما أمكن • وسمعت عن بعض الجهلة بالانكار أنه يهجم على قوم ما (١) يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الاوانى وكل هذا يوجبه الجهل • فأما العالم اذا أنكر فأنت منه على أمان • وقد كان السلف يتلطفون فى الانكار • ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة ، فقال : ان الله يراكما سترنا الله واياكما • وكان يمر بقوم يلعبون فيقول : يا اخوانى ما تقولون فيمن أراد سفرا فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره • فانتبه رجل منهم فقال : يا قوم انما يعنينا هذا ، فتاب وصحبه •

فصل

وأولى الناس بالتطلف فى الانكار على الامراء فيصلح أن يقال لهم : ان الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته ، فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى •

فصل

وقد لبس ابليس على بعض المتعبدين فيرى منكرا فلا ينكره ويقول : انما يأمر وينهي من قصد صلح وأنا ليس بصالح ، فكيف آمر غيري وهذا غلط لانه يجب عليه ان يأمر وينهي ولو كانت تلك المعصية فيه • الا انه متى انكر متنزها عن المنكر أثر انكاره واذا لم يكن متنزها لم يكد يعمل انكاره ، فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر انكاره • قال ابن عقيل : رأينا في زماننا أبا بكر الاقفالي في أيام « القائم » اذا نهض لانكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون الا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أضر (٢) من اطلاعه في التنور وتبعه وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء، فاذا تبعه مخلط (٣) رده وقال : متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش •

---

(١) اي دون ان يتيقن ويتثبت •

(٢) اي صار ضريرا •

(٣) خلط الشيء بالشيء : ضمه اليه ومزجه به ، والمخلط : الذي يمزج عملا صالحا واخر سيئا•

الباب التاسـع

فى ذكر تلبيس ابليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والاحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه ابليس : بأنك لا تنجو فـى الآخرة الا بترك الدنيا ، فيخرج على وجهه الى الجبال فيبعد عن الجمعـة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ، ويخيل اليه أن هذا هو الزهد الحقيقى. كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل ، وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه ، وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى ، وربما كانت عليه مظالم لم يخرج (١) منها ، وانمايتمكن ابليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم، ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما من الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى اعانتـه على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه ، وانما المذموم أخذ الشىء من غير حله أو تناوله على وجه السرف (٢) لا على مقدار الحاجة ، ويصرف (٣) النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا باذن الشرع. وان الخروج الى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيـت الرجل وحده (٤) وان التعرض لتركـه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل . وفـراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق ، والعقوق من الكبائر . وأما من سمـع عنه أنه خرج الى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والـد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه مجتمعين ، ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحا فهم على الخطأ من كانوا : وقد قال بعض السلف : خرجنـا الى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .

---

(١) خرج الى فلان من دينه : قضاه اياه .

(٢) السرف : تجاوز الحد والاعتدال .

(٣) صرفه في الامر : فوضه فيه .

(٤) رواه احمد عن ابن عمر بلفظ «نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده» . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

فصـــل

ومن تلبيســـه على الزهاد ـ اعراضهم عن العلم شـــغلا بالزهد ، فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد (١) • وكم قد رد الى الصواب من متعبد•

فصـــل

ومن تلبيسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات ، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير • ومنهم من لا يذوق الفاكهة • ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس (٢) بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد ومـا هذه طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا طريق أصحابه وأتباعهم • وانما كانوا يجوعون اذا لم يجدوا شيئا فاذا وجدوا أكلوا • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم (٣) ويحبه ويأكل الدجاج (٤) ويحب الحلوى (٥) ويستعذب له الماء البارد (٦) ويختار الماء البائت (٧) فان المـاء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى • وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لانى لا أقوم بشكره • فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقـوم بشكر الماء البارد • وقد كان سفيان الثورى اذا سافر حمل فى سفرته اللحم

---

(١) اي يتعداه الى غيره ويتجاوزه •

(٢) اي يجف وتذهب رطوبته •

(٣) قال عبدالله بن الحارث : اكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء بالمسجد • رواه الترمذي في «الشمائل» وابن ماجة في «السنن» •

(٤) قال ابو موسى الاشعري : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج • ذكره في «الشمائل» •

(٥) عن عائشة قالت : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل» • ذكره في الشمائل •

(٦) عن عائشة قالت : «كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد»• ذكره الترمذي في «الشمائل» • وعن احمد وابي داود والحاكم عنها قالت : كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا • صححه الحاكم واقره الذهبي •

(٧) يشير الى ما رواه البخاري وابو داود وابن ماجه عن جابر قال : «دخل النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من اصحابه على رجل من الانصار وهو يحول الماء في حائطه ـ أي بستانه ـ فقال صلى الله عليه وسلم : ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شن والاكرعنا • قال : بل عندي ماء بات في شن • والشن : القربة •

المشوي والفالوذج . وينبغي للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته (١) ولا بد من الرفق بها ليصل بها الى المقصود ، فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والافراط فى تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم ان الناس يختلفون في طباعهم ، فان الاعراب اذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لان مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد (٢) اذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ (٣) لم نلمهم أيضا ، ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لان هذه عادة القوم . فاما اذا كان البدن مترفا قد نشأ على التنعم فانا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه. فان تزهد وآثر ترك الشهوات اما لان الحلال لا يحتمل السرف أو لان الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل ، فهذا يحتاج ان يعلم ما يضر تركه وما لا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار (٤) يكفي في قوام البدن ، ولو كفى الا ان الاقتصار يؤذى من جهة أن اخلاط البدن تفتقر الى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل الى الملائم فتارة يميل الى الحامض وتارة يميل الى الحلو ، ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لا بد فى قوامها منه فتشتاق الى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل الى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها ، فقد آذاها الا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فاما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا .

ولا يلتفت الى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب أموركم فى المتدين اما أهواء متبعة، أو رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب . وبين اهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد . فهلا عبدوا على عقل وشرع .

---

(١) المطية : الدابة التي تركب ويستوي فيها المذكر والمؤنث فالبعير مطية والناقة مطية .

(٢) اي اهل الارياف .

(٣) الادام ومضردها كامخ وهي من الكلمات الدخيلة .

(٤) الخبز القفار : غير المأدوم .

فصـــل

ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعـــة بالدون (١) من المطعم والملبس فحسب · فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياســة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الامراء اياهم · ويكرمون الاغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهـــم قد خرجوا من مشاهدة (٢) · وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس اليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لان غاية الدنياالرياسة·

فصـــل

وأكثر ما يلبس به ابليس على العباد والزهاد خفى الرياء · فأما الظاهــر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل اظهار النحول وصفار الوجهوشعث (٣) الشعر ليستدل به على الزهد · وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع ، وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة · ومثل هذه الظواهر لا تخفى · وانما تشير الى خفى الريـــاء · وقد قال النبى صلى الله عليه وسلـــم : « انما الاعمال بالنيـــات » · ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل · قال مالــك بن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب ·

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله الا الله سبحانه وتعالى ، وانما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الامر فنجاته منه صعبة · وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال : قال لى يوسف ابن أسباط :«تعلموا صحة العمل من سقمه فاني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة » · وفى الحديث مرفوعا عن ابراهيم الحنظليقال: سمعت بقية بن الوليد (٤) يقول : سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمــت المعرفة من راهب يقال له : سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له : يـــا سمعان منذ كم انت فى صومعتك هذه ، قال : منذ سبعين سنة قلت : مـــا طعامك ؟ قال : يا حنيفى (٥) وما دعاك الى هذا ؟ قلت : أحببت أن أعلم ،

---

١ ـ الحقير الخسيس ·

٢ ـ المشاهدة : المعاينة ·

٣ ـ التلبد ، وصاحبه : أشعث ·

٤ ـ وهو كثير التدليس عن الضعفاء كما في « التقريب » ·

(٥) اي يا مسلم ·

قال : فى كل ليلة حمصة • قلت : فما الذى يهيج (١) من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال : ترى الذين بحذائك (٢) ، قلت : نعم ، قال انهم يأتوننى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها يعظموننى بذلك ، وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة • فانا أحتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الابد، فوقر فى قلبى المعرفة ، فقال : أزيدك ؟قلت : نعم ، قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى الى ركوة فيها عشرون حمصة ، فقال لى : أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك ، فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى ، فقالوا : يا حنيفى ما الذى ادلى اليك الشيخ ، قلت : من قوته ، قالوا : وما تصنع به نحن أحق به ، ساوم (٣)، قلت : عشرين دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ ، فقال : اخطأت لوساومتهم عشرين ألفا لاعطوك ، هذا عز من لا يعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده يا حنيفى ، اقبل على ربك •

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذرا عليها وبهرجوها بضدها ، فكان ابن سيرين ، يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول (٤) ، وكان ابن أدهم اذا مرض يرى عنده ما يأكله الاصحاء •

وبالاسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم ، فاجتمعوا اليه ذات يوم ، فقال : انا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة الطغيان ، وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الاموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته ، وان اشتري (٥) أن يقارب (٦) لمكان دينه ، وان لقى حيي ووقر

---

١ ـ هاج الرجل : اضطرب وتحرك ، وهيج الشيء : أثارة وبعثه •

٢ ـ من المحاذاة ، وحاذاه : جلس بازائه •

٣ ـ اي اطلب ثمن السلعة •

٤ ـ لان الشهرة في عصره كانت بتقصير الثوب ، لكن بشرط الا يزيد في طوله حتى يتجاوز الكعبين ففي الحديث الصحيح الذي رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : «ازرة المؤمن الى نصف الساق ولا حرج أو ولا جناح فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل الكعبين فهو في النار • ومن جر ثوبه بطرا لم ينظر الله اليه» •

٥ ـ البيع : بذل المثمن واخذ أو اخذ المثمن وبذل الثمن وهو من الاضواء •

٦ ـ قاربه : حادثة بكلام حسن • وقارب في الامر : ترك الغلو •

لمكان دينه ، فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب اليه ليسلم عليه وينظر اليه ، فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك، فقال : وما يصنع ؟ قال : للكلام الذى وعظت به ، فسأل غلامه هل عندك طعام ؟ فقال : شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به ، فأمر به فأتى على مسح (١) فوضع بين يديه ، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم عليه ، فأجابه باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله، فقال الملك : أين الرجل ؟ فقيل له : هو هذا ، قال هذا الذى يأكل ، قالوا نعم، قال : فما عند هذا من خير فادبر ، فقال الرجل : الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به . وفى رواية أخرى عن وهب ، انه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلا عنيفا ، فقال له الملك : كيف أنت يا فلان ؟ فقال : كالناس .فرد الملك عنان (٢) دابته ، وقال : ما في هذا من خير . فقال : الحمد لله الذي أذهبه عنى وهو لائم لى .

وباسناد عن عطاء قال : أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد ، فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا (٣) وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف ، فجعل يمشى فى الاسواق ويأكل . فقيل للوليد : ان يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير .

فصل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهرا وباطنا ، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع ابراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص فى زهده لاكل مع اهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه ، فقد كان داود بن أبى هند، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله ، كان يأخذ غداءه ويخرج الى السوق فيتصدق به في الطريق ، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل فى البيت ، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق ، هكذا كان الناس.

فصل

ومن المتزهدين : من قوته (٤) الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل فلذته

---

١ ـ المسح : البلاس أو الكساء من الشعر . ٢ ـ العنان : سير اللجام

٣ ـ العرق : العظم اخذ عنه معظم اللحم . ٤ ـ قوي على الامر : طاقة .

علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه باني أخاف أن أرى في خروجي المنكرات • وله في ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس • ومنها أنه يخاف ان يقصروا في خدمته • ومنها حفظ ناموسه(١) ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك ، وهو يريد أن يبقى اطراؤه وذكره • وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا • ويجب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجيء الامراء اليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده • فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول أصحابه : اعذروا الشيخ فهذه عادته — لا كانت عادة تخالف الشريعة • ولو احتاج هذا الشخص الى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام • ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن في باطنه حفظ الناموس • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه (٢) • وكان أبو بكر رضي الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى • والحديث باسناد عن محمد بن القاسم قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب ، فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله ؟ قال : أردت أن أدفع به الكبر ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر » (٣) •

فصل

قال المصنف : وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الاحوال والملابس • فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لان ذلك يكشف نور العلم (٤) عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع • ومراعاة قلوبهم في مثل هذا

---

١ — الناموس : بيت الراهب ، او الغرفة التي يكمن فيها الصائد للصيد ، والناموس : صاحب السر المطلع على باطن أمرك ، والناموس : المكر والخداع •

٢ — في « الشمائل » عن عائشة قالت : كان صلى الله عليه وسلم بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه •

٣ — قال المنذري في « الترغيب والترهيب » (١٨٧/٥) : رواه الطبراني باسناد حسن

٤ — لا نوافق المصنف على هذا الرأي فلعالم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، وفي التواضع كل الخير •

لا يخرج الى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع منه ٠وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم ٠ قال الاوزاعي: كنا نضحك ونمزح ، فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا (١) ٠ وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم أن أصحابه كانوا يوما يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا له : تعلمنا الرياء ؟ فقال : اني أكره ان يعصي (٢) الله فيكم ٠

قال المصنف : وانما خاف قول الجهلة ، انظروا الى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون ٠ وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين ٠

فصل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس (٣) جاهه في الزهد ، ولو خرجت روحه لا يأكل والناس يرونه ٠ ويحفظ نفسه من التبسم فضلا عن الضحك ٠ ويوهمه ابليس أن هذا لاصلاح الخلق وانما هو رياء يحفظ به قانون الناموس ، فتراه مطاطىء الرأس عليه آثار الحزن فاذا خلا رأيته ليث شرى (٤) ٠

فصل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الاشارة اليهم ويهربون من المكان الذى يشار اليهم فيه ٠ والحديث باسناد عن عبد الله بن خفيف،قال : قال يوسف بن اسباط : خرجت من (سبج) راجلا حتى أتيت (المصيصة) وجرابى على عنقى ،فقام ذا من حانوته يسلم علي وذا يسلم ، فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين ، فاحدقوا بى واطلع رجل فى وجهى ، فقلت فى نفسى : كم بقاء قلبى على هذا ٠ فأخذت جرابى ورجعت بعرقى وعنائى الى سبج فما رجع الي قلبى سنتين ٠

فصل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق (٥) ولا يخيطه ويترك أصلاح عمامته

---

١ ـ يقال : لا يسعك ان تفعل هذا : أي لا يجوز له او لا تقدر أن تفعله ٠

٢ ـ وذلك بأن يغتابهم الداخل فيعصى الله بسببهم ٠

٣ ـ وكس الشيء : نقص ٠ ووكس التاجر : خسر في تجارته ٠

٤ ـ الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ٠

٥ ـ الممزق ٠

وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير • وهذا من أبواب الرياء ، فان كان صادقا في اعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائي : ألا تسرح لحيتك ؟ فقال : انى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة • اذ ليست هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، فانه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن (١) ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة • وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم (٢) وهماأخوف الصحابة وأزهدهم • فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الاكابر لم يلتفت اليه •

فصل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح اخلاقه وزيادة انقباضه ، وينسى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لاهلك عليك حقا (٣) » • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح (٤) ويلاعب (٥) الاطفال ويحدث أزواجه (٦) ، وسابق عائشة (٧) الى غير ذلك من الاخلاق اللطيفة ، فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالايم (٨) وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لانه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ، ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط الى الاهل من العون على الآخرة ، وفى « الصحيحين » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجابر : « هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك » • وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة (٩) الزوجة فيضيع فرضا بنافلة غير ممدوحة •

فصل

ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له : أنت من أوتاد (١٠) الارض

---

١ ـ في « الشمائل » للترمذي عن انس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته» وعن حميد بن عبدالرحمن عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي كان يترجل غبا ، أي يسرح شعره يوما ويتركه يوما ، وكان أنس بن مالك لا يرد الطيب • وقال أنس : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب • وقال ايضا : كان لرسول الله مسكة يتطيب بها ، والمسكة : طيب أسود يخلط بالمسك •

٢ ـ الكتم : نبات يخضب به الشعر •

٣ ـ رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الصيام ولفظه : « وان لزوجك عليك حقا ..» الحديث •

٤ ـ في « الشمائل » للترمذي عن ابي هريرة قال : « قالوا يا رسول الله انك تداعبنا ، قال : نعم ، غير أني لا أقول الا حقا» •

رأى ذلك حقا • ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله • ولو رزق الفهم لعلم انه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله ، ولو نظر الى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه • وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه ،كما كانت رابعة تقول : استغفر الله من قلة صدقى فى قولى • وقيل لها : هل عملت عملا ترين انه يقبل منك • فقالت : اذا كان فمخافتى أن يرد علي •

فصل

ومن تلبيس ابليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة

---

٥ ـ عن أنس قال : «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي : يا ابا عمير ما فعل النفير» ؟ قال أبو عيسى الترمذي : وفقه هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمازح ، وفيه انه كنى غلاما صغيرا فقال له : يا أبا عمير • وفيه انه لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به وانما قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا عمير ما فعل النفير ؟ لانه كان له نفير يلعب به فمات فخزن الغلام عليه فمازحه النبي صلى الله عليه وسلم •

٦ ـ في « الشمائل » عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا فقالت احداهن كان الحديث حديث خرافة فقال : أتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من غدرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهرا ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة •

٧ ـ رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وسنده صحيح •

٨ ـ الايم : التي فقدت زوجها ، ويطلق ايضا على الرجل الذي فقد زوجته •

اي اتيانها •

١٠ ـ اوتاد الارض : جبالها ، واوتاد البلاد : رؤساؤها ، ويزعمون أن هناك رجالا هم للارض كالاوتاد تقوم بهم •

العلم أنهم يعملون بواقعاتهم (١) ولا يلتفتون الى قول الفقيه ، قال ابن عقيل: كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقنني كتاب الله وكان من عادته الامساك عن الكلام في شهر رمضان ، فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض له من الحوائج فيقول فى اذنه : « أدخلوا عليهم الباب » • ويقول لابنه فى عشية الصوم : « من بقلها وقثائها » آمرا له أن يشتري البقل ، فقلت له : هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية ، فصعب عليه ، فقلت : ان هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية ، وما هذا الا بمثابة صرك (٢) السدر (٣) والاشنان (٤) فى ورق المصحف أو توسدك (٥) له • فهجرني ولم يصغ الى الحجة •

قال المصنف : قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به • حدثني أبو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلا استفتاه فقال : ما تقول : فى امرأة طلقت ثلاثا فولدت ذكرا هل تحل لزوجها ؟ قال : فقلت : لا• وكان عندى الشريف الدحالى (٦) وكان مشهورا بالزهد عظيم القدر بين العوام • قال لي : بلى تحل ، فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد افتيت بهذا من ها هنا الى البصرة •

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفا أن يرى الزاهد بعين الجهل • وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لانه لم يجمع شروط الفتوى ، فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات • وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة ، قال: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد بن حنبل : من هذا الخراساني الذى قد قدم ؟ قلت: من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا ، فقال : لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا •

---

١ ـ اي باهوائهم •

٢ ـ صر الصرة : ربطها •

٣ ـ السدر : شجرة النبق •

٤ ـ الاشنان : ما يغسل به •

٥ ـ توسد الشيء : نام عليه كالوسادة •

٦ ـ في نسخة « الرحالي » •

فصـــل

ومن تلبيسه على الزهاد احتقارهم العلمـــاء وذمهم اياهم فهـم يقولون : المقصود العمل ، ولا يفهمون أن العلم نور القلب • ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة (١) الانبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء ، والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم ، وسليم هؤلاء يمشي وحده • وفي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : « والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » •

فصـــل

ومما يعيبون به العلماء • تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم • وكذلك يعيبون جامع الاموال • ولو فهموا معنــى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله ، وغاية الامر ان غيره اولى منه • افيحسن لمن صلى الليل ان يعيب على من أدى الفرض ونام •

ولقد روينا باسناد عن محمد بن جعفر الخولاني ، قال : حدثني أبو عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصـم ، قـال : دخلنـا مع حاتـم البلخى الى الرى ومعه ثلاثمائة وعشـــرون رجلا من أصحابه يريد الحج ، وعليهـم الصوف والزرمانقات (٢) ليس فيهم من معه جراب ولا طعام ، فنزلنا على رجل من التجار متنسك فأضافنا (٣) تلك الليلة فلما كان من الغد ، قال لحاتم : يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ، فقال حاتم : ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير ، والنظر الى الفقيه عبادة ،وأنا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فقال له : مر بنا يا أبا عبد الرحمن ، فجاؤا الى بـــاب داره ، فاذا البواب، فبقى حاتم متفكرا يقول : يا رب دار عالم على هذه الحـــال ، ثم أذن لهم فدخلوا ،فاذا بدار قوراء (٤) وآلة حسنة وبزة وفرش وستور ، فبقى حاتم

---

١ ـ أي تدانيها وتقاربها •

٢ ـ كلمة غير عربية ومعناها : جبة الصوف

٣ ـ اضافه : الجأه واجاره ، وهنا بمعنى : ضيفه اذا انزله منزلة الضيف •

٤ ـ اي واسعـــة •

متفكرا ينظر حتى دخلوا الى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل ، واذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة (١) وناس وقوف ، فقعد الرازي وبقي حاتم قائما فأومأ اليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس ، فقال حاتم : لا اجلس ، فقال له ابن مقاتل : فلك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وما هي؟ قال : مسألة أسألك عنها ، قال : فاسألني ، قال حاتم : قم فاستو جالسا حتى أسألك عنها فامر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم : علمك هذا من أين جئت به ؟ فقال : حدثني الثقات عن الثقات من الائمة قال : عمن أخذوه ، قال : عن التابعين ، قال : والتابعون عمن اخذوه ، قال : عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن اخذوه ، قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم من أين جاء به ، قال : عن جبريل عن الله عز وجل . فقال حاتم : ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وأداه النبى صلى الله عليه وسلم الى الصحابة ، وأداه الصحابة الى تابعيهم، وأداه التابعون الى الائمة ، وأداه الائمة الى الثقات ، وأداه الثقات اليك ، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ؟ قال : لا، قال : فكيف سمعت قال : سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له المنزلة أكثر واليه أقرب ، قال حاتم : وأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم او بفرعون ونمرود فانهما أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول : هذاالعالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال : فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضا ، وبلغ أهل الرى ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل ، فقالوا لحاتم : ان محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئا من هذا فصار اليه ، فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له : رحمك الله أنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة ؟ فقال : نعم وكرامة، يا غلام اناء فيه ماء فجاءه باناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثا ثم قال له : هكذا فتوضأ ، قال حاتم : مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثا حتى اذا بلغ الذراع غسل أربعا ، فقال الطنافسى :أسرفت

---

١ ـ ما يذب به الذباب : أي يطرد .

قال حاتم : فبماذا أسرفت ؟ قال : غسلت ذراعك أربعا ، قال : يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف ، فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك ، فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوما ،وخرج حاتم الى الحجاز فلما صار الى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة ، قال : يا قوم أى مدينة هذه ؟ قالوا : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال : فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أذهب اليه فأصلى فيه ركعتين ، قالوا : ما كان لرسول اللهصلى الله عليه وسلم قصر انما كان له بيت لاطىء (١) قال : فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه ، قالوا : ما كان لهم قصور انما لهم بيوت لاطئة ، فقال حاتم : فهذه مدينة فرعون ، قال : فسبوه وذهبوا به الى الوالى ، وقالوا :هذا العجمى يقول :هذه مدينة فرعون ، فقال الوالى : لم قلت ذلك ، قال حاتم : لا تعجل علي أيها الامير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أى مدينة هذه قالوا : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألت عن قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصور اصحابه قالوا : انما كانت لهم بيوت لاطئة • وسمعت الله عز وجل يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »، فأنتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بفرعون •

قال المصنف : قلت : الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضا • فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شىء ثم يعاتب عليه • فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لوقصرتم فيما أنتم لاقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ، ولو سمع هذا بأن عبدالرحمن ابن عوف ، والزبير بن العوام • وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم ، وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول• وقداشترى تميم الداري حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل • فترض على الزاهدالتعليم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت، والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال : ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز • وباسناد عن حبيب الفارسى يقول : والله ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز •

قال المصنف : قلت : المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف، والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب •

---

(١) لطيء بالارض : لصق بها • والمقصود انه بيت غير مرتفع •

الباب العــاشر
فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس ابليس على الزهاد الا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا الى افرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص ، فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد • ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحــة واللعب ، فــلا بد من كشــف تلبيس ابـليس عليهــم فــى طريقة القوم ، ولا ينكشف ذلك الا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعهاوشرح أمورها والله الموفق للصواب •

فصــــل

قال المصنف : كانت النسبة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والاسلام ، فيقال : مسلم ومؤمن • ثم حدث اسم زاهد وعابد • ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبــادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها ، ورأوا أن أول مـــن انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجـــل كان يقال له : صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية •

أنبأنا محمد بن ناصر ، عن ابى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال ، قال: قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ • قال : سألت وليد بن القاسم الى أى شىء ينسب الصوفى • فقال : كان قوم فى الجاهلية يقال لهم :صوفة انقطعوا الى الله عز وجل وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم الصوفية ،قال عبد الغنى : فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر•

وبالاسناد الى الزبير بن بكار قال : كانت الاجازة (١) بالحج للناس من عرفة الى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده ، وكان يقال لهم: صوفة ، وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب : أجز صوفة • قال الزبير : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشىء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان •

---

١ ـ أي الاذن والترخيص •

قال الزبير : حدثني أبو الحسن الاثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال : انما سمي الغوث بن مر صوفة لانه ما كان يعيش لامه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ، ففعلت . فقيل له : صوفة ولولده من بعده . قال الزبير : وحدثني ابراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عقال بن شبة ، قال : قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت: لله علي ان ولدت غلاما لاعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى ، فقالت : ما صار ابني الا صوفة فسمي صوفة .وكان الحج واجازة الناس من عرفة الى منى ومن منى الى مكة لصوفة .

فلم تزل الاجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان ، فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش .

فصل

قال المصنف : وقد ذهب قوم الى ان التصوف منسوب الى أهل الصفة . وانما ذهبوا الى هذا لانهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع الى الله عز وجل وملازمة الفقر ، فان أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : أهل الصفة . والحديث باسناد عن الحسن، قال : بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون اليها ما استطاعوا من خير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم فيقول : السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون : وعليك السلام يا رسول الله ،فيقول : كيف أصبحتم . فيقولون بخير يا رسول الله (١) . وباسناد (٢) عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبي ذر ، قال :كنت من أهل الصفة وكنا اذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه فنتعشى ، فاذا فرغنا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناموا في المسجد .

---

١ ـ والحديث مرسل لانه من رواية الحسن وهو تابعي .

٢ ـ لم يذكر الاسناد لننظر فيه ، لكن قد ورد عن ابن عمر قال : « كنا ننام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ونحن شباب» رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، واخرجه البخاري مطولا ومختصرا .

قال المصنف : وهؤلاء القوم أنما اقعدوا في المسجد ضرورة • وانما أكلوا من الصدقة ضرورة • فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى الى أهل الصفة غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفى • وقد ذهب الى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة • فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضا غلط لانه لو نسبوا اليها لقيل : صوفانى • وقال آخرون : هو منسوب الى صوفة القفا • وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به الى الحق وصرفه عن الخلق • وقال آخرون : بل هو منسوب الى الصوف ، وهذا يحتمل• والصحيح الاول •

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة ، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس • ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة ، وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الاخرى •

والحديث باسناد عن الطوسى يقول : سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول : سألت الجنيد بن محمد عن التصوف ، فقال : الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول في كل خلق سني (١) • وباسناد عن عبد الواحد بن بكر ، قال : سمعت محمد بن خفيف يقول : قال : رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم• وقعدت هذه الطائفة على الحقائق • وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق•

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس ابليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم الى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن •

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات • فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم ،وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع • وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة • وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الاحاديث الموضوعة وهو لا يدرى •

---

١ ـ السني : الرفيع •

ثم جـــاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوســـاوس والخطرات وصـــنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى • وجـــاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمراقعة والسماع (١) والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة • ثم ما زال الامر ينمى والاشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلون بواقعاتهم • ويتفـــق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في (٢) العلوم حتـى سمـــوه العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر • ومنهم من خرج به الجوع الى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به • وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم • فمن هؤلاء من قال بالحلول (٣) ومنهم من قال بالاتحاد (٤) • وما زال ابليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لانفسهم سننا • وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير اسناد ذلك الى أصل من أصول العلـم ، وانمـا حملوه علـى مذاهبهم • والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن • وقد اخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز، قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب ، قال : قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى : قال : كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقـة ولم يكن سمع من الاصم الا شيئا يسيرا ، فلما مات الحـــاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الاصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه ، وكان يضع للصوفية الاحاديث •

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه « لمع الصوفيـــة » ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة أن شاء الله تعالى • وصنف لهم أبو طالب المكى « قوت القلوب » فذكر فيه الاحاديـــث الباطلة وما لا يستند فيه الى أصل من صلوات الايام والليالى وغير ذلك من الموضوع ، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد • وردد فيه قول ـ قال بعض المكاشفين ـ وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية ان الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لاوليائه •

---

١ ـ الذكر المبتدع على شكل غناء •

٢ ـأي اتم العلوم •

٣ ـ اي حلول الخالق بالمخلوق •

٤ ـ اي اتحاد الخالق والمخلوق •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، قال : قال أبو طاهر محمد بن على العلاف : قال : دخل أبو طالب المكى الى البصرة بعد وفاة أبى الحسين (١) بن سالم فانتمى الى مقالته ، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوق أضر من الخالق • فبدعه (٢) الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك ، قال الخطيب : وصنف أبو طالب المكي كتابا سماه « قوت القلوب » على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات •

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الاصبهانى فصنف لهم كتاب «الحلية» •وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستحى أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسادات الصحابة رضى الله عنهم • فذكر عنهم فيه العجب ، وذكر منهم شريحا القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى واحمد بن حنبل • وكذلك ذكر السلمى فى «طبقات الصوفية» الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفا الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار الى أنهم من الزهاد •

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره • وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيرى كتاب «الرسالة» فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسكر والذوق والشرب والمحو والاثبات والتجلى والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة الى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه • وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم «صفوة التصوف» فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه ان شاء الله تعالى •

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول : كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة ، قال : وصنف كتابا فى جواز النظر الى المرد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين، قال : رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها،

---

١ ـ في نسخة ابي الحسن •

(٢) نسبوه الى البدعة •

فقيل له : تصلى عليها ، فقال : صلى الله عليها وعلى كل مليح • قال شيخنا ابن ناصر : وليس ابن طاهر بمن يحتج به • وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب «الاحياء» على طريقة القوم وملأه بالاحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه • وقال : ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن ابراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات ، وهذا من جنس كلام الباطنية • وقال فى كتابه «المفصح بالاحوال» : ان الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق •

قال المصنف : وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الاشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم• وانما استحسنوها لانه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم • وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس الى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها • وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والامراء فصاروا أصدقاء (١) •

فصل

وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند الى أصل وانما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها ، وقد سموها بالعلم الباطن • والحديث باسناد الى أبى يعقوب اسحاق بن حية ،قال : سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات ، فقال : ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون •

قال المصنف : وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبى ، فقال لصاحب له : لا أرى لك أن تجالسهم • وعن سعيد بن عمرو البردعى ، قال :شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبى وكتبه ، فقال للسائل : اياك وهذه

---

(١) **وهذا هو شأنهم في عصرنا •**

الكتب ، هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : فى هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والائمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الاشياء • هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ومرة بحاتم الاصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس الى البدع •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : أول من تكلم في بلدته في ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصرى فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ، وكان يذهب مذهب مالك ، وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة • قال السلمى : واخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق ،وقالوا : انه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على أحمد ابن أبى الحوارى : أنه يفضل الاولياء على الانبياء فهرب من دمشق الى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين ابن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج ، فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع الى جرجان ، فأقام بها الى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع الى بسطام • قال السلمي : وحكى رجل عن سهل بن عبدالله التسترى أنه يقول : ان الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وانه يتكلم معهم فانكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه الى القبائح فخرج الى البصرة فمات بها • قال السلمي : وتكلم الحارث المحاسبى فى شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى الى أن مات •

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب «السنة» عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم الى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الاسد المرابط ، انظر أى يوم يثب على الناس •

فصل

قال المصنف : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وانما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم •

وباسناد عن جعفر الخلدي يقول : سمعت الجنيد يقول : قال أبو سليمان الداراني : ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة • وباسناد عن طيفور البسطامي يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : قال لي أبي : قال أبو يزيد : لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود (١) • وباسناد عن أبي موسى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع • وباسناد عن عبد الحميد الحبلي يقول : سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط • وعن الجنيد أنه قال :مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة • وقال أيضا : علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به • وقال أيضا : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات ، لان التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى ، وأصله التفرق عن الدنيا ،كما قال حارثة : عرفت نفسي في الدنيا فأسهرت ليلي (٢) وأظمأت نهاري (٣) • وعن أبي بكر الشفاف قال : من ضيع حدود الامر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن • وقال الحسين النوري لبعض أصحابه : من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه • وعن الجريري قال :أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد وهو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما • وعن أبي جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال •

فصل

قال المصنف : واذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم ، فان كان ذلك صحيحا عنهم توجه الرد عليهم اذ لا محاباة في الحق ، وان لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول،

---

(١) أي حدود الله وأحكامه الشرعية •

(٢) أي لم أنم في الليل فبقيت متهجدا •

(٣) أي قضيته في الصيام •

وذلك المذهب من أى شخص صدر • فاما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة • ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط الا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل ، وانما نؤدى بذلك أمانة العلم ، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصدا لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط• ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به • لان الانقياد انما يكون الى ما جاءت به الشريعة لا الى الاشخاص • وقد يكون الرجل من الاولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله •

واعلم ان من نظر الى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل الى ما صدر عنه كان كمن ينظر الى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الامور الخارقة ثم ينظر اليه فادعى فيه الالهية • ولو نظر اليه وانه لا يقوم الا بالطعام (١) لم يعطه ما لا يستحقه •

وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى باسناد الى يحيى بن سعيد ، قال : سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم (٢) في الحديث ، فقالوا جميعا : يبين امره • وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء ، وقال : نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه • وقال عن سرى السقطى : الشيخ المعروف بطيب المطعم ، ثم حكى له عنه أنه قال : ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء ، فقال : نفروا الناس عنه •

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس ابليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى ، قال : تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه فبينما هو ذات يوم يتكلم اذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة، وقال : لبيك لبيك • فنسبوه الى الزندقة ، وقالوا حلولى زنديق ، وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق • وباسناد الى أبى بكر الفرغاني أنه قال : كان أبو حمزة اذا سمع شيئا يقول : لبيك لبيك ،فاطلقوا عليه أنه حلولى • ثم قال أبو علي : وانما جعله داعيا من الحق أيقظه [illegible] •

---

(١) لانه محتاج اليه لغذائه •

٢ ـ اي هل نتهمه في حديثه •

وعن أبي علي الروزباري ، قال : أطلق على أبي حمزة انه حلولى وذلك أنه كان اذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح ، وخرير الماء ، وصياح الطيور كان يصيح ويقول : لبيك لبيك ، فرموه بالحلول • قال السراج : وبلغنى عنأبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهق ابو حمزة شهقة ، وقال : لبيك يا سيدى ،فغضب الحارث المحاسبى وعمد الى سكين، وقال : ان لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك • قال أبو حمزة : اذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد •

وقال السراج : وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد أحمد بن عيسى الخراز ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو « كتاب السر» ومنه قوله : عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه • قال : وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب الى الكفر والزندقة ، قال : وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة ، وكذلك أكثرهم • وقال السراج : ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال : من ذكر أفترى (١) ومن صبر اجترا (٢) • واياك أن تلاحظ حبيبا أو كليما أو خليلا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا • فقيل له : أولا أصلى عليهم ، قال : صل عليهم بلا وقار ، ولا تجعل لها فى قلبك مقدار • قال السراج : وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية وزال عنها معانى البشرية • ومنهم من قال بالنظر الى الشواهد المستحسنات • ومنهم من قال جال فى المستحسنات • قال : وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة • قال السراج : وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول : « يحبهم ويحبونه » (المائدة : ٥٤) وليس العشق بأكثر من المحبة • قال القاضى أبو يعلى :وقد ذهبت الحلولية الى أن الله عز وجل يعشق •

قال المصنف : وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون الا لما ينكح • والثانى أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف • والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل ، وقد

---

(١) أي كذب واختلق •

٢ ـ اي اجترأ من الجراة •

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال اني في الجنة فهو في النار » (١) ٠

وعن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال : حكى عن عمرو المكى أنه قال :كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى ، فقال : يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته ٠ وعن محمد بن يحيى الرازى ، قال : سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدي ، فقلت بأى شىء وجد عليه (٢) الشيخ فقال : قرأت آية من كتاب الله عز وجل ،فقال : يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به ٠

وباسناد عن أبى القاسم الرازى يقول : قال أبو بكر بن ممشاد : قال : حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان فوجه الى بغداد فأحضر وعرض عليه ، فقال : هذا خطى وأنا كتبته ، فقالوا : كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية ، فقال ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب الا الله تعالى واليد فيه آلة ٠ فقيل له : هل معك أحد ، فقال : نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى ، وأبو محمد الجريري يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فاحضر الجريرى وسئل فقال قائل : هذا كافر يقتل من يقول هذا ، وسئل الشبلى فقال : من يقول هذا يمنع ٠ وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج ، فقال : بمقالته وكان سبب قتله ٠ وباسناد عن ابن باكويه قال : سمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الابيات :

سبحان من أظهر ناسوته (٣) سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ : على قائله لعنة الله ٠ قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين بن منصور ، قال : ان كان هذا اعتقاده فهو كافر الا أنه ربما يكون

١ ـ قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ص ٤٢٣ : رواه الطبراني في « الصغير » من قول يحيى ابن ابي كثير ، وسنده ضعيف ٠

(٢) وجد عليه : غضب ٠

(٣) الناسوت : الطبيعة الانسانية

متقولا عليه (١) ٠

وباسناد عن علي بن المحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد ابن زنجي ، عن أبيه ان بنت السمري أدخلت على حامد الوزير ، فسألها عن الحلاج ، فقالت : حملني أبي اليه ، فقال : قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك ،واصعدى في آخر النهار الى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش ، واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرتيه منه فاني أسمع وأرى ، قالت : وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فانتبهت مذعورة لما كان منه ، فقال : انما جئتك لاوقظك للصلاة ٠ فلما نزلنا قالت ابنته : اسجدي له ٠٠ فقلت : أو يسجد أحد لغير الله ؟ فسمع كلامي ،فقال: نعم اله في السماء واله في الارض ٠

قال المصنف : اتفق علماء العصر على اباحة دم الحلاج ، فأول من قال :انه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء ٠ وانما سكت عنه أبو العباس سريج ، قال : وقال : لا ادري ما يقول ٠ والاجماع دليل معصوم من الخطأ٠

وباسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم :« ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم (٢) » ٠ وباسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال : سمعت والدي يقول : سمعت أبا بكرمحمد ابن داود الفقيه الاصبهاني يقول : ان كان ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم حقا فما يقول الحلاج باطل ، وكان شديدا عليه ٠

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة باجماع الفقهاء ٠

وباسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري ، قال : سمعت ابراهيم بن محمد النصر أبادي كان يقول : ان كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج، قلت : وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعدا عن معرفة النقل ٠ وقد جمعت في اخبار الحلاج كتابا بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه ، والله المعين على قمع الجهال ٠

---

(١) اي مكذوبا عليه ٠

(٢) لم أجده عن أبي هريرة ، وأنما روى ابو داود عن أبي مالك الاشعري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أن الله عز وجل أجاركم من ثلاث» فذكره ٠ وفي سنده انقطاع ٠

وباسناد عن أبى نعيم الحافظ ، قال : سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية الى الزندقة ، أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فادخلوا على الخليفة ، فأمر بضرب اعناقهم ، فتقدم النورى مبتدرا الى السياف ليضرب عنقه ، فقال له السياف : ما دعاك الى البدار ، قال : آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة ، فتوقف السياف فرفع الامر الى الخليفة فرد أمرهم الى قاضى القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم .

وباسناد الى أبى العباس أحمد بن عطاء ، قال : كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل الى الخليفة ، فقال : ها هنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور ، فأدخلوا الى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم ، فأول من بدر أبو الحسين النوري ، فقال له السياف : لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع ، قال : أحببت أن أوثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة ، فرد الخليفة أمرهم الى القاضي فأطلقوا .

قال المصنف : ومن اسباب هذه القصة قول النورى : أنا أعشق الله والله يعشقنى ، فشهد عليه بهذا ، ثم تقدم النورى الى السياف ليقتل اعانة على نفسه فهو خطأ أيضا .

وباسناد عن ابن باكويه ، قال : سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى ، قال : سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان ـ يكنى بأبي سليمان ـ فقال : الضيافة ، فقلت لابني : امض به الى البيت ، فاقام عندنا تسعة أيام فأكل في كل ثلاثة أيام أكلة . فسألته المقام فقال : الضيافة ثلاثة أيام ، فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك ، فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ، ثم قدم ، فقلت : من اين ؟ فقال : رأيت شيخا يقال له : أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع في نفسه ان أسأله اي شيء كان اصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل ان أسأله ، فقال : وما سؤالك عما لا يعنيك ، فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين ، فقال فى الثالثة : لا بد لك ، فقلت له : ان رأيت ، فقال : بينما أنا أصلي بالليل اذ لاح لي من المحراب نور ، فقلت : اخسأ يا ملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات ، قال : ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب ، فقلت : لبيك ، فقال : تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على ما مضى لك و نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين ، فاخترت

م (١٣)

البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى ، قال : فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة ، فقال يوما من الايام : ادن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضا : ابرز (١) حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات ٠

قال المصنف : وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب ٠ وقد ذكرنا أن قوما يقولون : ان الله عز وجل يرى فى الدنيا ٠وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى فى « كتاب المقالات » قال : قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالابصار فى الدنيا ، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك ، وان قوما يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ، ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات ٠

قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان ٠

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الطهارة

قال المصنف : قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة الا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم في استعمال الماء الكثير حتى بلغنى أن ابن عقيل : دخل رباطا فتوضأ ، فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه ٠ وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى انه قال لفقير : من أين تتوضأ ؟ فقال : من النهر ، بى وسوسة فى الطهارة، قال : كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان ، والان يسخر بهم الشيطان ٠ ومنهم من يمشي بالمداس (٢) على البوارى ، وهذا لا بأس به الا انه ربما نظر المبتدى الى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة ، وما كان خيار السلف على هذا ٠ والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز الى هذا الحد متصفا بتنظيف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر ، والله الموفق ٠

ذكر تلبيس ابليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف : قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ٠ وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى ان من سننهم التى

---

(١) من البروز وهو الخروج ٠

(٢) المداس : الحذاء ٠

ينفردون بها وينتسبون اليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة ، واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال ان النبى صلى الله عليه وسلم أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف : وما أقبح بالجاهل اذا تعاطى ما ليس من شغله ، فان ثمامة كان كافرا فأسلم ، واذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل ، واما صلاة ركعتين فما أمر بها احد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هذا الا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الاشياء قوله : ان الصوفية ينفردون بسنن ، لانها ان كانت منسوبة الى الشرع ، فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها . وان كانت بارائهم فانما انفردوا بها لانهم اخترعوها .

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف : أما بناء الاربطة فان قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد ، وهؤلاء اذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه :

أحدها ـ أنهم ابتدعوا هذا البناء وانما بنيان أهل الاسلام المساجد .
والثانى ـ انهم جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها .
والثالث ـ أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى الى المساجد .
والرابع ـ انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم فى الاديرة .
والخامس ـ انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج الى النكاح .
والسادس ـ انهم جعلوا لانفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وان كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكوبة (١) ومناخا للبطالة وأعلاما لاظهار الزهد .

وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الاربطة من كد المعاش متشاغلين بالاكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس (٢) . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ، ووقفوا عليها الاموال الخبيثة . وقد لبس عليهم ابليس ان ما يصل اليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء

(١) الكوبة : النرد ، وقيل الطبل .
(٢) الماكس : من يأخذ المكس ، وهي دراهم تؤخذ من الباعة عند ادخال اشياء الى البلاد .

المبرد • فأين جوع بشر ، وأين ورع سرى ، وأين جد الجنيد • وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا ، فاذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته (١) فغلبت عليه السوداء ، فيقول : حدثني قلبي عن ربى • ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه ، وان قوما قرأوا الحديث في رباط ، فقالوا لهم : ليس هذا موضعه • والله الموفق •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في الخروج عن الاموال والتجرد عنها

كان ابليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره ، فيتجردون من الاموال ويجلسون على بساط الفقر ، وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم • فأما الان فقد كفى ابليس هذه المؤنة، فان أحدهم اذا كان له مال أنفقه تبذيرا وضياعا ، والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمى ،قال :سمعت أبا نصر الطوسى ، قال : سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون : ورث ابو عبد الله المقري من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وانفقه على الفقراء •

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه اذا كان يرجع الى كفاية قد ادخرها لنفسه ، أو ان كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس ، او كان المال عن شبهة فتصدق به ، فأما اذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج الى ما في أيدى الناس وأفقر عياله ، فهو اما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات ، فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه • ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم ، وانما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع ، وقد ذكر الحارث المحاسبى في هذا كلاما طويلا ، وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لان أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف اوجب عليه نصرة ما دخل فيه •

فمن كلام الحارث المحاسبى في هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه • فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين وزعمت أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ

---

(١) **الزرمانقة : جبة من صوف ، معرب «أشتربانه» أي متاع الجمال •**

نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم ، وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم · وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة ، ود ابن عوف في القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا الا قوتا ، قال : وقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف ، قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، قال كعب : سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا ، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا ، فمر بلحى (١) بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا ، فقيل لكعب : ان أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر ، فأقبل أبو ذر يقتص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر ، فقال له أبوذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : «الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال : هكذا وهكذا» ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية ، لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفا حتى خرج (٢) ·

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى الى الجنة مع فقراء المهاجرين ، وصار يحبو (٣) في آثارهم حبوا · وقد كان الصحابة رضى الله عنهم اذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر ، وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه ، وكفى به اثما · وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة » (٤) · وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل · ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه · ويحك انى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع

---

(١) اللحي : عظم الحنك الذي عليه الاسنان ·

(٢) ليست هذه القصة صحيحة ، وسيتكلم عن ذلك المصنف بعد صفحتين ·

(٣) سيرد المصنف هذا الزعم بعد ثلاث صفحات ·

(٤) وهذا حديث باطل وسيبينه المصنف بعد أربع صفحات·

المال لاعمال البر ، فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر، فقال : تركه أبر منه • وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ، ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل ؟ فقال : بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها (١) •

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ، ذكره أبو حامد وشيده (٢) وقواه بحديث ثعلبه (٣) ، فانه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده ، وان صرف الى الخيرات اذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل • فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما بقي له درهم يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل •

قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال •

فصل
في رد هذا الكلام

اما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وامر بحفظه ، اذ جعله قواما للادمي ، وما جعل قواما للادمي الشريف فهو شريف• فقال تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » (النساء : ٥) ونهى عز وجل أن يسلم المال الى غير رشيد • فقال : « فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (النساء : ٦) •

---

(١) سيبطل المصنف هذا الزعم •

(٢) زخرفه وحسنه •

(٣) حديث ثعلبة بن حاطب الانصاري الذي يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له ـ بناء على طلبه ـ أن يكثر الله ماله ، فلما كثر ماله ترك الجمعة ولم يؤد الزكاة ، وقال ، انها اخت الجزية فنزلت آية « ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن » ، ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم زكاته بعد أن ندم وكذلك لم يقبلها أبو بكر وعمر •

هذا الحديث الذي احتج به الغزالي وسكت عنه المصنف قد رواه الطبراني والبيهقي في «الدلائل» و «الشعب» وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن يزيد الالهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة • قال الهيثمي في « المجمع » ٣١/٧ : وفيه علي بن يزيد الالهاني وهو متروك ا• هـ• وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث «الكشاف» : اسناده ضعيف جدا •

وقد صح عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اضاعـة المال (١) • وقال لسعد : « لان تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس » (٢) • وقال : « ما نفعني مال كمال أبي بكر » (٣) • والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص • قال : بعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني ،فأتيته فقال : « اني أريد ان أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لـك من المال رغبة صالحة » ، فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمـت رغبة في الاسلام ، فقال : « يا عمرو نعم المال الصـالح للرجل الصالح » (٤) • والحديث باسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بكل خير ، وكان في آخر دعائه أن قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له » (٥) • وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته • قال : فقلت : يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : « أمسـك بعض مالك فهو خير لك » (٦) •

قال المصنف : فهذه الاحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن اكثار المال حجـاب وعقوبة • وان حبسه ينافي التوكل • ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وان خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك ، وان جمعه من وجهه يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد ، واشتغـال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر • ولهذا خيف فتنته • فاما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة (٧) من حلها فذلك أمر لا بد منه • وأما من

---

(١) في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة مرفوعا : «ان الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال» •

(٢) متفق عليه ، ولفظه : «انك أن تذر ورثتك أغنياء» •

(٣) رواه احمد وابن ماجه عن أبي هريرة وصححه المناوي في «فيض القدير» وفي صحيح مسلم «ان من أمن الناس علي في ماله وصحبته ابو بكر» •

(٤) رواه احمد واسناده صحيح •

(٥) في الصحيحين وغيرهما عن أم سليم انها « قالت : يا رسول الله خادمك انس ادع الله له، فقال : «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته»» •

(٦) متفق عليه •

(٧) البلغة : ما يكفي من العيش •

قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده • فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وان قصد اعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده ، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات • وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته• وباسناد عن ابن عمر (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير حضر (٢) فرسه بأرض يقال لها : ثرثر • فأجرى فرسه حتى قام • ثم رمى سوطه • فقال : أعطوه حيث بلغ السوط • وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول : اللهم وسع علي •

قال المصنف : وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه : « ونزداد كيل بعير » (يوسف : ٦٥) • مال الى هذا وارسل ابنه بنيامين معهم • وان شعيبا طمع في زيادة ما يناله فقال : « فان اتممت عشرا فمن عندك » (القصص : ٢٧) • وان أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جرادا (٣) من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه • فقيل له : أما شبعت • قال : يا رب من يشبع من فضلك • وهذا أمر مركوز في الطباع ، فاذا قصد به الخير كان خيرا محضا •

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم ، وقوله : ان الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال • وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أمته عن جمع المال ، فهذا محال انما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله • وما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه (٤) بالقوم • وقد روى بعض هذا وان كان طريقه لا يثبت • وباسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فاذن له وبيده عصاه: فقال عثمان: يا كعب ان عبدالرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه ، فقال : ا كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا ، وقال : سمعت رسول

---

(١) لم يذكر هذا الاسناد لننظر فيه •

(٢) الحضر ـ بضم المعجمة ـ عدو الفرس •

(٣) طائفة : أي جراد كثير ، ولا ندري صحة هذه القصة عن ايوب •

(٤) اي الحق الغزالي بالمتصوفة •

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقته ويتقبل منى » أذر خلفى ست أواقى أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا ـ ثلاث مرات ؟ قال : نعم ٠

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه ٠ قال يحيى : لا يحتج بحديثه ٠ والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين ، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين٠ ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع ٠ ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم : انا نخاف على عبد الرحمن ، أوليس الاجماع منعقدا على اباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الاباحة ، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم أينكر أبو ذر على عبد الرحمن وعبد الرحمن خير من أبى ذر بما لا يتقارب، ثم تعلقه بعبدالرحمن وحده دليل على أنه يسير سير الصحابة ، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار : الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف ، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا ، وأكثر الصحابة كسبوا الاموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد٠

واما قوله : ان عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة ٠ فهذا دليل على انه لا يعرف الحديث : أو كان هذا مناما وليس هو فى اليقظة ٠ أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة ٠ أفترى من يسبق اذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ٠ ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى ٠ ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان ٠ وقال البخارى : ربما اضطرب حديثه ٠ وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث منا كير ٠ وقال أبو حاتم الرازى : لا يحتج به ٠ وقال الدارقطنى : ضعيف ٠ أخبرنا ابن الحصين مرفوعا الى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه ، قال : بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة ، فقالت : ما هذا، فقالوا : عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء ، قال : وكانت سبعمائة بعير ، فارتجت المدينة من الصوت ٠ فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ان استطعت لادخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل (١) ٠

---

(١) هو من رواية عمارة بن زاذان ، وقد تكلم عنه المصنف بما يكفي ٠

وقوله ترك المال الحلال أفضل من جمعه ٠ ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه بلا خلاف عند العلماء٠والحديث الذي ذكره عن رسول الله صلي الله عليه وسلم: «من أسف على دنيا فاتته٠٠٠الخ» محال : ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ٠

وقوله : هل تجد فى دهرك حلالا ، فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الحلال بين والحرام بين » (١) ٠ أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة ٠ هذا يبعد وما طولبنا به ٠ بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك ٠ هذا مذهب الفقهاء ٠ وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول ان فقد المال أفضل من وجوده وان صرف الى الخيرات ٠ ولو ادعى الآجماع على خلاف هذا لصح ٠ ولكن تصوفه غير فتواه ٠ وعن المروزى ، قال : سمعت رجلا يقول لابى عبد الله : انى فى كفاية ، فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى ٠

وقوله : ينبغي للمريد أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه ان كان حراما أو فيه شبهة او أن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له ان يخرج منه ،وإلا فلا وجه لذلك ٠ وأما ثعلبة فما ضره المال انما ضره البخل بالواجب ٠

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ٠ولشعيب لغيره ٠ وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول : لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه ، فان مات تركه ميراثا لمن بعده ٠ وخلف ابن المسيب اربعمائة دينار ، وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة ٠ وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين ٠ وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح ٠ وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب واعانة للفقراء ٠ وانما تجافاه قوم منهم ايثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم ٠ فقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الامر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم ٠

فصل

واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ٠ ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء ، والمال

---

(١) رواه الجماعة عن النعمان بن بشير ٠

نعمة والنعمة تحتاج الى شكر . والغنى وان تعب وخاطر كالمفتي والمجاهد . والفقير كالمعتزل في زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب « سنن الصوفية » باب كراهية أن يخلف الفقير شيئا . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيتان» (١) .

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه .فلذلك قال : كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » (٢) . ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجئت بنصف مالى ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما أبقيت لاهلك ؟» ، فقلت : مثله (٣) فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير الطبرى : وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان ادخار شيء في يومه لغده . وان فاعل ذلك قد أساء الظن بربه . ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير : وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اتخذوا الغنم فانها بركة » (٤) . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه الا بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . الا ترى كيف ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لازواجه قوت سنة (٥) .

---

(١) رواه احمد والبهيقي في «شعب الايمان» .

(٢) متفق عليه وقد ورد قريبا .

(٣) رواه أبو داوود والترمذي ، واسناده حسن كما في «المشكاة ٣ - ٢٢٣» .

(٤) رواه ابن جرير وابن ماجه والطبراني والبهيقي عن أم هانيء . قال في «الزوائد» : اسناده صحيح ورجاله ثقات . وقال في «فيض القدير» رمز السيوطي لحسنة ، وهو كما قال او أعلى . قلت ولفظه : «اتخذي غنما فان فيها بركة» .

(٥) رواه الجماعة الا ابن ماجه في حكم الفيء ولفظ مسلم عن عمر قال : «كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة ، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله .

وفي رواية عنده : «يحبس قوت أهله منه سنة» .

فصـــل

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للاوساخ ويطلبون، وهذا لان حاجة الانسان لا تنقطع • والعاقل يعد للمستقبل ، وهؤلاء مثلهم فى اخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معـه •

والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله ، قال : قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ،فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت، قال: فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ، ثم جاءه من بين يديه ، فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه • فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها لو أصابته لعقرته. ثم أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يعمد احدكم الى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وانما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » • وقد رواه أبو داود فى «سننه» من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب ، فقال : يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذهافهى صدقة ما أملك غيرها ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من قبل ركنه الايمن ، فقال مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذفه بها فلو أصابته لاقصعته(١) أو لعقرته • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي أحدكم بما يملك فيقول : هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » (٢) • وفى رواية أخرى : « خذ عنا مالك لا حاجة لنا به.» • وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ثيابا فطرحوا ، فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة ، فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح

---

(١) اقصعه : أجهز عليه ، قتله مكانه ، وفي النسخة المطبوعة من «مسند أبي داوود» : لاوجعته أو لعقرته ، وهو من رواية محمد بن اسحاق ، وهو مدلس ، وقد عنعنه ولم يصرح بالسماع •

(٢) وحديث «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول رواه البخاري وغيره عن ابي هريرة

به : « خذ ثوبك » (١) ٠

قال المصنف: ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل ، قال : قال ابن شاذان: دخل جماعة من الصوفية على الشبلى ، فأنفذ الى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم ، فرد الرسول وقال : يا أبا بكر ، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : ارجع اليه وقل له الدنيا سفلة اطلبها من سفلة مثلك ، واطلب الحق من الحق ٠ فبعث اليه بمائة دينار ٠ قال ابن عقيل : ان كان انفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله ، فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه ٠

فصـــل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها ، وقال : ما أريد أن تكون ثقتى الا بالله، وهذا قلة فهم لانهم يظنون أن التوكل قطع الاسباب واخراج الاموال ٠

أخبرنا القزاز ، قال : أخبرنا الخطيب ، قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال : أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه ، قال : سمعت الجنيد يقول : دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجىء الي ، فقلت له : اذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم تنقطع عنه ، فسألته عن مسألة فى التوكل ، فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى ، فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندى شىء ٠

قال المصنف : لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا اخراج صور المال ٠ ما قال هؤلاء هذا الكلام ، ولكن قل فهمهم ، وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الاموال وما قال مثل هذا أحد منهم ٠

وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٠ أنه قال حين أمر بترك الكسب لاجل شغله بالخلافة : فمن أين أطعم عيالى ؟ وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل ٠ وكذلك ينكرون على من قال : هذا

---

(١) وأخرج النسائي أتم منه ، وأخرجه الترمذي بهذا الاسناد بقصة دخول المسجد والامام يخطب ولم يذكر فيه قصة الثوبين وقال : حسن صحيح ٠

الطعام يضرني . وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال :حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقالوا لي :كل ، فقلت : لا آكله فانه يضرني فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل ، وقلت : اللهم انك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين ، فسمعت هاتفا يهتف بي ويقول : ولا يوم اللبن .

قال المصنف : وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها : ـ واعلم أن من يقول هذا يضرني ، لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وانما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه : « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » (ابراهيم : ٣٦) . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما نفعني مال كمال أبي بكر » (١) . وقوله : ما نفعني مقابل لقول القائل : ما ضرني . وصح عنه أنه قال . ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري (٢) . وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع الى المال والضرر الى الطعام فالتحاشي عن سلوك طريقه صلى الله عليه وسلم تعاط (٣) على الشريعة فلا يلتفت الى هذيان من هذى في مثل هذا .

فصل

قال المصنف : وقد بينا انه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير الا أنهم غلطوا في هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا الى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان ايثارا للراحة وحبا للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط (٤) أو المسجد ويعتمد

---

(١) رواه احمد وابن ماجه وأبو يعلى عن أبي هريرة . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير اسحاق بن أبي اسرائيل وهو ثقة مامون . ١ هـ . وصححه المناوي في «فيض القدير» .

(٢) رواه البخاري بلفظ «ما أزال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» .

ومعنى تعاودني : أي تاتيني مرة بعد مرة . والابهر عرق بباطن القلب تتشعب منه سائر الشرايين ، اذا انقطع مات صاحبه .

(٣) تعاطى الامر : خاض فيه ، ويقصد هنا مجانبة الحق .

(٤) الرباط واحد الرباطات وهي المعاهد المبنية والموقوفة للفقراء .

على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب • ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغنى و لالذى مرة (١) سوى (٢) ، ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه • وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ، ومنها أن رزقنا لابد أن يصل الينا • ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه • وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه • فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » (٣) • وقد قاء (٤) ابو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة • وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة • وكثير من السلف لم يقبل صلة الاخوان عفافا وتنزها • وعن أبى بكر المروزى قال : ذكرت لابى عبد الله رجلا من المحدثين ، فقال رحمه الله : أى رجل كان لولا خلة واحدة ! ثم سكت ، ثم قال : ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له : أليس كان صاحب سنة ؟! فقال : لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ •

قال المصنف : ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الامراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئا فقبله ، فقال الامير : كلنا صيادون وانما الشباك تختلف • ثم أين هؤلاء من الانفة من الميل للدنيا ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (٥) ـ واليد العليا هى المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة ، وقد تأوله بعض القوم ، فقال : العليا هى الآخذة • قال ابن قتيبة : ولا ارى هذا الا تأويل قوم استطابوا السؤال (٦) •

فصل

قال المصنف : ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الاموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعمهم • وسئل أحمد بن حنبل عن السرى السقطى

---

(١) المرة بكسر الميم : القوة •

(٢) السوي : المستوي الخلق الذي لا عيب فيه ولا داء •

(٣) رواه الجماعة •

(٤) قاء ما أكله : القاه من فمه •

(٥) متفق عليه (٦) السؤال : الاستعطاء •

فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم . وقال السرى : صحبت جماعة الى الغزو فاكترينا دارا فنصبت فيها تنورا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور ، فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب . ولقد دخلت بعض الاربطة فسألت عن شيخه ، فقيل لى : قد مضى الى الامير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الامير من كبار الظلمة ، فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ، ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ، ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها ، والله انكم أضر على الاسلام من كل مضر .

فصل

قال المصنف : وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون ، فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال (١) . ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثرهؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك . وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المجيان (٢) يلبس الصوف صيفا وشتاء وتقصده الناس يتبركون به ، فمات فخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف : وهذا فوق القبيح، وقد صح عن النبى صلى الله عليهوسلم أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال صلى الله عليه وسلم : « كيتان » (٣) .

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى لباسهم

قال المصنف : لما سمع أوائل القوم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرقع ثوبه (٤) وانه قال لعائشة رضى الله عنها : « لا تخلعى ثوبا حتى ترقعيه » (٥) وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وان

---

(١) أي للواقع .

(٢) في نسخة : الملحيان .

(٣) رواه احمد والبيهقي في «شعب الايمان» ، وقد ورد قريبا تفسيره في صفحة ٢٠٣

(٤) روى احمد عن عائشة قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم . قال الزين العراقي : رجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو الشيخ بلفظ «ويرقع الثوب» .

(٥) لم أجده .

اويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ، ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات ، ولقد أبعدوا فى القياس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة (١) ويعرضون عن الدنيا زهدا ، وكان أكثرهم يفعل هذا لاجل الفقر ، كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ ،فقال لامرأته فاطمة : اغسلى قميص امير المؤمنين ، فقالت : والله ما له قميص غيره • فأما اذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى •

فصل

قال المصنف : فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون الى ثوبين او ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقا ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة ، فان لبس مثل هذه المرقعات اشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها أنه من الزهاد أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف ، كذا قد ظنوا ، وان أبليس قد لبس عليهم وقال : انتم صوفية لان الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وانتم كذلك ، أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة ، وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى ، أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جددا مختلفة الالوان ، فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة ، وأما عمر رضى الله عنه لماقدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما ، فقالوا : ليس هذا المصور عندنا ، ألكم أمير أولا ؟ فقالوا : لنا أمير غير هؤلاء ، فقالوا : هو أمير هؤلاء ، قالوا : نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا : ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا ، فأرسلوا المسلمين الى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك ، فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم (٢) ، فلما رآه الروحانية (٢) والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال • فأين هذا مما يفعله جهال

(١) البذاذة : من بذ : اذا رثت هيئته •

(٢) الاديم : الجلد المدبوغ

(٣) نسبة الى الروح ، ويقصد رجال الدين النصارى •

م (١٤)

الصوفية فى زماننا ، فنسأل الله العفو والعافية ، واما المعنى فان اولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد ٠

فصل

قال المصنف : ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها ، وهذا لص نهارى مكشوف ، وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش ، فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا (١) بالرومى الرفيع الا انه بغير طراز القميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير ٠

وقد لبس ابليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس ٠ وانما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا ٠ من علاماتهم مصادقة الامراء ومفارقة الفقراء كبرا وتعظيما ٠ وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يا بنى اسرائيل : ما لكم تأتوننى وعليكم ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ، البسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية ٠

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم ، قال : أخبرنا حمد بن أحمد الحداد ،قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ، ثنا يحيى بن مطوف ، ثنا أبو ظفر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، قال : ان من الناس ناسا اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم ٠

أخبرنا محمد، نا حمد، نا أبو نعيم، ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه، ثنا أحمد بن محمد اللالى ، ثنا أبو حاتم ، ثنا هدبة ، ثنا حزم ، قال : سمعت مالك بن دينار يقول : انكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم الا البصير ، انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم ٠

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى ،قالا : أخبرنا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، ثنا عبد الله بن

---

(١) لبسوا العمائم ٠

أحمد ، ثني مهنا الشامي ، ثنا ضمرة ، عن سعيد بن شبل ، قال : نظر مالك الى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه ، فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين (١) يجرون عليك شيئا وتكون معهم ، قال : ما شئت يا أبا يحيى قال : فأخذ كفا من تراب فجعله على رأسه ٠

أخبرنا المحمدان ، قال : نا حمد ، نا أحمد ، ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابي، ثنا هشام بن على السيرافى، ثنا قطن بن حماد بن واقد، ثنا ابى ثنا مالك بن دينار ، قال : كان فتى يتقرى (٢) فكان يأتينى ، فابتلى ، فولى(٣) الجسر ، فبينما هو يصلى اذ مرت سفينة فيها بط ، فنادى بعض أعوانه : قرب لنأخذ للعامل بطة ، فأشار بيده سبحان الله أى بطتين ، قال : فكان أبي اذا حدث بهذا الحديث بكي وأضحك الجلساء ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعيد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت محمد بن خفيف يقول : قلت لرويم أوصنى ، فقال : هو بذل الروح والا فلا تشتغل بترهات الصوفية ٠

أخبرنا ابن ناصر ، نا أبو عبد الله الحميدى ، نا أبو بكر احمد بن محمد الاردستانى ، ثنا عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبي يقول : بلغنى أن رجلا ، قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول :

اما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله : قلت : واعلم أن هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى الا على كل غبى فى الغاية ٠ فأما أهل الفطنة فيعملون أنه تنميس (٤) بارد والامر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الظباء بهم ... ان سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت(٥) بناطق ونافر(٦) ... بآنس وذو خلا بذى شجن (٧)
مشتبه أعرفه وانما ... مغالطا قلت لصحبى دار من

---

(١) العشار : الذي يأخذ العشور أو يلتزم ذلك ٠

(٢) تقرى البلاد : طاف فيها ٠

(٣) ولي الشيء : قام بأمره ، والمعنى أنه عين مسؤولا عن الجسر ٠

(٤) نمس عليه الامر : لبسه ٠ (٥) من الصمت

(٦) النافر : الشديد النفور ٠

(٧) ذو الشجن : الحزين المهموم ، وعكسه الخالي البال ٠

فصـــل

قـال المصنف : وانما أكره لبس الفوط المرقعات لاربعة أوجه : أحدهـا أنه ليس من لباس السلف وانما كان السلف يرقعون ضرورة • والثانى أنه يتضمن ادعاء الفقر ، وقد أمر الانسان أن يظهر نعمة الله عليه • والثالـث أنه اظهار للزهد وقد أمرنا بستره • والرابع أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم •

وقد أخبرنا ابن الحسين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله ابن أحمد ، ثني أبى ، ثنا أبو النضر ، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبـان ، ثنا حسان بن عطية ، عن أبى منيب الحرسى ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم (١) » وقد أنبأنا أبـو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، قال : أخبرنى أبى ، قال : لما دخلت بغـداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكرى لاقرأ عليه أحاديث ــ وكان من المنكرين على هذه الطائفة ــ فأخذت فى القـراءة ، فقال : أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك • أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسعى فى طلبه ، فقلت : أيها الشيخ وأى شىء أنكرت علي حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته ، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته ، فقـال : ما هذه الشوازك (٢) التى فى مرقعتك ؟ فقلت : أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج ، وانما وقع الانكار لان هذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من جنس الجبة ،فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله •

قال المصنف : قلت : لقد أصاب السكرى فى انكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه ، فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسهـا

---

(١) وفيه عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وهو ضعيف ــ كما قال المنذري ــ قال السخاوي : سنده ضعيف لكن له شواهد • قلت : ورواه الطبراني في «الاوسط» عن حذيفة • قال الهيثمي : فيه علي بن غراب ، وثقه غير واحد وضعفه جمع ، وبقية رجاله ثقات ، ا هـ• فسند الطبراني امثل من هذا الاسناد •

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ •

كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ، قال : سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول :سمعت الحسين بن هند ، يقول : سمعت جعفر الحذاء ، يقول : لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ . أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن أبى صادق ، ثنا ابن باكويه ،اخبرنى أبو يعقوب الخراط ، قال : سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفا على مزابل . قال ابن باكويه : وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى ، قال : نظر محمد بن محمد بن على الكتانى الى أصحاب المرقعات فقال : اخوانى ان كان لباسكم موافقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة .

أخبرنا محمد بن ناصر ، أنبأنا أبو بكر بن خلف ، ثنا محمد بن الحسين السلمى ، قال : سمعت نصر بن أبى نصر يقول : قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه : لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر الا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل : دخلت يوما الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ (١) جبة مشوزكة مرقعة بفوط ، فقلت للحمامى : أرى سلخ الحية . فمن داخل ٢) . فذكر لى بعض من يتصوف (٣) للبلاء حوشا (٤) للاموال .

فصل

قال المصنف وفى الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد . أخبرنا أبو منصور القزاز ، قال : أخبرنا أحمد بن على بن ثابت ،نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الاسد آبادى ، نا أبو محمد عبد الله بن

---

(١) السلخ : ما على المغزل من الغزل .

(٢) اي تداخل .

(٣) تصوف : صار صوفيا .

(٤) حاش الاموال : جمعها .

محمد الشيرازى ، نا جعفر الخالدى ، ثنا ابن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى ، قال : أوصى لى ابن الكرينى بمرقعته فوزنت فردة كم من اكمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر : وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل (١) ٠

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس الا من يد شيخ ٠ وجعلوا لها اسنادا متصلا كله كذب ومحال ٠ وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه ، فقال : باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة ، واحتج بحديث أم خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم : « أتى بثياب فيها خميصة سوداء ، فقال : من ترون أكسو هذه ؟ فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بأم خالد ، قالت : فاتى بى فألبسنيها بيده ٠ وقال : أبلى وأخلقى (٢) » ٠

قال المصنف : وانما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صبية ٠ وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص ، وأمها همينة بنت خلف قد هاجروا الى ارض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد ، واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنها ، وكما اتفق فلا يصير هذا سنة ٠ وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم الباس الناس ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم ٠

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة ، فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد ٠ وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة ، واحتج بحديث عبادة « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر » ٠

قال المصنف : فانظر الى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة ٠

---

(١) في نسخة : الكبل بالياء الموحدة ٠

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس من صحيحه باب «الخميصة السوداء» ٠

فصــــل

وأما لبسهم المصبغات فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الازرق ، وان كانت مرقعة فهى اكثر شهرة • وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشــــهرة •

فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن على التميمى ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنى أبــى ، ثنا على بن عاصم ، نا عبد الله بن عثمان بن حثيم ، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس رضى الله عنهما ،قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم » • قال عبد الله : وحدثنى أبى ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، ثنى حبيب ابن أبى ثابت ، عن ميمون بن أبى شبيب ، عن سمرة بن جندب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : «البسوا الثياب البيض فأنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم » قال الترمذى : هذان حديثان صحيحان • وفى الباب عن ابن عمر ،قال ، وهذا الذى يستحبه أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبــل واسحاق : أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض • وقد ذكر محمد بـــن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبــى صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء (١) ، وانه دخل يوم الفتــح وعليه عمامة سوداء (٢) •

قال المصنف : قلت : ولا ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس هذا ولا ان لبسه غير جائز ، وقد روى انه كان يعجبه الحبرة (٣) ، وانمــا المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه، وقد كانوا يلبسون الاسود والاحمر ، فاما الفوط والمرقع فانه لباس شهرة •

---

(١) رواه البخاري عن البراء ، قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم مربوعا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه •

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل» •

(٣) رواه البخاري عن أنس قال ـ قد سئل أي الثياب كان أحب الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحبرة •

فصـــــل

وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته ، فأخبرنا أبو منصور بن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب ، نا ابن زرقويه ، ثنا جعفر بن محمد الخلدى ، ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى ، ثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا وكيع ابن محرز الشامى ، ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبى ذر ، عـن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه (١) » • أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق ، قال : أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار ، نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى ، وأنبأنا هبـة الله بن محمد ، أنبأنا الحسين بن على التميمى ، قالا : أخبرنا أبو حفص ابن شاهين ، ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ، ثنا محمد بن الهيثم ، ثنـا أحمد بن أبى شعيب الحرانى ، ثنا مخلد بن يزيد عن أبى نعيم ، عن عبـد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة وزيد بن ثابـت رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن الشهرتين، فقيل : يا رسول الله وما الشـــهرتان قال : رقة الثياب وغلظـــها ولينها وخشونتها ، وطولها وقصرها ،ولكن سداد بين ذلك واقتصاد (٢) » •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا محمد بن على بن ميمون ، نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى ، نا أبو بكر بن عبدان ، نا محمد بن سهل ، ثنا محمد بـن اسماعيل البخارى ، قال : قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر ، قال : « من لبس ثوبا مشهورا أذله الله يوم القيامة » •

قال المصنف : وقد روى لنا مرفوعا قال : أخبرنا ابن الحصين ، نا ابـن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى أبى ، ثنا حجاج، ثنا شريك ، عن عثمان بن أبى زرعة ، عن مهاجر الشامى ، عن ابن عمـر • قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة ألبسه

---

(١) وفيه وكيع بن محرز الشامي ، قال في «الميزان» قال البخاري رحمه الله تعالى : عنده عجائب هذا منها • لكن روى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا :
«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار» • قال المنذري : اسناده حسن •

(١) وفيه مخلد بن يزيد الحراني • **قال في «التقريب» : صدوق ، له أوهام •**

الله ثوب المذلة يوم القيامة (١) » • أخبرنا محمد بن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف ، قالا : أخبرنا أبو اسحاق البرمكى ، نا أبو بكر بن نجيب ، ثنا أبو جعفر بن ذريح ، ثنا هناد ، ثنا أبو معاوية عن ليث ، عن مهاجر بن أبى الحسن ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : (من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة) • وعن ليث، عن شهر ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال « من ركب مشهورا من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وان كان كريما » •

قال المصنف : وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوبا قبيحا دونا ،فقال : لا تلبس هذا ، فان هذا ثوب شهرة •

أخبرنا اسماعيل بن أحمد، نا اسماعيل بن مسعدة ، نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ، ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ، ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، قال : حدثنا محمد بن مزاحم ، ثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن بريدة ، عن أبيه بريدة ، قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة (٢) فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر ، فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنبا أعظم منه للشهرة • وقال سفيان الثورى : كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل • وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه ،فقال :ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فىتشميره•

فصل

قال المصنف : ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى صلى الله عليه وسلم لبس الصوف • وبما روى فى فضيلة لبس الصوف ، فأما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الاوقات (٣) لم يكن لبسه شهرة عند العرب • وأما ما يروى فى فضل لبسه

---

(١) وفيه شريك القاضي • قال في «التقريب» : صدوق ، يخطيء كثيرا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة •

(٢) أي ثلمة الحصن •

(٣) كما في الغزو ، وقد روى البخاري في صحيحه في باب «لبس جبة الصوف في الغزو» حديث المغيرة ، وفيه «وعليه جبة من صوف» •

فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شيء • ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين : اما أن يكون متعودا لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لانه لا يشهر به • واما أن يكون مترفا لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين : أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه مالا تطيق ولا يجوز له ذلك ، والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة واظهار الزهد •

وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى ، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى ، نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفي اجازة ، ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن بن اسماعيل الابهرى ، ثنا روزبه ، ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ، ثنا بكر بن سهل الدمياطى ، ثنا محمد ابن عبد الله بن سليمان ، نا داود ، ثنا عباد بن العوام ، عن عباد بن كثير ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقا على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه» (١) • انبأنا زاهر بن طاهر، قال : انبأنا ابوعثمان الصابونى وابو بكر البيهقى ، قالا : أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ، ثنا العباس ابن منصور ، ثنا سهل بن عمار ، ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ، ثنا محمد بن عبيد الهمدانى ، ثنى عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى اللهعنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الارض لتعج الى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء (٢) » •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا جعفر بن أحمد ، نا الحسن بن على التميمى ثنا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى أبى ، ثنا عبد الصمد ، ثنا خالد بن شوذب ، قال :شهدت الحسن وأتاه فرقد ، فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال : يا فريقد يا ابن أم فريقد ، ان البر ليس فى هذا الكساء وانما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل • أنبأنا محمد بن عبد الباقى ، نا أبو محمد الجوهرى ، نا أبو عمر بن حياة ، نا أحمد بن معروف ، ثنا الحسين ابن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ،قال : حدثنا عمرو بن عاصم ، ثنا

---

(١) وفيه عباد بن كثير البصري ، وهو متروك ولم يسمع من أنس •

(٢) هذا الحديث رواه الحاكم في «المستدرك» والديلمي في «مسند الفردوس» من طريقه • وفيه سهل بن عمار رماه الحاكم بالكذب كما في «فيض القدير» • وفي «الميزان» : خبر باطل• كما فيه عباد بن منصور وكان يدلس وقد عنعنه •

يزيد بن عوانة ، ثنى أبو شداد المجاشعى ، قال : سمعت الحسن ــ وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ــ ، فقال : ما لهم تعاقدوا ثلاثا أكنوا الكبر فى قلوبهم ، وأظهروا التواضع فى لباسهم ، والله لاحدهم أشد عجبا بكسائه من صاحب المطرف (١) بمطرفه • أنبأنا ابن الحسين ، أنبأنا أبو على التميمى، نا أبو حفص بن شاهين ، ثنا محمـــد بن سعيد بن يحيى البزورى ، ثنـــا عبدالله بن أيوب المخرمى، قال : حدثنا عبد المجيد ــ يعنى ابن أبى رواد ــ عن ابن طهمان ــ يعنى ابراهيم ــ عن أبى مالك الكوفى عن الحسن ، أنه جــاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوففجلس فوضع بصره فى الارض ، فجعل لا يرفع رأسه وكأن الحسن خال فيهالعجب، فقال الحسن: ها ان قوما جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ مــن زى المنافقين ، قالوا : يا أبا سعيد وما زى المنافقين ؟قال : خشوع اللباس بغير خشوع القلب (٢) قال ابن عقيل : هذا كلام رجل قد عرف النــاس ولم يغره اللباس • ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف ، فاذا قال له القائل : يا أبا فلان • ظهر منه ومن أوباشه (٣) الانكار ، فعلـــم ان الصوف قد عمل عند هؤلاء مالا يعمله الديباج عند الاوباش •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ، نا حمد بن أحمد الحداد ، نا أبــو نعيم الحافظ ، ثنا أبو حامد بن جبلة ، ثنا محمد بن اسحاق ، ثنا اسماعيل ابن أبى الحارث ، ثنا هارون بن معروف ، عن ضمرة ، قال : سمعت رجــلا يقول : قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثــوب صوف ، فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه ، فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم ــ يعنى النخعى ــ فيخرج علينــــا وعليه معصفرة • أخبرنــــا محمد بن أبى القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا ابراهيم بن شريك الاسدى ،ثنا شهاب بن عباد ، ثنا حماد عن خالدالحذاء أن أبا قلابة قال : اياكم وأصحاب الاكسية • أخبرنا محمدبن ناصر وعمــر بن طفر ، قالا : نا محمـــد بن الحسن الباقــلاوى ، نا القاضى أبو العــلاء الواسطى ، ثنا أبو نصر أحمد بن محمد السازكى ، نا أبو الخير أحمد بــن

---

(١) المطرف : رداء من خز ذو أعلام •

(٢) كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : «اللهم اني أعوذ بك من قلب لا يخشع» رواه مسلم وغيره •

(٣) الاوباش : الجماعة من الناس المختلطين ، والمراد أتباعه الجاهلون •

حمد البزار ، ثنا محمد بن اسماعيل البخاري ، ثنا علي بن حجر ، ثناصالح ابن عمر الواسطي عن أبي خالد ، قال : جاء عبد الكريم أبو أمية الى أبي العالية وعليه ثياب صوف ، فقال له أبو العالية : انما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزوروا تجملوا • أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، ثنا أبو محمد بن حبان، ثنا أحمد بن الحسين الحذاء ، ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا العيص ابن اسحاق ، قال سمعت الفضيل يقول : تزييت (١) لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأسا ، تزييت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا • تزييت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك انما هو لحب الدنيا •

أنبأنا ابن الحصين ، قال : نا أبو علي بن المذهب ، قال : أخبرنا أبوحفص ابن شاهين ، قال : ثنا أحمد اسماعيل بن علي ، قال : ثنا الحسن بن علي بن شبيب ، قال : ثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف وشهوته في قلبه بخمسة دراهم ، أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه ، ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له • قال أحمد بن أبي الحواري : قال لي سليمان بن أبي سليمان ــ وكان يعدل بأبيه ــ : أي شيء أرادوا بلباس الصوف ، قلت : التواضع ، قال : ما يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف • أخبرنا المبارك بن أحمد الانصاري ، نا عبد الله بن أحمد السمرقندي ، ثنا أبو بكر الخطيب ، نا الحسن بن الحسين العالي ــ ، نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ، ثنا روح بن عبد المجيب ، ثنا أحمد بن عمر بن يونس ، قال : أبصر الثوري رجلا صوفيا فقال له الثوري: لباسك هذا بدعة • أخبرنا محمد بن عبدالباقي، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا عبد المنعم بن عمر ، ثنا أحمد ابن محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا داود يقول : قال سفيان الثوري لرجل عليه صوف : لباسك هذا بدعة •

انبأنا زاهر بن طاهر ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، نا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، قال : اخبرني محمد بن عمر ، ثنا محمد ابن المنذر ، قال : سمعت احمد بن شداد يقول : سمعت الحسن بن الربيع يقول : سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفا مشهورا : أكره هذا أكره هذا • أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبي صادق

---

(١) تزيا بزي القوم : لبس كما يلبسون •

نا ابن باكويه ، ني عبد الواحد بن بكر ، ثنا على بن أبى عثمان بن زهير، ثنا عثمان بن أحمد ، ثنا الحسن بن عمرو ، قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل على الموصلى على المعافى ــ وعليه جبة صوف ــ فقال له : ما هذه الشهرة يا أبا الحسن ؟فقال : يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت فانظر أينا أشهر ، فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس •

أخبرنا اسماعيل بن أبى بكر المقرى ، نا طاهر بن أحمد ، نا على بن محمد ابن بشران ، نا عثمان بن أحمد الدقاق ، ثنا الحسن بن عمرو ، قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية (١) حمراء تدفع التراب ، فقال له بديل : ما هذا ؟فقال ايوب : هذا خير من الصوف الذى عليك • أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، قال : أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ، ثنا علان بن أحمد ، ثنا حبيب ابن الحسن ، ثنا الفضل ابن أحمد ، ثنا محمد بن يسار ، قال : سمعت بشر ابن الحارث ــ وسئل عن لبس الصوف ، فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب الي من لبس الصوف فى الامصار • أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار ، قال : أخبرنا أبى ، نا الحسين بن على الطناجيرى، نا أحمد بن منصور البرسرى ، ثنا محمد بن مخلد ، ثنا أحمد بن منصور ، ثنى يزيد السقا رفيق محمد بن ادريس الانبارى ، قال : رأيت فتى عليه مسوح ، قال : فقلت له : من لبس هذا من العلماء ؟ من فعل هذا من العلماء؟ قال : قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر علي ، قال يزيد فذهبت الى بشر ، فقلت له : يا أبا نصر رأيت فلانا عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال : قد رآنى أبو نصر فلم ينكر علي ، قال : فقال لى بشر : لم يستشرنى يا أبا خالد لو قلت له لقال لى : لبس فلان ، ولبس فلان •

أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى ، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى ، نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى اجازة ، نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ، ثنا ابن روزبه ، ثنا عبد الله بن أحمد بن نصر القنطرى، ثنا ابراهيم بن محمد الامام، ثنا هشام بن خالد ، قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف : انك قد أظهرت آلة الزاهدين ، فماذا أورثك هذا الصوف ، فسكت الرجل ،فقال له : يكون ظاهرك قطنيا ، وباطنك صوفيا • أخبرنا يحيى بن على المدبر ،نا

---

(١) في نسخة : «سبنية حمراء تدافع الرياء» ، والسبنية : ازر النساء •

أبو بكر محمد بن علي الخياط ، نا الحسن بن الحسين بن حمكان ، سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن عبد ربه البزار ، يقول : سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادى ، يقول : سمعت ابن سيرويه يقول : دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف ، فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك ، صوف قلبك والبس القوهي على القوهي (١) • أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ ، نا جعفر بن أحمد بن السواح ، نا عبد العزيز بن حسن الضراب ، قال : حدثنا أبي ، ثنا أحمد بن مروان ، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، ثنا أحمد بن سعيد ،قال : سمعت النضر بن شميل يقول : قلت لبعض الصوفية : تبيع جبتك الصوف؟ فقال : اذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد •

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل اليه من حله • ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر ، ومن ترك أكل اللحم ، خوفا من عارض شهوة النساء •

فصل

قال المصنف : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الاخوان ، ولم يكن غير الاجود عندهم قبيحا ، وقد أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة » فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ،وانما أنكر عليه لكونها حريرا •

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال :كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا •

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي ، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري ، نا أبو عمر بن حياة ، نا أحمد بن معروف ، نا الحسين بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ، نا اسماعيل بن ابراهيم الاسدي ، عن ابن عون عن محمد ، قال :كان المهاجرون والانصار ، يلبسون لباسا مرتفعا ، وقد اشترى تميم الداري حلة

---

(١) القوهي : الثياب البيض •

بألف ، ولكنه كان يصلى بها • قال ابن سعد : وأخبرنا عفان ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا أيوب عن محمد بن سيرين ان تميما الدارى ،اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل الى صلاته • قال : وحدثنا عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، أن تميما الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف ، كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر • وأخبرنا الفضل بن دكين ، ثنا همام عن قتادة ان ابن سيرين أخبره أن تميما الدارى اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبا وأطيبهم ريحا • وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد • قال كلثوم بن جوشن ، خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر اليه فرقد ، فقال : يا أستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن : يا ابن أم مرقد ، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية • وكان مالك ابن انس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار ، وقد كانوا يؤثرون البذاذة (١) الى حد ، وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فاذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الاعلى •

أخبرنا احمد بن منصور الهمدانى ، نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى اجازة ، نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ، ثنا ابن روزبه ، ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ، ثنا محمد بن خلف ، ثنا عيسى بن حازم • قال : كان لباس ابراهيم بن أدهم كتانا قطنا فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة • أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله ، قال : سمعت محمد بن ابراهيم يقول : سمعت محمد بن ريان يقول : رأى على ذو النون خفا أحمر فقال : انزع هذا يا بنى فانه شهرة ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم انما لبس النبى صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين (٢) •

---

(١) البذاذة : رثاثة الهيئة •

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل» عن بريدة « ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما» ، والساذج : الخالص في السواد •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا محمد بن علي بن ميمون ، نا عبد الكريم ابن محمد المحاملي ، نا علي بن عمر الدارقطني ، نا أبو الحسن أحمد بن محمد ابن سالم ، نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني ، ثني الزبير عن أبي عرنة الانصاري ، عن فليح بن سليمان ، عن الربيع بن يونس ، قال : قال أبو جعفر المنصور : العري الفادح (١) خير من الزي الفاضح •

فصل

قال المصنف : واعلم أن اللباس الذي يزري بصاحبه يتضمن إظهار الزهد واظهار الفقر • وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهي عنه •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا علي بن الحصين بن أيوب ، نا أبو علي بن شاذان ، ثنا أبو بكر بن أحمد سليمان النجاد ، ثنا ابو بكر بن عبد الله بن محمد القرشي ، ثنا عبد الله بن عمر القواريري ، ثنا هشام بن عبد الملك ، ثنا شعبة عن ابن اسحاق ، عن أبي الاحوص ، عن أبيه ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشف (٢) الهيئة ، فقال : «هل لك مال ؟» قلت : نعم ، قال : « من أي المال ؟» قلت : من كل المال قد آتاني الله عزوجل من الابل والخيل والرقيق والغنم ، قال : « فاذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك (٣) » • أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا مسكين بن بكير ، ثني الاوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا في منزلي فرأى رجلا شعثا ، فقال : « أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه » ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : « أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه (٤) » • أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك ومحمد ابن ناصر ، قالا : نا ابو الحسين بن عبد الجبار ، نا أبو محمد الحسن بن

---

(١) الفادح : الصعب المثقل •

(٢) اي رث الهيئة •

(٣) رواه الحاكم وصححه• قال العراقي في أماليه: حديث صحيح (كذا في «فيض القدير» للمناوي) ولفظه : فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته•

(٤) رواه احمد وابو داود وابن حبان والحاكم ، وقال : على شرطهما ، واقره الذهبي ، وقال العراقي : اسناده جيد •

على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى ، قالا : نا أبو عمر محمد ابن العباس بن حياة ، ثنا أبو بكر بن الانبارى ، ثنى أبى ، ثنا أبو عكرمة الضبى ، ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مضى على بن أبى طالب الى الربيع بن زياد يعوده ، فقال له : يا أمير المؤمنين أشكو اليك عاصما أخى ، قال : ما شأنه ؟ قال : ترك الملاذ (١) ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال : علي عاصما • فلما حضر بش فى وجهه وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها • أنت والله أهون على الله من ذلك ، فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ! أحب اليه من ابتذالك بالمقال • فقال : يا أمير المؤمنين انى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء، ثم قال : ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره• قال أبو بكر الانبارى:المعنى لئلا يزيد ويغلو • يقال ـ تبيغ به الدم ـ إذا زاد وجاوز الحد •

فصـــــل

قال المصنف : فان قال قائل : تجويد اللباس هوى للنفس ، وقد أمرنا بمجاهدتها ، وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق • فالجواب : أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره • وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو كان على وجه الرياء فى باب الدين ، فان الانسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه • ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن الى داخل • وظهارته الحسنة الى خارج • وليس فى شىء من هذا ما يكره ولا يذم •

أخبرنا المبارك بن على الصيرفى ، نا على بن محمد بن العلاف ، نا عبد الملك بن محمد بن بشران ، نا أحمد بن ابراهيم الكندى ، نا محمد بن جعفر الخرائطى ، ثنا بنان بن سليمان ، ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة ، قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم • وفى الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته ، فقلت : يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟! قال : « نعم ، اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهىء من نفسه

---

(٥) لعلها الملاءة وكانوا يلبسونها •

(١) وفيه العلاء بن كثير الليثي متروك ، ورماه ابن حبان بالوضع •

فان الله جميل يحب الجمال (٢) » • أخبرنا محمد بن نـــاصر ، أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن علي ، ثنا مسعود بن ناصر بن أبي زيد ، نا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد ، نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه ، نـــا الحسن بن سفيان ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمي ، عـن أبيه ، عن أم كلثوم عن عائشة ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر الى ظله فيها ، ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى • فلما رجع قلت : يا رسول الله تفعل هذا ؟! قال : « وأي شيء فعلت ، نظرت في ظل الماء فهيأت من لحيتي ورأسي ، انه لا بأس أن يفعله الرجل المسلـم اذا خرج الى اخوانه أن يهيء من نفسه (١) » •

قال المصنف رحمه الله : فان قيل : فما وجه ما رويتم عن سري السقطي أنه قال : لو أحسست بانسان يدخل علي فقلت : كذا بلحيتي ـ وأمر يـده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه ـ لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار • فالجواب : أن هذا محمول منه على أنه كـان يقصد بذلك الرياء في باب الدين من اظهار التخشع وغيره • فأما اذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فان ذلك غير مذموم • فمـــن اعتقده مذموما فما عرف الرياء ولا فهم المذموم •

أخبرنا سعد الخير بن محمد الانصاري ، نا علي بن عبد الله بن محمـــد النيسابوري ، نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي ، نا محمد بـن عيسى بن عمرويه ، ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ، ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ، ثنى يحيى بن حماد ، قال : أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي ، عن ابراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : ان أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعلـــه حسنة ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» • انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق • وغمط بمعنى ازدرى واحتقر •

فصـــــل

قال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة • أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر ، نـــا

---

١ ـ وفيه محمد بن عبدالله العرزمي متروك ، والراوي عنه ابنه ضعيف أيضا •

على بن الحسن بن جحاف ، قال أبو عبد الله احمد بن عطاء : كان أبوالعباس ابن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبقى ، ويسبح بسبح (١) اللؤلؤ ، ويؤثر ما طال من الثياب •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا فى الشهرة كالمرقعات ، وانماينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطا ، فانظر الى الشيطان كيف يتلاعب بهولاء بين طرفى نقيض •

فصـــــل

قال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من اذا لبس ثوبا خـرق بعضه • وربما أفسد الثوب الرفيع القدر •

اخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ، نا الحسن بن غالب المقرى ،قال : سـمعت عيسى بن على الوزير يقول : كان ابن مجاهد يوما عند أبى ، فقيل له : الشبلى ، فقال : يدخل ، فقال ابن مجاهد : سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلى اذا لبس شيئا خرق فيه موضعا ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد : يا أبا بكر أين فى العلم فساد ما ينتفع به ، فقال له الشبلى : اين فى العلم « فطفـق مسحا بالسوق والاعناق » (ص : ٣٣) قال : فسكت ابن مجاهد فقال لـه أبى : أردت أن تسكته فأسكتك • ثم قال له : قد اجمع الناس انك مقرىء الوقت فأين فى القرآن ان الحبيـب لا يعذب حبيبه • قال : فسكت ابـن مجاهـد• فقال له أبى : قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى : « وقالـت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه • قل فلم يعذبكم بذنوبكم » (المائدة :١٨) فقال ابن مجاهد : كأننى ما سمعتها قط •

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتهـا ، لان الحسن ابن غالب كان لا يوثق به •

أخبرنا القزاز ، نا أبو بكر الخطيب ، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه • فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهـم

---

(١) مفردها «سبحة» وهي خرزات منظومة في سلك للتسلية ، وقد يستعملها بعض المسلمين للتسبيح تقليدا لغيرهم ، فيبتدعون ويخالفون سنة الرسول من التسبيح بأصابع اليد اليمنى •

الشبلى حين احتج بهذه الآية ، وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك ان قوله : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق » لانه لا يجوز ان ينسب الى نبى معصوم أنه فعل الفساد • والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية • فمنهم من قال : مسح على أعناقها وسوقها • وقال : أنت فى سبيل الله ، فهذا اصلاح • ومنهم من قال : عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئا فيه جناح • فأما افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز ان يكون فى شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون فى شرعنا •

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ ، انبأنا محمد بن أحمد بن أبى الصقر ، ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقى ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء : كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه ، قال : فكان يخرق الثوب المثمن (١) فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى انه دخل الحمام يوما وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به ، فقطعه على عددهم فأتزروا به ، وتقدم اليهم أن يدفعوا الخرق اذا خرجوا للحمامى • قال ابن عطاء : قال لى أبو سعيد الكازرونى : كنت معه فى هذا اليوم ، وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين دينارا •

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر، قال انبأنا أبو بكر البيهقى ، نا أبو عبد الله الحاكم ، قال : سمعت عبدالله بن يوسف يقول : سمعت أبا الحسن البوشنجى ، يقول : كانت لى قبجة (٢) طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان ، فقلت للوالدة : عندك شىء لضيفى ؟ قالت : لا ، الا الخبز • فذبحت القبجة وقدمتها اليهما •

قال المصنف رحمه الله : قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، قال : أنبأنا رزق‌الله بن عبدالوهاب قال : أنبأنا ابو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت جدى يقول : دخل ابو الحسين الدراج البغدادى الرى ، وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا دبيقيا (٣) ، فشقه نصفين وتلفف به ، فقيل له : لو بعته واشتريت منه لفافا وأنفقت الباقى ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب •

---

(١) المثمن : الذي قدر ثمنه ، ويقصد الثوب الثمين •

(٢) القبجة : واحد القبج للذكر والانثى ، وهو الحجل : طائر معروف •

(٣) بلدة بمصر ينتسب • اليها الثياب الدبيقية •

قال المصنف : وقد كان أحمد الغزالى ببغداد فخرج الى المحول (١) فوقف على ناعورة تأن فرمى طيلسانه عليها ، فدارت فتقطع الطيلسان •

قال المصنف رحمه الله : قلت : فانظر الى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فانه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه نهى عن اضاعة المال ، ولو أن رجلا قطع دينارا صحيحا وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطا فكيف بهذا التبذير المحرم • ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عندالوجد على ما سيأتى ذكره ان شاء الله • ثم يدعون أن هذه حالة ولا خير فى حالة تنافى الشرع • أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بارائهم ؟ فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه انه لعناد • وان كانوا لا يعرفون فلعمرى انه لجهل شديد •

أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه ، ففتح أبو عثمان عينه ،وقال : يا بنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب •

فصل

قال المصنف : وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه ، وذلك شهرة أيضا •

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، ثنا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله ابن أحمد ، ثنى أبى ، ثنا محمد بن ابى عدى ، عن شعبة ، عن العلاء عن ابيه ، أنه سمع أبا سعيد : سئل عن الازار ، فقال : سمعت رسول اللهصلى الله عليه وسلم يقول : « ازار المسلم الى انصاف الساقين • لا جناح أو لاحرج عليه ما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من ذلك فهو فى النار» (٢) أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى ، قالا : نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، ثنا أبو حامد ابن جبلة ، ثنا محمد بن اسحاق ، ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : كتب الي عبد الرزاق عن معمر ، قال :

---

(١) موضع غربي بغداد •

(٢) ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بلفظ «ازرة المؤمن الى نصف الساق ••» قال النووي : واسناده صحيح •

كان فى قميص أيوب بعض التذييل ، فقيل له فقال : الشهرة اليوم فى التشمير • وقد روى اسحاق بن ابراهيم بن هانىء ،قال : دخلت يوما على أبى عبد الله أحمد بن حنبل وعلي قميص أسفل من الركبة وفوق الساق • فقال: أى شىء هذا وأنكره ، وقال : هذا بالمرة لا ينبغى •

فصل

قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة • وهذا أيضا شهرة لانه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه • أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار ، نا ابى الحسين بن على الطناجيرى ، نا أحمد بن منصور اليوسرى ، ثنا محمد بن مخلد ، ثنى محمد بن يوسف ، قال : قال عباس بن عبد العظيم العنبرى : قال بشر بن الحارث : ان ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كمه •

فصل

قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يستكثر من الثياب وسوسة ، فيجعل للخلاء ثوبا وللصلاة ثوبا • وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به الا أنه لا ينبغى خشية أن يتخذ سنة •

أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ، ثنا محمد بن اسحاق النيسابورى ، ثنا محمد بن الصباح ،ثنا حاتم يعنى ابن اسماعيل، ثنى جعفر عن ابيه ، ان على بن الحسين ، قال : يا بنى لو اتخذت ثوبا للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشىء ثم يقع على الثوب ، ثم اتيته ، فقال: ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه الا ثوب فرفضه •

فصل

قال المصنف : وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهدا فى الدنيا ، وهذا حسن الا انه اذا امكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح وأحسن •

أخبرنا عبد الاول بن عيسى ، نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر ، نا

عبدالله بن احمد بن حياة، نا ابراهيم بن حريم ، ثنا عبد بن حميد ، ثنى ابن أبى شيبة ، ثنا محمد بن عمر ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم جمعة فقال : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته (١) » • أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، نا أبو محمد الجوهرى ، نا أبو عمر بن حياة ، نا أحمد بن معروف الحساب ، نا الحارث بن أبى أسامة ، ثنا محمد بن سعد ، نا محمد بن عبدالرحمن بن أبى الزناد، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ، قال محمد بن عمر : وحدثنى غير محمد بن عبد الرحمن أيضا ببعض ذلك ، قالوا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد يمنية وازار من نسج عمان ، فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان (٢) •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ ابليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية، فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم من شرب الماء البارد ، فلما بلغ الى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم •

ذكر طرف مما فعله قدماؤهم

قال المصنف رحمه الله : كان فى القوم من يبقى الايام لا يأكل الا أن تضعف قوته • وفيهم من يتناول كل يوم الشىء اليسير الذى لا يقيم البدن•

فروى لنا عن سهل ابن عبد الله أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبسا وبدرهمين سمنا وبدرهم دقيق الارز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة • وحكى عنه أبو حامد الطوسى ، قال : كان سهل يقتات ورق النبق مدة • وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث

---

١ ـ ورواه أبو داود ومحمد بن يحيى بن حبان عن موسى بن سعد عن يوسف بن عبد الله بن سلام • وقد جزم الحافظ ابن حجر في التخريج بأن فيه انقطاعا • وفي « الفتح » بأن فيه نظرا • كذا في « فيص القدير » •

(٢) ورواه البيهقي في «السنن» وابن خزيمة في صحيحه عن جابر بلفظ «كان له برد يلبسه في العيدين والجمعة» •

دراهم في ثلاث سنين . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ، ثنى أبو عبدالله الحصرى ، قال : سمعت أبا جعفر الحداد يقول : أشرف على أبو تراب يوما وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم آكل ولم أشرب فيها ماء ، فقال : ما جلوسك ها هنا ، فقلت : أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه ، فقال : سيكون لك شأن . أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا ابن أبى صادق ، ثنا ابن باكويه ، نا عبد العزيز بن الفضل ، ثنا على بن عبد الله العمرى ، ثنا محمد بن فليح، ثنى ابراهيم بن البنا البغدادى ، قال :صحبت ذا النون من اخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره أخرجت قرصاوملحا كان معى ، وقلت : هلم ، فقال لى : ملحك مدقوق ، قلت : نعم ، قال : لست تفلح فنظرت الى مزوده ،فاذا فيه قليل سويق (١) شعير يستف (٢) منه .

أخبرنا ابن ظفر ، نا ابن السراج ، نا عبد العزيز بن على الازجى ، نا ابن جهضم ، ثنا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق ، ثنا أحمد بن أنس ، ثنا ابن أبى الحوارى ، قال : سمعت أبا سليمان يقول : الزبد بالعسل اسراف . قال ابن جهضم : وحدثنا محمد بن يوسف البصرى ، قال : سمعت أباسعيد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن أبى أوفى ، ان سهل بن عبد الله يقول : انا حجة الله على الخلق ، فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له : بلغنا انك قلت ـ انا حجة الله على الخلق ـ فبماذا ، أنبي أنت ؟ أصديق أنت ؟ قال سهل : لم أذهب حيث تظن ولكن انما قلت هذا لاخذى الحلال ، فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال ، قالوا : فأنت ، قد صححته ، قال : نعم ، قال : وكيف ؟ قال سهل :قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء ، فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد ، فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسى خفت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت اليها من البلغة (٣) ما يرد الستة الاجزاء .

أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : أخبرنى أبو عبد الله بن مفلح ، قال : أخبرنى أبى أخبرنى ابو عبد الله بن زيد (٤)

---

(١) السويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير .

(٢) استف السويق : أخذه غير ملتوت.

(٣) البلغة : ما يكفي من العيش ولا يفضل .

(٤) في نسخة : «ابن وتد» .

قال لى : منذ اربعين سنة ما أطعمت نفسى طعاما الا فى وقت ما أحل الله لها الميتة • أخبرنا ابن ناصر ، نا أبو الفضل محمد بن على بن أحمد السهلكى ، ثنى أبو الحسن على بن محمد القوهى ، ثنا عيسى بن محمد ، عن أبيه محمد ابن عيسى ، ثنا موسى بن عيسى ، ثنا عيسى بن آدم بن أخى أبى يزيد ، قال : جاء رجل الى أبى يزيد ، قال : أريد أن اجلس فى مسجدك الذى أنت فيه قال : لا تطيق ذلك ، فقال : ان رأيت أن توسع لى فى ذلك ، فأذن له فجلس يوما لا يطعم فصبر ، فلما كان فى اليوم الثانى ، قال له : يا أستاذ ، لا بد مما لا بد منه • فقال: يا غلام لا بد من الله • قال : يا أستاذ نريد القوت ، قال : يا غلام القوت عندنا اطاعة الله ، فقال : يا أستاذ أريد شيئا يقيم جسدى فى طاعته عز وجل ، فقال : يا غلام ان الاجسام لا تقوم الا بالله عز وجل •

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى ، قالا : نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا عثمان الآدمى يقول : سمعت ابراهيم الخواص يقول : حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب نظر الى صوفى مد يده الى قشر البطيخ ــ وكان قد طوى ثلاثة ايام ــ فقال له : تمد يدك الى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف ، الزم السوق • أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، أنبأنا رزق الله ابن عبد الوهاب ، نا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا القاسم القيروانى يقول : سمعت بعض أصحابنا يقول : أقام أبو الحسن النصيبى بالحرم أياما مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله ، فرآه انسان فاتبعه بشىء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم ، فقال الشيخ : من جنى منكم هذه الجناية • فقال الرجل : أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته ، فقال : كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه ، وتبعه الرجل فقال : ألم أقل لك كن مع جنايتك ، فقال الرجل : أنا تائب الى الله تعالى مما جرى منى ، فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة •

أخبرنا عمر بن ظفر ، نا ابن السراج ، نا أبو القاسم الازجى ، نا ابوالحسن ابن جهضم ، ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى ،قال : سمعت بنان بن محمد يقول : كنت بمكة مجاورا فرأيت بها ابراهيم الخواص ، واتى على ايام لم يفتح على بشىء ، وكان بمكة مزين يحب الفقراء ، وكان من أخلاقه اذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحما فطبخه فأطعمه فقصدته ، وقلت : أريد أن أحتجم ، فأرسل من يشترى لحما وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت

نفسى تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة ، ثم استيقظت وقلت : يا نفس انما جئت تحتجمين لتطعمى ، عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئا ، فلما فرغ انصرفت ، فقال : سبحان الله أنت تعرف الشرط ، فقلت: ثم عقد ؟ فسكت • وجئت الى المسجد الحرام ولم يقدر لى شىء آكله ، فلما كان من الغد بقيت الى آخر النهار ولم يتفق أيضا ، فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى على واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون ، فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى ، ثم قال : تأكل شيئا ؟ قلت : قرب الليل ، فقال : أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ، ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة اذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق (١) ماء فوضعه بين يدى ، وقال : كل ذلك ، فأكلت الرغيفين والعدس ، فقال : فيك فضل (٢) تأكل شيئا آخر ؟ قلت : نعم ، فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما ،وقلت : قد اكتفيت ، فاضطجعت فما قمت ليلتى ونمت الى الصباح ما صليت ولا طفت •

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ، ثنا أبى ، قال :سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت منصور بن عبد الله الاصفهانى يقول :سمعت أبا على الروزبارى يقول : اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام : أنا جائع ، فألزموه السوق وامروه بالكسب • أنبأنا عبد المنعم ، ثنا أبى ، قال : سمعت ابن باكويه يقول : سمعت أبا احمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة ، فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر الي وقال : من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر حبات وترك الباقى •

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا على بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت عبد الله بن خفيف يقول: كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهرا أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوما فافتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على • فتحير الفصاد وقال : ما رأيت جسدا لادم فيه الا هذا •

فصل

قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم : أكل

---

(١) الدورق : الابريق الكبير •

(٢) الفضل : البقية والزيادة •

درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صبـــاحا • وكان فيهم من يمتنع مـن الطيبات كلها، ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبدالواحد الدينوري، نا ابو الحسن القزويني ، نا أبو حفص بن الزيات ، ثنا ابن ماجه ، ثنا أزهر بن جميل ، ثنا بزيغ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احرموا أنفسكم طيب الطعام فانما قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها (١) » •وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى • وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار • ومنهم من كان يجعـــل ماءه فى دن (٢) مدفون فى الارض فيصير حارا • ومنهم من يعاقب نفسه بترك المـاء مدة • وأخبرنا محمد بن ناصر ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن على السهلكى ، قال : سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ، ثنى محمد بن سعدان ، ثنـــى عيسى بن موسى البسطامى ، قال : سمعت أبى يقول : قال : سمعت عمـي خادم أبى يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة • قال : وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمرا مـن الامور فأبت ، فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت المـــاء سنة • وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد أنه قال : دعوت نفسى الى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك •

فصـــــل

قال المصنف : وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال : استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة ، قال : ومن الناس من كان يعمل فى الاقوات فيقلهـــا • وكان بعضهم يزن قوته بكربة (٣) من كـرب النخل ، وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال :ومنهم من كان يعمل فى الاوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج الى يومين وثلاثة ، قال : والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه ، وفى بياضه نوره ،ويذيب شحم الفـؤاد وفى ذوبانه رقته ، وفى رقته مفتاح المكاشفة •

قال المصنف رحمه الله تعالى : وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى (٤) كتابا سماه « رياضة النفوس » قال فيه : فينبغى للمبتدى فى

---

١ ـ حديث موضوع ، وسيبين ذلك المصنف بعد قليل •

٢ ـ الدن : الراقود العظيم لا يقعد الا ان يحفر له ، والجمع : دنان •

٣ ـ الكربة : جمع الكرب ، وهي أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها •

(٤) وهو غير صاحب السنن ، فذاك أبو عيسى محمد بن عيسى الحافظ المتوفى سنة ٢٧٩ هـ •

هذا الامر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع الادام والفواكه واللذة ، ومجالسة الاخوان ، والنظر فى الكتب (١) ، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلىء غما •

قال المصنف : وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينية • يبقى أحدهم أربعين يوما لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها (٢) •

فصل

فى بيان تلبيس ابليس عليهم فى هذه الافعال وايضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله : أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لانه حمل على النفس ما لا تطيق ، ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ، ومثل هذه الاشياء أشهر من ان تحتاج الى رد • وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعدا أفضل من صلاته قائما اذا قواه الاكل •

قال المصنف رحمه الله : وهذا خطأ بل اذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لانه يعين على العبادة ، واذا تجوع الى أن يصلى قاعدا فقد تسبب الى ترك الفرائض فلم يجز له ، ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ، ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة • وأما قول الحداد « وأنا انظر أن يغلب العلم أم اليقين » فانه جهل محض لانه ليس بين العلم واليقين تضاد انما اليقين أعلى مراتب العلم ، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب ، وانما أشار بالعلم الى ما أمره الشرع ، وأشار باليقين الى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح ، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس (٣)

---

(١) سيورد المصنف بحثا خاصا في تركهم الاشتغال بالعلم وتحريق الكتب •

(٢) اي ما لم يذكر •

(٣) الحمس : المشتدون في الدين ومفرده الاخمس •

فجحدوا الاصل وشددوا في الفرع ، وقول الاخر : ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الاشياء ، وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفلح ، وأما سويق الشعير فانه يورث القولنج ، وقول الاخر : الزبد بالعسل اسراف قول مرذول لان الاسراف ممنوع منه شرعا ، وهذا مأذون فيه • وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل القثاء بالرطب (١) ، وكان يحب الحلوى والعسل (٢) •

وأما ما روينا عن سهل أنه قال : قسمت قوتي وعقلي سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه اذ لم يأمر الشرع بمثله وهو الى التحريم أقرب ، لانه ظلم للنفس وترك لحقها ، وكذلك قول الذي قال : ما أكلت الا وقت أن يباح لي أكل الميتة ، فانه فعل برأيه المرذول • وحمل على النفس مع وجودالحلال• وقول أبي يزيد : القوت عندنا الله ، كلام ركيك فان البدن قد بني على الحاجة الى الطعام حتى ان أهل النار في النار يحتاجون الى الطعام • واما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له ، والذي طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فانه فعل ما لا يحل له ، وقول ابراهيم له : أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضا ، فانه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان اذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجوز له ان يصوم • أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر بن ثابت ، ثني الازهري ،ثنا علي بن عمر ، ثنا أبو حامد الحضرمي ، ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ، ثنا بقية بن الوليد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار » •

قال المصنف رحمه الله : قلت : كل رجاله ثقات (٣) • وقد أخبرنا به عاليا محمد بن عبد الباقي ، نا أبو يعلى محمد بن الحسين ، نا علي بن عمر السكري ، ثنا أحمد بن محمد الاسدي ، ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره، وقال : من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار •

قال المصنف رحمه الله : وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن،

---

(١) رواه الجماعة الا النسائي عن عبدالله بن جعفر •

(٢) رواه الجماعة عن عائشة •

(٣) الا ان بقية بن الوليد كثير التدليس عن الضعفاء ، وقد عنعن الحديث ولم يصرح بالسماع•

وما يورد هذه الاخبار عنهم ايرادا مستحسنا لها الا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فانه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم (١) ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل اعلم بمصالح الابدان فأباح اللحم لتقويتها ، فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة (٢) ، ودخل يوما فقدم اليه طعام من طعام البيت ، فقال : لم أر لكم برمة تفور (٣) . وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحما ، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر . وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الاطلاق لا يصلح لان الله عز وجل لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الاخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء ، فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة الى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع الى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس الى المرطبات ، فقد ركب في الطبع الميل الى ما تميل اليه النفس وتوافقه ، فاذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك في البدن ، فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ، ومعلوم ان البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وانما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئا . ولقد عجبت لابي حامد الغزالي الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه الى مذاهبهم حتى انه قال : لا ينبغي للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح في الغاية فان الادام شهوة فوق الطعام فينبغي أن لا يأكل اداما والماء شهوة أخرى . أوليس في الصحيح

---

(١) المبرسم : المصاب بمرض البرسام .

(٢) في «الشمائل» للترمذي عن أبي هريرة قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع ـ وكان تعجبه ـ فنهش منها» . وعن ابن مسعود قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع .

(٣) لم أجده .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه بغسل واحد (١) ، فهلا اقتصر على شهوة واحدة • أوليس في «الصحيحين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان • أو ما أكل عند أبي الهيثم ابن التيهان خبزا وشواء وبسرا (٢) وشرب ماء باردا • أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلي ، أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت (٣) • وتطعم الناقة الخبط (٤) والحمض (٥) ، وهل البدن الاناقة • وانما نهى بعض القدماء عن الجمع بين ادامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج الى كلفة ، وانما تجنيب فضول الشهوات لئلا يكون سببا لكثرة الاكل وجلب النوم ، ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان الى تضييع العمر في كسبها وربما تناولها من غير وجهها • وهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات • والحديث الذى احتجوا به «احرموا أنفسكم طيب الطعام » حديث موضوع عملته يدا بزيغ الراوي • وأما اذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه ، لان خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر ، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها • وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الحوفي أنه كان يأكل خبز البلوط بغير ادام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئا من الدهن والدسومات فلا يفعل •

قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد • واعلم أن المذموم من الاكل انما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارع صلى الله عليه وسلم •

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أبو بكر بن حمكان ، ثنا عبدالله ابن أحمد ، ثني أبي ، ثنا أبو المغيرة ، ثنا سليمان بن سليم الكناني ، ثنا يحيى بن جابر الطائي ، قال : سمعت المقدام بن معدى كرب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من

---

(١) رواه مسلم •

٢ ـ البسر : الثمر اذا لوح ولم ينضج •

(٣) القت : حب بري يأكله أهل البادية بعد دقه وطبخه •

(٤) الخبط : ورق الشجر ينفض بالمخابط •

٥ ـ الحمض : ما ملح وأمر من النبات ، الواحدة : حمضة •

بطنه ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ،فان كان لابد ، فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه (١) ٠

قال المصنف رحمه الله : فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظا لهاوسعيا في مصلحتها ٠ ولو سمع أبقراط (٢) هذه القسمـــة فى قوله : ثلث وثلث وثلث لدهش من هذه الحكمة لان الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب ، فهذا أعدل الامور ، فان نقص منه قليلا لم يضر وان زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام ٠

فصـــل

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصوفية انما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ، ومن أضر الاشياء على الشاب الجوع ، فـــان المشايخ يصبرون عليه والكهول ايضا ، فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع ٠ وسبب ذلـك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج الى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد الى كثرة الزيت ، فاذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه ، فكان كمن يعرقب (٣) أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء الى أخذ الفضول المجتمعة فى البـدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن والجسم ، وهذا أصل عظيم يحتاج الى تأمل ٠

فصـــل

قال المصنف رحمه الله : وذكر العلماء التقلل الذى يضعف البدن ٠

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا عبد العزيز بن على الازجى ، نا ابراهيم بن جعفر الساجى ، نا أبو بكر عبــد العزيز بن جعفر، نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ، نا عبد الله ابن ابراهيم بن يعقوب الجيلى ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، قال له عقبة بن مكرم : هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم ،فقال ما يعجبنى ، سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : فعل قوم هذا فقطعهم عن

---

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه ٠ قال ابن حجر في «الفتح» حديث حسن ٠

٢ ــ الطبيب الشهير

(٣) عرقب الدابة : قطع عرقوبها ٠

الفرض · قال الخلال : وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ، ثنا اسحاق بن داود بن صبيح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن مهدي يا أبا سعيد ان ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية ، فقال : لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوما أخرجهم الامر الى الجنون ، وبعضهم أخرجهم الى الزندقة ، ثم قال : خرج سفيان الثوري في سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل · قال الخلال : وأخبرني المروزي ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وقال له رجل : اني منذ خمس عشرة سنة قد ولع بي ابليس ، وربما وجدت وسوسة أتفكر في الله عز وجل ، فقال : لعلك كنت تدمن الصوم ، افطر وكل دسما وجالس القصاص ·

قال المصنف رحمه الله : وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع في معدته أخلاط فجة فتغتذي المعدة منها مدة ، لان المعدة لا بد لها من شيء تهضمه ، فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئا تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء ، وذلك الغذاء الرديء يخرج الى الوساوس والجنون وسوء الاخلاق · وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط · ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياما · ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة ، وانما السبب ما عرفتك ·

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ، قال : حدثني أبي ، قال : كانت امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها ، فقالت : كنت في حال الشباب أجد من نفسي أحوالا أظنها قوة الحال ، فلما كبرت زالت عني ، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا ، قال : سمعت أبا علي الدقاق يقول: ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ الا رق لهذه العجوز ، وقال : انها كانت منصفة ·

وقال المصنف : فان قيل : كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضي الله عنه كان يأكل كل يوم احدى عشرة (١) لقمة ، وان ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل (٢)، وان ابراهيم التيمي بقي شهرين ، قلنا : قد يجري للانسان من هذا الفن في بعض الاوقات غير أنه لا يدوم عليه ، ولا

(١ ـ ٢) لم أجد لها سندا ·

يقصد الترقى اليه • وقد كان في السلف من يجوع عوزا وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه • وفى العرب من يبقى أياما لا يزيد على شرب اللبن ، ونحن لا نأمر بالشبع انما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن، واذا ضعف البدن قلت العبادة ، فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فاقدع (١) بالراكب •

وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ ، نا عبد القادر بن يوسف ، نا أبو اسحاق البرمكى ، ثنا أبو يعقوب بن سعد النسائى ، ثنا جدى الحسن بن سفيان ، ثنا حرملة بن يحيى ، ثنا عبد الله بن وهب ، ثنا سفيان بن عيينة، عن مالك بن أنس ، عن اسحاق ابن عبيد الله بن أبى طلحة ، عن أنس رضى الله عنه ، قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه (٢) • وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم ، أنه اشترى زبدا وعسلا وخبزا حوارى (٣) • فقيل له : هذا كله تأكله ، فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال •

فصل

قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى فقد تخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا فليح ابن سليمان ، عن سعيد بن الحارث ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى قوما من الانصار يعود مريضا فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال : « ان كان عندكم ماء بات فى شن والا كرعنا » أخرجه البخارى•
وأخبرنا منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب ،نا أبو عمر بن مهدى ، ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ، ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ، ثنا عبد العزيز بن محمد ، نا هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة رضى الله عنها: « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا (٤) » •

---

١ ـ قدع الفرس : عدا ، اقدعه عن كذا : كفه •

(٢) الحشف : اردا التمر •

(٣) الحواري : الدقيق الابيض •

(٤) ورواه احمد وابو داود والحاكم ، وقال : على شرط مسلم ، واقره الذهبي ، وبه ختم ابو داود كتاب الاشربة ساكتا عليه •

قال المصنف : وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا في الكلي والسدد في الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوي الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات الى الدماغ ، ويحفظ الصحة ، واذا كان الماء حارا أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى الى الاستسقاء والدق (١) ، فان سخن بالشمس خيف منه البرص (٢) • وقد كان بعض الزهاد يقول : اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت ، وكذلك قال أبو حامد الغزالي : اذا أكل الانسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت ، واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت •

قال المصنف رحمه الله : واعجبا كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس في أي فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ، ثم كيف يجوز لنا تعذيبها ، وقد قال الله عز وجل « ولا تقتلوا أنفسكم » (النساء : ٢٩) ورضي منا بالافطار في السفر رفقا بها ، وقال « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة : ١٨٥) أوليست مطيتنا التي عليها وصولنا •

وكيف لا نأوي لها وهي التي بها قطعنا السهل والحزونا (٣)

وأما معاقبة أبي يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة الا الجهال ، ووجه ذمها أن للنفس حقا ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذي نفسه ، ولا أن يقعد في الشمس في الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا في الثلج في الشتاء • والماء يحفظ الرطوبات الاصلية في البدن وينفذ الاغذية وقوام النفس بالاغذية ، فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها ، وهذا من أفحش الخطأ • وكذلك منعه اياها النوم ، قال ابن عقيل : وليس للناس اقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم ، يدل عليه أن اقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزي فان فعله أعاده الامام • وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف في الاموال لم يطلق لاربابها الا على وجوه مخصوصة •

---

(١) أي حمى الدق •

(٢) كأنه يشير الى حديث عائشة حين سخنت ماء في الشمس ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص • وهو حديث موضوع فيه خالد ابن اسماعيل • قال ابن عدي كان يضع الاحاديث ، وتابعه من هو أشر منه •

(٣) الحزون مفردها الحزن ، وهو ما غلظ من الارض •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد روينا فى حديث الهجرة (١) أن النبى صلى الله عليه وسلم تزود طعاما وشرابا ٠ وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبنا فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك من الرفق بالنفس ٠ وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها ، انما يمدح الجوع اذا كان بمقدار ، وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ ٠ وأما ما صنفه الترمذى فكان ابتداء شرع (٢) برأيه الفاسد ٠ وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة ،واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى ٠ وأما الاربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له « من أخلص لله أربعين صباحا لم يجب الاخلاص (٣) أبدا » فما وجه تقديره بأربعين صباحا ، ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ، ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله الا جهل ٠

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ، قال : حدثنا أبى قال : حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب ، لان الناس اما أصحاب نقل واثر واما أرباب عقل وفكر ، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ، والذى للناس غيب ، فلهم ظهور فهم أهل الوصال ، والناس أهل الاستدلال ، فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام الا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : من له ادنى فهم يعرف ان هذا الكلام تخليط ، فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق الا وهو مستدل ، وذكر الوصال (٤) حديث فارغ ٠ فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والاشياخ ، والله الموفق ٠

فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم

أخبرنا يحيى بن على المدبر ، نا أبو بكر محمد بن على الخياط ، ثنا

---

(١) رواه البخاري وغيره ٠

(٢) اي : انشاء شرع جديد مبتدع ٠

(٣) من جب الشيء : اذا قطع ٠

(٤) اي وصال الحق ٠

الحسن بن الحسين ابن حكمان ، ثنا عبدان بن يزيد العطار ، وأخبرنا محمد ابن أبى منصور ، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ، ثنا محمد بن أحمد الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البردجردى ، ثنا عمير بن مرداس ، قالا : حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ، ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم العمرى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، قال : جاء عثمان بن مظعون الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئا حتى أذكر لك ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما تحدثك نفسك يا عثمان » ، قال : تحدثنى نفسى بأن اختصى ، فقال : «مهلا ياعثمان فان خصى أمتى الصيام » قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال ، قال : « مهلا يا عثمان ، فان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة » ، قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الارض ، قال : « مهلا يا عثمان ، فان سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة » قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله ، قال : « مهلا يا عثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك » قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة امرأتى ، قال : «مهلا يا عثمان فان هجرة أمتى من هجر ما حرم الله عليه ، او هاجر الي فى حياتى ، أو زار قبرى بعدموتى، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو اربع » . قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا أغشاها ، قال : « مهلا يا عثمان فان الرجل المسلم اذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف (١) فى الجنة ، فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيامة ،وان كان بعده كان له نورا يوم القيامة » قال : يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا آكل اللحم ، قال : « مهلا يا عثمان فانى أحب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربى أن يطعمنى اياه كل يوم لاطعمنى » ، قال : يا رسول اللهفان نفسى تحدثنى أن لا أمس طيبا ، قال : « مهلا يا عثمان فان جبريل أمرنى بالطيب غبا (٢) ويوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتى ، فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى(٣)» .

---

(١) الوصيف : الغلام . (٢) يوما بعد يوم .

٣ ـ وفي هذا الحديث علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ـ كما قال الحافظ ـ في « التقريب » .

قال المصنف رحمه الله : هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر ، نا الجوهرى ، نا أبو عمر بن حياة ، نا أحمد ابن معروف ، نا الحسن بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ، نا الفضل بن دكين ، ثنا اسرائيل ، ثنا أبو اسحاق ، عن أبى بردة ، قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك ؟! قالت : مالنا منه شيء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم . فدخلن الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرن ذلك له فلقيه . فقال : « يا عثمان أمالك بى أسوة ؟! » فقال : بأبى وأمى أنت وما ذاك ؟ قال : « تصوم النهار وتقوم الليل »، قال : انى لافعل، قال : « لا تفعل ان لعينك عليك حقا ، وان لجسدك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، فصل ونم وصم وأفطر (١) » .

قال ابن سعد : وأخبرنا عارم بن الفضل ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا معاوية ابن عباس الحرمى ، عن أبى قلابة ان عثمان بن مظعون اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه فأخذ بعضادتى باب البيت الذى هو فيه ، وقال : « يا عثمان ان الله عز وجل لم يبعثنى بالرهبانية مرتين أو ثلاثا ، وان خير الدين عند الله الحنيفية السمحة (٢) » .

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا محمد بن على بن ميمون ، نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى ، نا أبو بكر بن عبدان، نا محمد بن سهل ، ثنا البخارى (٣) قال : قال موسى بن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ، ثنا معاوية بن قرة ، عن كهمس الهلالى ، قال : أسلمت وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته باسلامى . فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمى فخفض في البصر ثم صعده ، قلت : أما تعرفنى ؟ قال : « ومن أنت ؟» قلت : أنا كهمس الهلالى ، قال : « فما بلغ بك ما ارى » قلت : ما أفطرت بعدك نهارا ، ولا نمت ليلا . قال : « ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما » قلت : زدنى قال : « صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين » . قلت : زدنى . قال : « صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام » .

---

(١) والحديث مرسل لان أبا بردة تابعي .

(٢) والحديث مرسل وفيه أبو قلابة عبدالله بن زيد الجرمي . قال في «التقريب» كثير الارسال .

(٣) لم أجده في «صحيح البخاري» وفي الاسناد من لم أجد له ترجمة .

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدري ، نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ، ثنا حميد بن الربيع ، ثنا عبدة بن حميد ، عن الاعمش، عن جرير بن حازم ، عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به صلى الله عليه وسلم أن ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا ، فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيدا شديدا • وقال : « لو كنت تقدمت فيه لفعلت • ثم قال : انى لم ارسل بالرهبانية ، ان خير الدين الحنيفية السمحة (١) » •

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في مأكله ومشربه (٢) » • وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيرا فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثا لنعمة الله عز وجل • ومن أعطى خيرا فلم ير عليه سمي : بغيض الله عز وجل معاديا لنعمة الله عز وجل •

فصل

قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همتهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع ، لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همة لاكثرهم الا الاكل واللعب • فان أحسن محسن منهم قالوا : طرح شكرا ، وان أساء مسيء • قالوا : استغفر ، ويسمون ما يلزمونه اياه واجبا • وتسمية ما لم يسمه الشرع واجبا جناية عليه •

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا محمد ابن أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري ، ثنا أبو زكريا يحيى ابن محمد العنبري ، نا احمد بن سلمة ، ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادي ، قال : قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقص على الناس فأبكى ، فلما فرغ من قصصه قال : من يطعمنا أرزة (٣) في الله ، فقام شاب من المجلس ، فقال : أنا ، فقال : اجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ، ثم

---

(١) والحديث مرسل لان ابا قلابة تابعي •

(٢) رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن زيد بن جدعان مرسلا وهو ضعيف •

(٣) الارز : حب معروف يطبخ •

قام الثانية ذلك الشاب ، فقال : اجلس فقد عرفنا موضعك ، فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لاصحابه : قوموا بنا اليه ، فقاموا معه فأتوا منزله ، قال : فأتينا بقدر من باقلاء فأكلناه بلا ملح ، ثم قال أبو مرحوم : على بخوان خماسي وخمس مكاكيك (٢) أرز ، وخمسة أمنان (٣) سمن ، وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجيء بها كلها ،فقال أبو مرحوم لاصحابه : يا اخواني كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها، مبيضة شمسها ، قال : اخرقوا فيها أنهارها ، قال : فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ،فقال: يا أخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا : مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، مجراة فيها أنهارها ، فقال : يا اخواني اغرسوا فيها اشجارها ، قال : فأتى بذلك الفستق والصنوبر ، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال : يا اخواني كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجرى فيها أنهارها ، وقد غرست فيها اشجاها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، قال : يا اخواني ارموا الدنيا بحجارتها ، قال : فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال : يا اخواني كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها مبيضة شمسها وقد اجريت فيها انهارها ، وقد غرست فيها أشجارها ،وقد تدلت لنا ثمارها ، فقال : يا اخواني ، مالنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها ، قال : فجعل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس «٤»، قال أبو الفضل أحمد بن سلمة : ذكرته لابى حاتم الرازى ، فقال : امله (٥) علي فأمليته عليه فقال: هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله :قلت : وقد رأيت منهم من اذا حضر دعوة بالغ فى الاكل ثم اختار من الطعام ، فربما ملأ كميه من غير اذن صاحب الدار، وذلك حرام بالاجماع ، ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئا من الطعام ليحمله معه ، فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين : أحدهما

---

٢ ـ المكول : مكيال يسع صاعا ونصف صاع .

٣ ـ المن : كيل يعادل ١٨٠ مثقالا .

٤ ـ أي بأصابعه الخمس .

٥ ـ من الاملاء أي قله لاكتبه .

أنه يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته • والثانى أنه يميله الى اللذات العاجلة التى تدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح ، وليس تمام لذته الا فى المتجددات ، ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل ، فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة ان الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ، ولهذا جاء فى الحديث «الغناء رقية الزنا» (١) • وقد ذكر ابو جعفر الطبرى ان الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له : ثوبال ، اتخذ فى زمان مهلائيل ابن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان ، فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من نسل شيث ، فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور •

قال المصنف رحمه الله : وهذا لان الالتذاذ بشىء يدعو الى التذاذه بغيره خصوصا ما يناسبه ، ولما يئس ابليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الاصوات المحرمة كالعود نظر الى المعنى الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم ، وانما مراده التدريج من شىء الى شىء ، والفقيه من نظر فى الاسباب والنتائج وتأمل المقاصد ، فان النظر الى الامرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز • وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنوات جائز اذ لا شهوة تقع هناك فى الاغلب فان وجد شهوة حرم ذلك • وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة •

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا ، فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة • وفصل الخطاب ان نقول : ينبغى ان ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك ، والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات ، فان أقواما من الاعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام ، وربما ضربوا مع انشادهم

---

١ ـ قال الفارسي في « الموضوعات » : هو من كلام الفضل بن عياض •

بطبل (١) ، فسماع تلك الاشعار مباح، وليس انشادهم اياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال • وفى معنى هؤلاء الغزاة : فانهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو • وفى معنى هذا انشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخرا عند النزال ، وفى معنى هذا اشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم:

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمى ، الا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال •

وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا ، نا أبو جعفر بن المسلمة ، نا المخلص ، نا أحمد بن سليمان الطوسى ، ثنا الزبير بن بكار، ثنى ابراهيم بن المنذر ،ثنا أبو البحترى وهب ، عن طلحة المكى عن بعض علمائهم (٢) : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مال ذات ليلة بطريق مكة الى حاد مع قوم فسلم عليهم ، فقال : ان حادينا نام (٣)، فسمعنا حاديكم فملت اليكم ، فهل تدرون انى كان الحداء ؟ قالوا : لا ، والله ، قال : ان اباهم مضر خرج الى بعض رعاته فوجد ابله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يايداه يايداه ، فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء •

قال المصنف رحمه الله : وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد يقال له : أنجشة يحدو فتعنق (٤) الابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير» (٥) • وفى حديث سلمة ابن الاكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوام لعامر بن الاكوع : ألا تسمعنا من هنياتك ؟ وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول :

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فألقين سكينة علينا وثبت الاقدام اذ لاقينا

---

١ ــ سيورد المصنف كراهة احمد بن حنبل للطبل في بحث الغناء •

٢ ــ وفيه أبو البختري وهب بن وهب ، وهو متهم في الحديث •

٣ ــ في نسخة : ان حادينا ونا : أي تعب •

٤ ــ العنق : نوع من السير سريع •

٥ ــ متفق عليه بلفظ «رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير» قال قتادة « يعني ضعفه النسا» •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر ابن الاكوع فقال : يرحمه الله (١) •

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال: أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به •

قال المصنف رحمه الله : قلت : ومن انشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

طلع البـــدر علينـا   مـن ثنيـــات الـوداع

وجـب الشكر علينا   مـا دعا اللـــه داع (١)

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة ، وربما ضربوا عليـه بالدف عند انشاده • ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نـا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمـــد ، ثنا ابى ، ثنا أبو المغيرة ، ثنـا الاوزاعى ، ثنى الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها : أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه ، وقال : «دعهن يا أبا بكر فانها ايام عيد» أخرجاه فى «الصحيحين» •

قال المصنف رحمه الله : والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن ، لان عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرب (٣)اليها الجوارى فيلعبن معها •

وقد أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو الحســـين بن عبد الجبار ، نا أبو اسحاق البرمكى ، أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ، ثنا ابو بكر الخلال ،أخبرنى منصور بن الوليد بن جعفر بن محمد حدثهم ، قال : قلت لابى عبد اللهأحمد ابن حنبل حديث الزهرى عن عروة عن عائشة عن جـــوار يغنين ـ اى شىء هذا الغناء ؟ قال : غناء الركب : أتيناكم أتيناكم • قال الخلال : وحدثنـا أحمد بن الفرج الحمصى ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا أبو عقيل عن بهية ،عن

---

١ ـ رواه البخاري ٢ ـ قال الحافظ في « الفتح » ٨ ـ ٢٦٣ : رواه الخلعي في « فوائده » من طريق عبدالله بن عائشة منقطعا وهو سند مفصل •

٣ ـ سرب الابل : ارسلها قطعة قطعة •

عائشـــة رضى الله عنها ، قالت :كانت عندنا جـــارية يتيمة من الانصار فزوجناها رجلا من الانصار فكنت فيمن أهداها الى زوجها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ان الانصار اناس فيهم غزل : فما قلتم ؟ قالت : دعونا بالبركة • قال : أفلا قلتم :

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيونـــا نحييكم
ولولا الذهـب الاحمـ ـر ما حلت بواديكم
ولولا الحبـة السمرا ء لم تسمن عذاريكم (١)

أخبرنا أبو الحصين ، نا ابن المذهب ، ناأحمد بن جعفر ، ثنا عبد اللهبن أحمد، ثنى أبى ، ثنا أسود بن عامر ، نا أبو بكر ،عن أجلح، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها : «اهديتم الجارية الى بيتها» قالت : نعم ، قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

فان الانصار قوم فيهم غزل (٢) •

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم • ومن ذلك أشعار ينشدهـا المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب الى ذكر الآخرة ويسمونهاالزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا فى غفلـة ورائحـا الى متى تستحســن القبائحـا
وكم الى كم لا تخاف موقفـا يستنطق الله به الجوارحـا
يا عجبا منك وأنت مبصـر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضا والى مثله أشار أحمد بن حنبل فى الاباحة فيما أنبأنا به ابو العزيز كاوس ، نا المظفر بن الحسن الهمدانى ، نا أبو بكر بن لال ، ثنا

---

١ ـ وفيه أبو عقل يحيى بن المتوكل المدني • قال في « التقريب » : ضعيف ، لكن روى البخاري وأحمد عن عائشة : « انها زفت امرأة الى رجل من الانصار ، فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم : يا عائشة ما كان معكم من لهو فان الانصار يعجبهم اللهو » •

٢ ـ وفيه ابو الزبير ، صدوق الا انه يدلس ، وقد عنعنه ، واجلح مختلف فيه كما قال في « الزوائـــد » •

الفضل بن الفضل الكندى ، قال :سمعت عبدوس يقول : سمعت أبا حامد الخلفانى يقول لاحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شىء تقول فيها فقال : مثل اى شىء قلت :إيقولون:

اذا ما قال لى ربى   أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى   وبالعصيان تأتينى

فقال : اعد علي ، فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب ـ فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

اذا ما قال لى ربى   أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى   وبالعصيان تأتينى

ومن الاشعار أشعار تنشدها النواح ، يثيرون بها الاحزان والبكاء ، فينهى عنها لما فى ضمنها ·

فأما الاشعار التى ينشدها المغنون المتهيئون (١) للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو ، وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبى اللون من   وجنتيه النار تقتدح
خوفونى من فضيحته   ليته وافى (٢) وافتضح

وقد أخرجوا لهذه الاغانى ألحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شىء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب · وقد أضافوا الى ذلك ضرب القضيب والايقاع به على وفق الانشاد ، والدف بالجلاجل ، والشبابة الثانية عن الزمر ، فهذا الغناء المعروف اليوم ·

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقبل أن نتكلم فى اباحته أو تحريمه أو كراهته نقول : ينبغى للعاقل ان ينصح نفسه واخوانه ، ويحذر تلبيس ابليس فى اجراء هذا الغناء مجرى الاقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء · فلا

---

١ ـ المتهيئون : المتفرغون   ٢ ـ وافى اتى ·

يحمل الكل محملا واحدا ، فيقول : قد أباحه فلان وكرهه فلان • فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول :

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت ، فاذا ادعى الشاب السليم البدن والصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع ، فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضا خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعلل فقال :انما أنظر الى هذه المستحسنات معتبرا فأتعجب من حسن الصنعة فى دعج (١) العينين ، ورقة الانف ، ونقاء البياض ، قلنا له :فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة ، ها هنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة • فان ميل الطبع شاغل عن ذلك ،وكذا من قال :ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها الى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبى الى حب الدنيا الموصوفة فيه ، فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع • ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائبا عن الهوى لاحضر هذا المسموع الطبع ، وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف • وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى • ثم ان كان الامر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه الا لمن هذه صفته ،والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدىء والصبى الجاهل • حتى قال أبو حامد الغزالى : ان التشبيب بوصف الخدود ، والاصداغ ، وحسن القد ، والقامة ، وسائر اوصاف النساء • الصحيح أنه لا يحرم •

قال المصنف رحمه الله : فأما من قال : انى لا أسمع الغناء للدنيا وانما آخذ منه اشارات فهو يخطىء من وجهين : أحدهما ـ أن الطبع يسبق الى مقصوده قبل أخذ الاشارات فيكون كمن قال : انى انظر الى هذه المرأة المستحسنة لاتفكر فى الصنعة • والثانى ـ أنه يقل فيه وجود شىء يشار به الى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى ان يقال فى حقه انه يعشق ، ويقع الهيمان به • وانما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط واذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء •

فصل

أما مذهب أحمد رحمه الله ، فانه كان الغناء فى زمانه انشاد قصائد

---

١ ـ العين الدعجاء : الواسعة الشديدة السواد •

الزهد الا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه • فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني • وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفي : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه، هو بدعة ، ولا يجالسون • وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغبير بدعة ، فقيل له : انه يرقق القلب • فقال هو بدعة وروى عنه يعقوب الهاشمي : التغبير بدعة محدث ، وروى عنه يعقوب بن غياث كره التغبير ، وانه نهى عن استماعه •

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء • قال أبو بكر الخلال : كره أحمد القصائد لما قيل له انهم يتماجنون ، ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها • قال المروزى : سألت أبا عبد الله عن القصائد ، فقال: بدعة • فقلت له : انهم يهجرون (٢)• فقال : لا يبلغ بهم هذا كله •

قال المصنف : وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه ، فقال له صالح : يا أبت أليس كنت تنكر هذا ؟ فقال : انما قيل لي انهم يستعملون المنكر فكرهته ، فاما هذا فانى لا أكرهه •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغناء • وانما أشار الى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات ، وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد • ويدل على ماقلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولدا وجارية مغنية • فاحتاج الصبى الى بيعها • فقال : لا تباع على أنها مغنية ،فقيل له : انها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوى عشرين دينارا ، فقال :لا تباع الا على أنها ساذجة •

قال المصنف: وانما قال هذا لان الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل بالاشعار المطربة المثيرة للطبع الى العشق ، وهذا دليل على أن الغناء محظور اذ لو لم يكن محظورا ما أجاز تفويت المال على اليتيم • وصار هذا كقول أبى طلحة للنبى صلى الله عليه وسلم • عندى خمر لايتام ، فقال :

---

١ ـ في النسخة الثانية ـ يعقوب بن محيان ـ ولفظ التغبير هو تغيير الذكر بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد ثماني صفحات •

٢ ـ هجر في نومه او مرضه : خلط وهذى •

«ارقها» (١) • فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى • وروى المروزى عن أحمد بن حنبل انه قال : كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء، وهذا لان المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية انما يغنى بالغزل والنوح •فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات •

فصل

قال المصنف : وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله ، فأخبرنا محمد بن ناصر ، نا ابو الحسين بن عبد الجبار ،نا أبو اسحاق البرمكى ، نا عبد العزيز بن جعفر ، ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عاليا سعيد بن الحسن بن البنا ، نا أبو نصر محمد بن محمد الدبيثي ، نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق ، نا محمد بن السرى بن عثمان التمار ، قالا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن ابيه عن اسحاق بن عيسى الطباع (٢) ، قال : سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء ، فقال : انما يفعله الفساق•

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى ، قال : أنبأنا أبو الطيف الطبرى، قال: أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه ، وقال : اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب ، وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده ،فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأسا•

فصل

وأما مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، أخبرنا هبة الله بن أحمدالحريرى عن أبي الطيب الطبرى ، قال :كان أبو حنيفة يكره الغناء مع اباحته شرب النبيذ (٣) وبجعل سماع الغناء من الذنوب ،قال : وكذلك مذهب سائرأهل الكوفة : ابراهيم ، والشعبى، وحماد، وسفيان الثورى وغيرهم ، لا اختلاف بينهم فى ذلك • قال : ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه ، الا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأسا •

فصل

وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه ، قال : حدثنا اسماعيل بن أحمد،

---

١ ـ رواه احمد وأبو داوود والترمذي والدار قطني ، ورجاله ثقات ، واصله في « صحيح مسلم » • ٢ ـ في نسخة الطباخ ٢ ـ اي نبيذ التمر •

نا أحمد بن أحمد الحداد ، نا أبو نعيم الاصفهاني ، ثنا محمد بن عبدالرحمن، ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ، ثنا محمد بن ابراهيم بن جياد ،ثنا الحسن ابن عبد العزيز الحروى ، قال سمعت محمد بن ادريس الشافعي يقـــول : خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به النـــاس عن القرآن ٠

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكر ابو منصور الازهرى المغبرة ـ قـــوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع ، وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغبيرا ، كـــأنهم اذا شاهدوا بالإلحـــان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة لهذا المعنى ٠ وقال الزجاج : سموا مغبرين لتزهيدهم الناس فى الفاني من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة ٠

وحدثنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبي الطيـــب طاهر بن عبد الله الطبرى ، قال : قال الشافعي : الغنـــاء لهو مكروه يشبه الباطل ٠ ومـــن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ،قال : وكان الشافعي يكره التغبير ٠قال الطبرى : فقد أجمع علماء الامصار على كراهية الغناء والمنع منه ، وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد (١) وعبيد الله العنبرى ، وقد قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : «عليكم بالسواد الاعظم فانه من شذ شذ فى النار »(٢) ٠ وقال : «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» (٣) ٠

قال المصنف : قلت : وقد كان رؤساء اصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع ٠ وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف ، وأما أكابرالمتأخرين

---

١ ـ في نسخة : سعيد ٠

٢ ـ لم أجده هكذا ، لكن روى الترمذي في « سننه » عن ابن عمر مرفوعا : « ان الله لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار » ، وفيه سليمـــان التيمي ضعيف ، وللحديث شواهد منها موقوف صحيح عن ابن مسعود ، رواه ابن ابي شيبة ، وفيه : « وعليكم بالجماعة فان الله لا يجمع أمة محمد على ضلال » وروى احمد في « مسنده » عن أبي ذر مرفوعا انه قال : « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين واربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله عز وجل لن يجمع أمتي الا على هدى » ٠

٣ ـ رواه الشيخان عن ابن عباس مرفوعا في حديث ولفظه : « ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » ٠

وفي حديث عند مسلم عن أبي هريرة : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مـــات ميتـــة جاهليـــة » ٠

فعلى الانكار · منهم أبو الطيب الطبرى وله في ذم الغناء والمنع كتاب مصنف · حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ، ومنهم القاضي أبو بكر محمد بن مظفر الشامى ، أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطي عنه · قال : لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب · قال : ومن أضاف الى الشافعى هذا فقد كذب عليه · وقد نص الشافعي في كتاب «أدب القضاء» على أن الرجل اذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته ·

قال المصنف رحمه الله : قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم ، وانما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه · وقال الفقهاء من أصحابنا : لا تقبل شهادة المغنى والرقاص ، والله الموفق ·

فصل في ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المصنف : وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى ·

فاما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات · الآية الاولى قوله عز وجل :«ومن الناس من يشترى لهو الحديث » (لقمان : ٦) · أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي ، قالا : نا أبو محمد الصريفينى ، نا أبو بكر بن عبدان، ثنا عبد الله بن منيع ، ثنا عبد الله بن عمر ،ثنا صفوان بن عيسى ، قال : قال حميد الخياط : أخبرنا عن عمار بن أبى معاوية عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء ، قال : سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل : «ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال : هو والله الغناء · أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ ، قالا : نا طراد بن محمد ، نا ابن بشران ، نا ابن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشى ،ثنا زهير بن حرب ،ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشترى لهو الحديث» ، قال : هو الغناء وأشباهه · أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى بن علي المدبر ، قالا : نا أبو الحسين بن النقور ، نا ابن حياة ، ثنا البغوى ، ثنا هدبة ،ثنا حماد بن سلمة ، عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد «ومن الناس من يشترى لهو الحديث » ،قال : الغناء · أخبرنا ابن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار ،نا أبو اسحاق البرمكى ، نا أحمد بن جعفر ابن مسلم ، نا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ، ثنا ابو بكر المروزى ، ثنا أحمد بن حنبل ،ثنا عبدة ، ثنا اسماعيل عن سعيد بن يسار ، قال : سألت عكرمة عن لهو الحديث قال : هو الغناء · وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابراهيم النخعى ·

الآية الثانية قوله عز وجل : «وأنتم سامدون» (النجم : ٦١) • أخبرنا عبد الله بن علي ، نا طراد بن محمد ، نا ابن بشران ، نا ابن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشي ، ثنا عبيد الله بن عمر ، ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال: هو الغناء بالحميرية سمد لنا : غنى لنا • وقال مجاهد : هو الغناء يقول أهل اليمن : سمد فلان : اذا غنى •

الآية الثالثة قوله عز وجل : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك» (الاسراء : ٦٤) • أخبرنا موهوب بن أحمد ، نا ثابت بن بندار نا عمر بن ابراهيم الزهري ، نا عبد الله بن ابراهيم بن ماسي ، ثنا الحسين ابن الكميت ، ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» ، قال : هو الغناء والمزامير •

أما السنة ـ أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، نا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه سمع صوت زمارة رآع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق ، وهو يقول : يا نافع أتسمع فأقول : نعم فيمضي ، حتى قلت : لا فوضع يديه وأعاد راحلته الى الطريق ، وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا (١) •

قال المصنف رحمه الله : اذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا الحسين بن محمد النصيبي ، ثنا اسماعيل بن سعيد بن سويد ، ثنا أبو بكر ابن الانباري ، ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ، ثنا ابن أبي مريم ، ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة ، قال: « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن ، وقال: ثمنهن حرام » (٢) • وقرأ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل

---

١ ـ واسناده حسن ورواه ابو داوود

٢ ـ وفي الحديث علي بن زيد بن جدعان ، قال في « التقريب » ضعيف •

عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » (لقمان :٦)٠

اخبرنا عبد الله بن علي المقرى ، نا ابو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران ، نا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجمحي ، ثنا منصور بن أبي الاسود عن أبي المهلب عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة ٠ قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء ، وقال : ثمنهن حرام» ٠ وقال في هذا أو نحوه ٠ أو قال : شبهه نزلت علي «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» (١) ٠ وقال : «ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتدفانه ، أعني هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت » وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ان الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ، ثم قرأ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث » (٢) ٠ وروى عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة» (٣) ٠

أخبرنا ظفر بن علي ،نا أبو الحسن بن أحمد المقتدى ، نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن على بن الوليد ، ثنا محمد بن كليب ،ثنا خلف بن خليفة ، عن ابان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر ، قال : « دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ابنه

---

١ ـ وهو ايضا من رواية علي بن زيد ، وقد رواه احمد والترمذي وابن ماجه عن أبي امامة بلفظ : لا تبيعوا الفتيات ولا تشتروهن ، ولا تعلموهن ، وثمنهن حرام ، وفي مثل هذا نزلت ٠٠٠ الآية » ٠ قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وعلي بن يزيد الراوي يضعف في الحديث ٠

٢ ـ لم أجد حديث عائشة هذا ، وفي معناه حديث ابي امامة المتقدم ٠

٣ ـ رواه الترمذي عن جابر بلفظ : ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به الى ابنه ابراهيم ، فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره فبكى ، فقال له عبد الرحمن : أتبكي ؟ أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ فقال : « لا ، ولكن نهيت عن صوتين احمقين فاجرين : صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان » الحديث ٠ قال الترمذي : حسن ٠ وروى البزار والضياء عن أنس مرفوعا : « صوتان ملعونان في الدنيا والاخرة : مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة » ٠ قال المنذري والهيثمي رواته ثقات ٠

ابراهيم يجود بنفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ، ففاضت عيناه ، فقلت : يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء ؟! فقال : لست أنهى عن البكاء انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان ،وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان » (١) ٠

أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ، نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط ، نا عبد الملك بن محمد بن بشران ، ثنا أبو علي أحمد بن الفضل ابن خزيمة ، ثنا محمد بن سويد الطحان ، ثنا عاصم بن علي ، ثنا عبد الرحمن ابن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نحام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت بهدم المزمار والطبل » (٢) ٠

أخبرنا ابن الحصين ، نا أبو طالب بن عيلان ، نا أبو بكر الشافعي ،ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية ،ثنا عباد بن يعقوب ،ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بكسر المزامير » (٣) ٠ أخبرنا أبو الفتح الكروجى ، نا أبو عامر الازدى وأبو بكر العورجى ، قالا : نا الجراحى ، ثنا المحبوبى ، ثنا الترمذى ، ثنا صالح بن عبد الله ، ثنا الفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن عمر بن علي بن أبى طالب عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف » (٤) ٠

قال الترمذى : وحدثنا على بن حجر ، نا محمد بن يزيد ، عن المستلم بن سعيد ، عن رميح الجذامى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلىالله عليه وسلم : «اذا اتخذ الفيء دولا، والامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ،وأدنى صديقه وأقصى أباه

---

(١) ـ اوردناه آنفا من حديث ابن عوف ٠

(٢) ـ وفيه عبد الرحمن بن ثابت صدوق يخطيء وفي السند من لم أعرفه ٠

(٣) ـ وفيه موسى بن عمير القرشي متروك ، وقد كذبه أبو حاتم ٠

(٤) ـ قال الترمذي بعد هذا الحديث : غريب تفرد به فرج بن فضالة وهو ضعيف ٠ قال الدارقطني : حديث باطل ٠ وقال الذهبي : منكر ٠ وقال ابن الجوزي : مقطوع واه لا يحل الاحتجاج به ٠

وظهرت الاصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع » (١) .

وقد روى عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يكون فى أمتى خسف وقذف ومسخ» قيل : يا رسول الله متى ؟ قال : «واذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر» (٢) أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب «السنن» لابن ماجه ،قال : نا أبو العباس أحمد بن محمد الاسد ابادى ، نا أبو منصور المقومى ، نا أبو طلحة القاسم بن المنذر ، نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ، ثنا محمد بن يزيد ابن ماجه ، ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول : انه سمع يزيد بن عبد الله ، يقول: انه سمع صفوان بن أمية ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمرو بن قرة ، فقال : يا رسول الله ، ان الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أرانى أرزق الا من دفى بكفى فأذن لي فى الغناء فى غير فاحشة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين ، كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله ،ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت ، قم عنى وتب الى الله عز وجل ، أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضربا وجيعا ، وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك ، وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة ، فقام عمرو وبه من الشر والخزى ما لا يعلمه الا الله عز وجل » فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عريان لا يستتر (٣) بهدبة كلما قام صراع (٤) .

---

١ ـ واسناده ضعيف كما في « المشكاة » ٣/٢٨

٢ ـ لم أجده عن سهل بن سعد وانما عند الترمذي عن عمران بن حصين نحوه ، وقال : حديث غريب . وعن ابي مالك الاشعري مرفوعا : « يشرب ناس من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير» رواه ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » .

٣ ـ الهدبة : جمعها هدب وهي خمل الثوب .

٤ ـ وفي الحديث يحيى بن العلاء قال في « التقريب » : رمي بالوضع .

وأما الآثار ـ فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ،وقال : اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان • وقال : تغنه • فان لم يحسن ، قال له : تمنه (١)• ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى• قال : ألا لاسمع الله لكم • ومر بجارية صغيرة تغنى ، فقال : لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه • وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء • فقال : أنهاك عنه وأكرهه لك ، قال : أحرام هو ؟ قال : انظر يا ابن أخى اذا ميز الله الحق من الباطل ففي أيهما يجعل الغناء • وعن الشعبى • قال : لعن الله المغني والمغنى له • أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر ، قالا: نا طراد بن محمد ،نا أبو الحسين بن بشران ، نا أبو على بن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشى ، ثنى الحسين بن عبد الرحمن ، ثنى عبد الله بن الوهاب، قال : أخبرنى أبو حفص عمر بن عبيد الله الارموى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل وعز ،فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب• ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه • وقال فضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا ، وقال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب • وقال يزيد بن الوليد: يا بنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وكم قد فتنت الاصوات بالغناء من عابد وزاهد ، وقد ذكرنا جملة من اخبارهم فى كتابنا المسمى ب «ذم الهوى» •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا ثابت بن بندار ، نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة ، نا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ، ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه ، قال : كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه اذ استمدها (٢) بيده ، وأشار اليها ، فاذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة

---

١ ـ من التمني ، وتمنى الحديث : اختلقه •

٢ ـ استمدها : طلب منها •

بجسدها كله الى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر ، فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت ، فاذا صوت رجل يغنى فانصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر ، ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ ، فلما اصبح أذن للناس اذنا عاما ، فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين (١)فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ، فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل ، فقال : هل بقى أحد يسمع منه ، فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال : وأين منزلك من العسكر فأومأ الى الناحية التى كان الغناء منها ، فقال سليمان : يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : سمير ، فسأله عن الغناء ، كيف هو فيه فقال : حاذق محكم، قال : ومتى عهدك به • قال: فى ليلتى هذه الماضية ، قال : وفى أى نواحى العسكر كنت ، فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت ، قال : فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه سليمان ، فأقبل سليمان ، فقال : هدر الجمل فضبعت (٢) الناقة ، وهب التيس فشكرت (٢) الشاة ، وهدل الحمام فزافت (٤) الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة • ثم أمر به فخصى •وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون ،قالوا : بالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائمة فيه ، فكتب الى عامله على المدينة ــ وهو أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ــ : أن اخص من قبلك من المخنثين المغنين •

قال المصنف رحمه الله : وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل • وبيان هذا ان الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه ، وتصفيق يديه ، ودق الارض برجليه الى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فى تغطية العقل ، فينبغى ان يقع المنع منه •

أخبرنا عمر بن ظفر ، نا جعفر بن أحمد ،نا عبد العزيز ابن علي الازجى، نا ابن جهضم ،ثنا يحيى بن المؤمل ،ثنا ابو بكر السفاف ، ثنا أبو سعيد الخراز ، قال : ذكر عند محمد بن منصور أصحاب القصائد ، فقال : هؤلاء

---

١ ـ أي لين الكلام فيه من التليين والالانة •

٢ ـ ضبعت : اسرعت في سيرها مادة ضبعيها : أي عضديها •

٣ ـ شكرت : امتلأ ضرعها •

٤ ـ زافت نشرت جناحيها وسحبتهما على الارض •

الفراون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي • أخبرنا محمد بن ناصر ، نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف ، نا محمد بن علي العبادي ، قال : قال أبو عبد الله بن بطة العكبري : سألني سائل عن استماع الغناء ، فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما انكرته العلماء واستحسنه السفهاء ، وانما تفعله طائفة سموا بالصوفية ، وسماهم المحققون الجبرية ، أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم (١) ظلمة ، يدعون الشوق والمحبة باسقاط الخوف والرجاء ، يسمعونه من الاحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون (٢) ويتماوتون ، ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه ، تعالى الله عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا •

فصل في ذكر الشبه التي تعلق بها من اجاز سماع الغناء

فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين ، وفي بعض ألفاظه : دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث (٣) فقال ابو بكر :أمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله : « دعهما يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا» • وقد سبق ذكر هذا الحديث (٤) • ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة الى رجل من الانصار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «يا عائشة ما كان معهم من اللهو ، فان الانصار يعجبهم اللهو » وقد سبق • ومنها حديث فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » (٥) • قال ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء ، اذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» (٦) •ومنها حديث ابن حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «فصل ما بين

---

١ ـ السبب : الطريق ٢ ـ أي يظهرون انهم مغشي عليهم فاقدو الحس والحركة
٣ ـ معركة • جرت بين الاوس والخزوج في مكان قرب المدينة •
٤ ـ وهو متفق عليه ٥ ـ رواه احمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي •
قال الحاكم : صحيح على شرطهما • والقينة : الامة المغنية ٦ ـ متفق عليه •

الحلال والحرام الضرب بالدف » (١) ·

والجواب ـ أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر ، وسمى بذلك غناء لنوع تثبيت (٢) فى الانشاد وترجيع ، ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال ، وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافيةعلى هذه الاصوات المطربةالواقعةفى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ، ما هذا الا مغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد · وانما ينبغى للمفتى أن يزن الاحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك ، وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بالات مستطابة وصناعة تجذب اليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال ، فهل يثبت هناك طبع هيهات ، بل ينزعج شوقا الى المستلذ ، ولا يدعى أنه لا يجد ذلك الا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ، ومن ادعى اخذ الاشارة من ذلك الى الخالق فقد استعمل فى حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه الى ما يجد من الهوى · وقد أجاب ابو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر : فأخبرنا ابو القاسم الحريرى عنه أنه قال : هذا الحديث حجتنا لان أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ، ولم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر قوله ، وانما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفقته لا سيما فى يوم العيد · وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها الا ذم الغناء ، وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه ، وقد اخذ العلم عنها ·

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور فى الحديث الاخر فليس بصريح فى الغناء ، فيجوز ان يكون انشاد الشعر او غيره · واما التشبيه بالاستماع الى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراما ، فان الانسان لو قال: وجدت للعسل لذة اكثر من لذة الخمر كان كلاما صحيحا ، وانما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين ، فيكون أحدهما حلالا أو حراما لا يمنع من التشبيه · وقد قال عليه الصلاة والسلام : «انكم سترون ربكم كما ترون

---

١ ـ رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وحسنه الترمذي   ٢ ـ أي مواظبة مداومة ·

القمر (١) » فشبه أيضا الرؤية بايضاح الرؤية ، وان كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك • والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء : لا تنشف الاعضاء منه لانه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد • فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة ، وان افترقا فى الطهار والنجاسة (٢) •واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون الا على مباح فقه الصوفية لاعلم الفقهاء • وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان ابن عيينة ، فقال : معناه يستغنى به ، وفسره الشافعى فقال : معناه يتحزن به ويترنم ، وقال غيرهما : يجعله مكان غناء الركبان اذا ساروا • وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصرى يقول : ليس الدف من سنة المرسلين فى شىء • وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به الى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما معناه عندنا اعلان النكاح واضطراب الصوت به والذكر فى الناس •

قال المصنف رحمه الله : قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد بن حنبل : أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل •

اخبرنا عبد الله شن على المقرى ، نا نصر بن أحمد بن النضر ، نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ، ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ، ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ، ثنا عمر بن مرزوق ، ثنا زهير عن أبى اسحاق ، عن عامر بن سعد البجلى ، قال: طلبت ثابت بن سعد وكان بدريا فوجدته فى عرس له ،قال : واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف ، فقلت : ألا تنهى عن هذا، قال: لا، ان رسول الله صلىالله عليهوسلمرخص لنا فىهذا(٣) أخبرنا عبد الله بن على ، نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط ، نا

---

١ - رواه الجماعة عن جرير بن عبد الله •

٢ - يفهم من ذلك ان دم الشهيد نجس ، وليس كذلك • فالدم محرم شربه لا أنه نجس ينقض الوضوء الا دم الحيض •

٣ - ورواه النسائي باسناد صحيح عن عامر بن سعد ، قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الانصاري في عرس ، واذا جوار يغنين ، فقلت : اي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر يفعل هذا عندكم ؟ فقالوا : اجلس ان شئت فاسمع معنا ، وان شئت فاذهب فانه قد رخص لنا في اللهو عند العرس •

عبد الملك بن بشران ، ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ، ثنا أحمد بن القاسم الطائي ، ثنا ابن سهم ، ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف» (١) ·

قال المصنف رحمه الله : وكل ما احتجوا به لا يجوز ان يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه ، فمنهم أبو نعيم الاصفهاني ، فانه قال : كان البراء بن مالك يميل الى السماع ويستلذ بالترنم ·

قال المصنف رحمه الله : وانما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه انه استلقى يوما فترنم · فانظر الى هذا الاحتجاج البارد ، فان الانسان لا يخلو من أن يترنم ، فأن الترنم من السماع للغناء المطرب · وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء ، فمنها أنه قال في كتابه «باب الاقتراح على القوال والسنة فيه» ، فجعل الاقتراح على القوال سنة ، واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه ، قال : استنشدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية فأخذ يقول هيه هيه حتى أنشدته مائة قافية (٢) · وقال ابن طاهر : باب الدليل على استماع الغزل ، قال العجاج : سألت أبا هريرة رضي الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

قال المصنف رحمه الله : فانظر الى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر ، وما مثله الا كمثل من قال : يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره ، أو قال : يجوز ان يعصر العنب ويشرب منه في يومه ، فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقدنسي أن انشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء ·

---

١ ـ وفي اسناده خالد بن الياس أبو الهيثم العدوي اتفقوا على ضعفه ، بل نسبه ابن حبان والحاكم وأبو سعيد النقاش الى الوضع · وقال الحافظ في « التقريب » : متروك الحديث ·

٢ ـ رواه ابن ماجة ، وفي اسناده عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى قال في « التقريب » : صدوق يخطيء ويهم ·

وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التميمي قال : سألت الشريف أبا علي بن أبى موسى الهاشمي عن السماع ، فقال : ما أدرى ما اقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لاصحابه ، حضرها أبو بكر الابهرى شيخ المالكين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبوالحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى شيخ الحنابلة ، فقال ابو على : لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة . ومعهم أبو عبدالله غلام، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له : قل شيئا . فقال : وهم يسمعون :

خطت أناملها فى بطن قرطاس ... رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زرفديتك قف لى غير محتشم ... فان حبك لى قدشاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها ... قف لى لامشى على العينين والراس

قال أبو على : فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا اباحة .

قال المصنف رحمه الله : وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول : ليس محمد بن طاهر بثقة ، حملت هذه الابيات على انه أنشدها لا انه غنى بها بقضيب ومخدة (١) ، اذ لو كان كذلك لذكره ، ثم فيها كلا مجمل . قوله لايمكننى أن أقول فيها بحظر ولا اباحة ، لانه ان كان مقلدا لهم فينبغى أن يفتى بالاباحة ، وان كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم ان يفتى بالحظر ،ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب . وقد ذكرنا عن أبى حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفى فى هذا وشيدنا (٢) ذلك بالادلة .

وقال ابن طاهر فى كتابه : باب اكرامهم للقوال وافرادهم الموضع له ، واحتج بأ النبى صلى الله عليه وسلم رمى بردة كانت عليه الى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد (٣) . وانما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا

---

١ ـ آلة طرب . ٢ ـ يقصد : أيدنا ٣ ـ قصة اسلام كعب أوردها الحاكم في المستدرك وليس فيها ان الرسول صلى الله عليه وسلم رمى ببردته الى كعب .

الرجل واستنباطه والا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط ٠

وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر ، نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجى ، ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرى ، ثنا أبى ، ثنا علي ابن أحمد ، ثنا محمد بن العباس بن بلال ، قال : سمعت سعيد بن محمد ، قال : حدثنى ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به ، قال : حدثنا المزنى ، قال : مررنا مع الشافعى وابراهيم ابن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم :

خليلى ما بال المطايا كأننا نراها على الاعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعى : ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعى لابراهيم : أيطربك هذا؟ قال : لا، قال : فمالك حس ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت :وهذا محال على الشافعى رضى الله عنه وفى الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به ، وقد كان الشافعى أجل من هذا كله ٠ ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريرى عن أبى الطيب الطبرى ، قال : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فان أصحاب الشافعى قالوا : لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة ، قال : وقال الشافعى : وصاحب الجارية اذا اجمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه فقال : وهو دياثة (١) ٠

قال المصنف رحمه الله : وانما جعل صاحبها سفيها فاسقا لانه دعا الناس الى الباطل ، ومن دعا الى الباطل كان سفيها فاسقا ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد اخبرنا محمد بن القاسم البغدادى عن أبى محمد التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقى جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد ذكر أبو طالب المكى فى كتابه قال : أدركنا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية ، قال : وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت :أما سعد الدمشقى فرجل جاهل ،والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وان صحت الحكاية عن مروان فهو فاسق ، والدليل

---

١ ـ اي من الفواحش ٠

على ما قلناه ما ذكرنا عن الشافعى رضى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا الى الهوى • وقد أنبأنا زاهر بن طاهر ، قال : أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا : أنبأنا الحاكم ابو عبد الله النيسابورى ، قال : أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فى دار أبى بكر الابريسمى للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات•

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا أقبح شىء من مثل الحاكم كيف خفى عليه أنه لا يحل له أن يسمع امرأة ليست بمحرم ثم يذكر فى كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قدحا فى عدالته •

قال المصنف رحمه الله : فان قيل : ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن أحمد السمرقندى ، نا عمر بن عبد الله ، نا أبو الحسين بن بشران ، نا عثمان ابن أحمد ، نا حنبل ابن اسحاق ، ثنا هارون بن معروف ، ثنا جرير عن مغيرة قال : كان عون بن عبد الله يقص ، فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب، قال المغيرة : فأرسلت اليه أو أردت ان ارسل اليه انك من أهل بيت صدق وان الله عز وجل لم يبعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالحمق ، وان صنيعك هذا صنيع احمق • فالجواب أنا لا نظن بعون انه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل احب أن يسمعها منفردا وهى ملكه • فقال له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له ، فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن • وقد ذكر أبو طالب المكى ان عبد الله بن جعفر كان يسمع الغناء•

قال المصنف رحمه الله : وانما كان يسمع انشاد جواريه ، وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى ، وقد ذكرناها آنفا بحكاية عن أحمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى ، قال : حدثنا الحسين ابن أحمد ، قال : سمعت أبا العباس الفرغانى يقول : سمعت صالح بن احمد ابن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبى احمد يكره ذلك ، فوعدت ليلة ابن الخبازة ، فمكث عندى الى أن علمت أن أبى قد نام واخذ يغنى ، فسمعت حس أبى فوق السطح ، فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت ابطه يتبختر على السطح كأنه يرقص •

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ، ففى بعض الطرق عن صالح ، قال : كنت ادعو ابن الخبازة الصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجىء ويسمع اليه ، وكان بيننا وبينه باب وكان

يقف من وراء الباب يستمع ، وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز ، نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت ، نا أحمد بن على بن الحسين النورى ، ثنا يوسف بن عمر القواس ، قال : سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله ابن احمد ، قال : كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانا عن التغنى ، فكنت اذا كان ابن الخبازة عندى أكتمه عن أبى لئلا يسمع ، فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى (١) ، فعرضت لابى عندنا حاجة وكنا فى زقاق ، فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شىء من قوله ، فخرجت لانظر فاذا بأبى ذاهبا وجائيا فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد قال لى : يا بنى اذا كان مثل هذا نعم ٠٠ هذا الكلام أو معناه ٠

قال المصنف رحمه الله : وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة ، ولذلك استمع اليه أحمد ٠ وقول من قال ينزعج فان الانسان قد يزعجه الطرب فيميل يمينا وشمالا ٠ وأما رواية ابن طاهر التى فيها فرأيته وذيله تحت ابطه يتبختر على السطح كأنه يرقص ، فانما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنونه المعنى (٢) تصحيحا لمذهبهم فى الرقص ٠ وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذهاللفظات وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات ، وقسم السماع الى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له ٠ وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس الى الهوى فهو كاذب ٠

وقد اخبرنا ابو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى ، قال : قال بعضهم : انا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام ، قال. وهذا تجاهل منه عظيم لامرين : أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى ، لانه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس ، فان لم يستبح ذلك فقد نقض قوله ، وان استباحه فقد فسق ٠ والثانى أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة ، فان قال هذا فقد تخرص على طبعه ،وعلم كل عاقل كذبه اذا رجع الى نفسه ، ووجب أن لا يكون مجاهدا لنفسه ولا مخالفا لهواه، ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات ٠ وهذا لا يقوله عاقل ، وان قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة ٠ قلنا له : فكيف

---

١ ـ وفي نسخة : « وكان يقول ، اي ينشد » بدل قوله : ويغني في المكانين ٠

٢ ـ وفي العبارة نقص او تصحيف بالمعنى ٠

تسمع الغناء المطرب بغير طبعك ، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك.

أخبرنا ابن ناصر ،نا أحمد بن على بن خلف ، ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال : سمعت ابا القاسم الدمشقى يقول : سئل ابو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ومن يقول هى لى حلال لانى قد وصلت الى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال ، فقال : نعم . قد وصل لعمرى ولكن الى سقر .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل : قد بلغنا عن جماعة انهم سمعوا من المنشد شيئا فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به ،قلنا : لا ينكر أن يسمع الانسان بيتا من الشعر أو حكمة فيأخذها اشارة فتزعجه بمعناها ، لا لان الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول :

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات ، فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت الى التلحين ، وانما قتله المعنى ، ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الابيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق الى غير ذلك ، ثم ان ذلك السامع لم يقصد السماع ، ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه .

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس . وجواب هذا ما قد أسلفناه . وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب ، فاذا كان موزونا فلا يحرم أيضا ، واذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان المجموع مباحا . قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك ، فان كان فيه شىء محظور حرم نثره ونظمه، وحرم التصويت به .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وانى لأتعجب من مثل هذا الكلام ، فان الوتر بمفرده ، أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب ، فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج . وكذلك ماء العنب جائز شربه واذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك .

وقال ابن عقيل : الاصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح .فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها . نص الامام

م (١٨)

أحمد بن حنبل على تحريم ذلك · ويلحق به الجرافة (١) والجنك لان هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور ، لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة · والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وانما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه · ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول (٢) نفسه · والمباح الدف، وقد ذكرنا عن أحمد انه قال : أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل · وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه ·

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق ، وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى :

ذهبى اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله : قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول:ان مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى الى الله بالاناشيد ، فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل انما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه وتعالى قال : «واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا» (الانفال : ٢) وما قال · واذا أنشدت عليه القصائد طربت · فأما تحريك الطباع بالالحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتجدد عنه فتنة · ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون · بل ينبغى النظر الى المحال التى أحالنا عليها الابل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل ، وانما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة ، وأنتم زنادقة فى زى عباد ، شرهين فى زى زهاد ، مشبهة تعتقدون ان الله عز وجل يعشق ويهام فيه ، ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لان الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة(٣) لان أصولها مشاكلة فهى تتأنس وتتألم بأصولها العنصرية

---

١ ـ في نسخة (الحراية) ، وهذه كلها اسماء لآلات الملاهي ، وفي نسخة « الجرانة » ·

٢ ـ وفي نسخة : كالعود ·

٣ ـ متماثلة يشبه بعضها بعضا ·

وتراكيبها المثلية في الاشكال الحديثة • فمن ها هنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا • وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكد الانس ،والواحد منا يأنس بالماء لان فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية ، وهو بالحيوان آنس لمشاركته في أخص النوع به أو أقربه اليه ، فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل اليه والعشق والشوق • وما الذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة ، وانما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت في القلوب • وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان ، وليس لله وصف تميل اليه الطباع ولا تشتاق اليه الانفس ، وانما مباينة الالهية للمحدث أوجبت في الانفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله انما هو وهم اعترض ، وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس ، فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشق ، فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الاصنام •

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدىء السماع لعلمهم بما يثير من قلبه •

أخبرنا عمر بن ظفر المقرى ، نا جعفر بن أحمد ، نا عبد العزيز بن على الازجى ، ثنا ابن جهضم ، ثنى أبو عبد الله المقرى ، ثنا عبد الله بن صالح، قال : قال لى جنيد : اذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقيايا من اللعب • أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعيد بن أبى صادق ، نا أبو عبد الله بن باكويه، قال : سمعت أحمد بن محمد البردعى يقول: سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه :اذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل الى الرفاهية فلا ترج خيره •

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وانما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين : أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لانهم يظنون ان الكل كانوا هكذا • والثانى أنهم جرؤوا العوام على اللعب فليس للعامي حجة في لعبه الا أن يقول : فلان يفعل كذا ويفعل كذا •

فصـــــل

قال المصنف رحمه الله : وقد نشـب حب السـماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن ، وما ذاك الا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا .

أخبرنا ابو منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب، نا عبد الكريم بن هوزان، وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ،ثنا أبي وقال : سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد بن يحيى السجستاني ، قال : سمعت أبا نصر السراج يقول : حكى لي بعض اخواني عن أبي الحسين الدراج ، قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد ، فلما دخلت الري سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول : ايش تفعل بذلك الزنديق ، فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت : جئت الى هذه البلدة فلا أقل من زيارته، فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت الى مسجده وهو قاعد في المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ ، فدنوت فسلمت فرد السلام ،وقال : من أين ؟قلت :من بغداد قصدت زيارة الشيخ ، فقال : تحسن أن تقول شيئا ، فقلت : نعم وقلت :

رأيتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال لي :يا بني تلوم أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت .

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوزان ، نا أبي ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول : فأخرجت الى مرو في حياة الاستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات ، فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس ، وعقد لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغني فتداخلني في ذلك شيء ، فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لي يوما : أي شيء يقول الناس ؟ فقلت : يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوال ، فقال : من قال لاستاذه لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله : هذه دعاة الصوفية يقولون : الشيخ يسلم له

حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فان الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط .

فصل

وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم .

وانبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيرى ، قال : حدثنا أبى قال : سمعت أبا على الدقاق يقول : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لاصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا غلط من خمسة أوجه :

احدها انا قد ذكرنا عن أبى حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد ، وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل .

والثانى أن طباع النفوس لا تتغير وانما المجاهدة تكف عملها ، فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال ، فاذا جاء ما يحرك الطباع ، واندفع الذى كان يكفها عنه عادت العادة .

والثالث ان العلماء اختلفوا فى تحريمه واباحته وليس فيهم من نظر فى السامع لعلمهم ان الطباع تتساوى ، فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال .

والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وانما غايته الاباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع .

والخامس انه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحا أو مستحبا عند من لا يغير طبعه لانه انما حرم لانه يؤثر فى الطباع ويدعوها الى الهوى، فاذا أمن ذلك فينبغى أن يباح ، وقد ذكرنا هذا عن أبى الطيب الطبرى .

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة الى الله عز وجل .

قال ابو طالب المكى : حدثنى بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال : تنزل

الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواطن : عند الاكل لانهم لا يأكلون الا عن فاقة · وعند المذاكرة لانهم يتحاورون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين · وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا ·

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا ان صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقةوالبكاء، فاما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفـات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ، ولو صح أخذ الاشارة من ذلك كانت الاشارة مستغرقة (١) فى جنب غلبة الطباع · ويدل على ما حملنـا الامر عليه أنه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم الا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال ·

فحدثنى أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك ، عن شيخنـا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ، قال : كان أبو الوفا الفيروز أبادى شيخ رباط الزوزنى صديقا لى ، فكان يقول لى : والله انى لادعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة (٢) والقول ، قال : فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ، ويقول :أترون هذا يعتقد ان ذلك وقت اجابة ان هذا لعظيم ·

وقال ابن عقيل : قد سمعنا منهم ان الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب ، وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها الى الله تعالى ،قال : وهذا كفر ،لان من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقـاد كافرا ، قال : والناس بين تحريمه وكراهيته · أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، قال : أخبرنى على بن ايوب، قال : أخبرنا محمد بن عمران بن موسى ،قال : حدثنا محمد بن أحمدالكاتب قال : حدثنا الحسين بن فهم ، قال : حدثنى ابراهيـم بن أعين ، قال : قال صالح المرى: أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه الى الله قربة ، وأثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسـلم ·

أنبأنا ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا بكر النهاوندى يقول : سمعت عليا السائح يقول:

---

١ ـ من الاغراق والمبالغة ٢ ـ آلة الطرب لانها توضع عليها الخد ·

سمعت أبا الحارث الاولاسى يقول : رأيت ابليس فى المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفة منهم : قولوا وغنوا ، فاستغرقنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال : ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ، ثم قال لى : يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئا أدخل به عليكم الا هذا .

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الوجد

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت ،وصفقت وصاحت ، ومزقت الثياب . وقد لبس عليهم ابليس فى ذلك وبالغ .

وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقى ، قال : أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى ، قال : أخبرنا ابو الحسن سهل بن على الخشاب ، قال: أخبرنا أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى ، قال : وقد قيل له : انه لما نزلت « وان جهنم لموعدهم اجمعين » (الحجر : ٤٣) صاح سلمان الفارسى صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام .

واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ، قال : أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن على الخياط ، قال : اخبرنا احمد بن محمد بن يوسف بن دوست ، قال : أخبرنا الحسين ابن صفوان ، قال : حدثنا ابو بكر عبد الله شن محمد القرشى ، قال : اخبرنا على بن الجعد ، بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبى وائل ، قال : خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر الى حديدة فى النار فنظر الربيع اليها فمال ليسقط ، ثم ان عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات ، فلما رآه عبدالله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية : « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا» الى قوله «ثبورا كثيرا» (الفرقان : ١٢) فصعق الربيع واحتملناه الى أهله ورابطه (١) عبد الله حتى يصلى الظهر ، فلم يفق ثم رابطه الى العصر فلم يفق ، ثم رابطه الى المغرب فأفاق فرجع عبد الله الى أهله ، قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح . وهذا كثير فى الزهد .

---

١ ـ لازمه

والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحـــال وكذب ، ثم ليس له اسناد والآية نزلت بمكة وسلمان انما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا • وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليـــم وفيه معمر •

أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بـن المظفر الشامي ، قال : أخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد العتيقي ، قـال : أخبرنا ابو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلاني ، قال : أخبرنا أبو جعفرمحمد ابن عمرو بن موسى العقيلي ، قال : قال أحمد بن حنبل: عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه ، قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن أحمد قال : حدثنـي أبي قال : حدثني ابن آدم ، قال : سمعت حمزة الزيات ،قال لسفيان انهـم يروون عن الربيع بن خثيم انه صعق ، قال : ومن يروى هذا انما كان يرويه ذاك القاص ـ يعني عيسى بن سليم ـ فلقيته فقلت : عمن تروى أنت ذا ـ منكرا عليه •

قال المصنف رحمه الله : قلت : فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا ، لان الرجل كان على السمت الاول ، ومـا كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين ، ثم نقول : على تقدير الصحـة ان الانسان قد يغشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت، وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لانه غائب • فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى الى تخريق الثياب وفعل المنكرات فـي الشرع ، فانا نعلم قطعا ان الشيطان يلعب به •

وأخبرنا ابو منصور القزاز ، قال : أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت ،قال : أخبرنا محمد بن علي بن الفتح، قال : أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال : سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول : سمعت احمد بن عطاء يقول: كان للشبلي يوم الجمعة نظرة (١) ومن بعدها صيحة فصاح يوما صيحـــة تشوش من حوله من الخلق ، وكان بجنب حلقته حلقة أبي عمران الاشيب ، فحرد (١) ابو عمران وأهل حلقته •

قال المصنف رحمه الله : واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب • وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع ، فجرى من

١ ـ النظرة : اللمحة او الهيئة •

٢ ـ أي غضب •

بعض غرائبهم نحو ما انكرناه ، فبالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانكار عليه .

فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ ، قال : أنبأنا أحمد بن علي بن خلف ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، وأنبأنا ابن الحصين، قال : أنبأنا أبو علي بن المذهب ، قال : أخبرنا أبو حفص بن شاهين ، قال: حدثنا عثمان بن احمد بن عبد الله ، قال : حدثنا احمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال : حدثنا عبد المتعال بن طالب ، قال : حدثنا يوسف بن عطيه عن ثابت عن أنس قال : وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاذا رجل قد صعق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من ذا الملبس علينا ديننا ، ان كان صادقا فقد شهر نفسه، وان كان كاذبا فمحقه الله» (٢) . قال ابن شاهين : وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث ، قال : حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري ، قال : حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن انس بن مالك، قال : ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة ، فقال انس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنينا حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد .

قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرباض بن سارية : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب » . قال أبو بكر الآجري : ولم يقل : صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ، قال :أخبرنا أبو ياسر احمد بن بندار بن ابراهيم ، قال : اخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار ، قال : اخبرنا احمد بن جعفر بنحمدان، قال: اخبرنا ابراهيمبن عبدالله البصري،قال: حدثنا أبوعمر حفص بن عبد الله الضرير ، قال : أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي ،قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : قلت لاسماء بنت أبي بكر : كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عند قراءة القرآن قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كماوصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم، فقلت لها : ان ها هنا رجالا اذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه ،فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا جعفر بن محمد السراج ، نا الحسن بن علي

---

١ ـ وفيه يوسف بن عطية . متروك كما قال في « التقريب » .

التميمى ،نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا الوليد ابن شجاع ، ثنا اسحاق الحلبى ، ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة ، قال : سألت أسماء بنت أبى بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف، قالت : لا، ولكنهم كانوا يبكون ٠

أخبرنا ابن ناصر ، نا جعفر بن احمد ، نا الحسن بن على التميمى ، وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ،نا حمد بن أحمد الحداد ، نا أبونعيم الحافظ ، قالا : أخبرنا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثناسريج ابن يونس ، ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى عن أبى حازم ، قال : مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق ٠ فقال : ما شأنه ؟ فقالوا :اذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا ، قال : انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط ٠

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا ، نا أبو سعد محمد بن على الوستمى ،نا أبو الحسين بن بشران ، ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا سعدان بن نصر ، ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى بردة ابن عباس ، أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن ، فقال : انهم ليسوا بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم مضلون ٠

أنبأنا ابن الحصين ، نا ابو على بن المذهب ، نا أبو حفص بن شاهين ،ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق، نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج الشامي ، ثنا شبيب بن مهران عن قتادة ، قال : قيل لانس بن مالك ان ناسا اذا قرىء عليهم القرآن يصعقون ، قال : ذاك فعل الخوارج ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف ، نا عمر بن على بن الفتح، نا أحمد بن محمد الكاتب ، ثنا عبد الله بن المغيرة ، ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى ، قال : بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامرا صحب قوما يتصعقون (١) عند قراءة القرآن ،فقال له : يا عامر لا أعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعنك جلدا ٠

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ، نا حمد بن أحمد الحداد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا الزبير بن بكار ، ثنى عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنى أبى ،عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جئت الى أبى فقال لى : أين كنت

---

١ ـ يظهرون انهم قد غشي عليهم ٠

فقلت : وجدت اقواما ما رأيت خيرا منهم ، يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم ، قال : لا تقعد معهم بعدها ، فرآني كأني لم يأخذ (١) ذلك في ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا ، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر ، فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم ٠

اخبرنا محمد بن عبد الباقي ، نا حمد بن أحمد ، نا ابو نعيم الحفاظ ، نا محمد بن أحمد في كتابه ، ثنا محمد بن ايوب ، ثنا حفص بن عمر النميري ثنا حماد بن زيد، ثنا عمرو بن مالك، قال : بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا اذ خر رجل فاضطرب ، فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقيل له :يا أبا الجوزاء انه رجل به الموتة (٢) ، فقال : انما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لامرت به فاخرج من المسجد ،انما ذكرهم الله تعالى فقال : «اعينهم تفيض من الدمع» (المائدة : ٨٣) أو قال : «تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» (الزمر : ٢٣) ٠

أخبرنا أبو محمد بن على المقرى ، نا أحمد بن بندار بن ابراهيم ، نا محمد ابن عمر بن بكير النجار ، نا أحمد بن جعفر بن حمدان ، ثنا ابراهيم بن عبدالله البصرى، ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير ، نا حماد بن زيد بن عمر ابن مالك البكرى ، قال : قرأ قارىء عند أبي الجوزاء ، قال : فصاح رجل من أخريات القوم ــ أو قال من القوم ــ فقام اليه ابو الجوزاء فقيل له : يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال : طبيب انه من هؤلاء القفازين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه ٠

وقال ابو عمر أخبرنا جرير بن حازم ، أنه شهد محمد بن سيرين وقيل له ان ها هنا رجالا اذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه ، فقال محمد بن سيرين : يقعد احدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان وقع فهو صادق ٠ قال أبو عمرو: وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم ٠

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، ثنا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا ابو محمد بن حبان ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا زياد عن يحيى عن عمران ابن عبد العزيز ، قال : سمعت محمد بن سيرين وسئل عمن يستمع

---

١ ـ أخذ فيه الشيء : أثر فيه　　٢ ـ الموتة : الصرع يعتري الانسان ٠

القرآن فيصعق ، فقال : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون ٠

أخبرنا ابن ناصر ، نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف ، نا محمد بن على العشاري ،نا محمد بن عبد الله الدقاق ، نا الحسين بن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشي ، ثنا محمد بن على عن ابراهيم بن الاشعث، قال : سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن أنه وعظ يوما فتنفس رجل في مجلسه ، فقال الحسن : ان كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وان كان لغير الله فقد هلكت ٠

أخبرنا ابن ناصر ناصر ، نا جعفر بن أحمد ، نا الحسن بن على ، نا احمد ابن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى أبى ، ثنا روح ، ثنا السرى بن يحيى، ثنا عبد الكريم بن رشيد قال: كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكي وارتفع صوته ، فقال الحسن : ان الشيطان ليبكى هذا الان ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني ، نا أبو العلاء الواسطي ، نا محمد بن الحسين الازدى ، ثنى ابراهيم بن رحمون ،ثنا اسحاق بن ابراهيم البغدادى ، قال : سمعت أبا صفوان يقول : قال الفضيل ابن عياض لابنه وقد سقط : يا بني ان كنت صادقا لقد فضحت نفسك ، وان كنت كاذبا فقد أهلكت نفسك ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن بى صادق ، نا ابن باكويه ، ثنا محمد بن احمد النجار ، ثنا المرتعش ، قال : رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد انسان بين يديه ، فقال له :يا بنى ان كنت صادقا فقد اظهرت كل مالك ، وان كنت كاذبا فقد أشركت بالله ٠

فصل

قال المصنف رحمه الله : فان قال قائل : انما يفرض الكلام في الصادقين لا في اهل الرياء فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه ٠ فالجواب ان أول الوجد انزعاج في الباطن ، فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان ،فبعد عنه كما كان أيوب السختياني اذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه ، وقال : ما أشد الزكام ، وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده، او أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ٠

كما أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن على نا حمد بن جعفر ، ثنا عبد الله ، ثنى ابى ، ثنا معاوية ، ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى ابن الخراز عن ابن أخى زينب ، عن امرأة عبد الله قالت : جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقيني من الحموة (١) فأدخلتها تحت السرير ، قالت : فدخل فجلس الى جنبى فرأى فى عنقى خيطا ، فقال ما هذا الخيط ؟ قلت : خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ، ثم قال : ان آل عبد الله لاغنياء عن الشرك ٠ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ان فى الرقى والتمائم والتولة شركا » (٢) قالت : فقلت له : لم تقول هذا ؟ وقد كانت عينى تقذف وكنت اختلف الى فلان اليهودى يرقيها فكان اذا رقاها سكنت ، قال : انما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها ، انما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله صلى الله لميه وسلم « أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » (٣) ٠

قال المصنف رحمه الله : التولة ـ ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها ٠

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد ، نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف ، نا أبو محمد الخلال ، ثنا أبو عمر بن حياة ، ثنا ابو بكر بن أبى داود ، ثنا هارون بن زد عن أبى الزرقاء ، ثنا ابى ، قال : ثنا سفيان عن عكرمة ابن عمار عن شعيب بن أبى السنى عن بى عيسى او عيسى ، قال : ذهبت الى عبد الله بن عمر ، فقال ابو السوار : يا أبا عبد الرحمن ان قوما عندنا اذا قرىء عليهم القرآن يركض (٤) احدهم من خشية الله ، قال : كذبت ، قال : بلى ورب هذه البنية (٥) ، قال : ويحك ان كنت صادقا فان الشيطان ليدخل جوف احدهم ، والله ما هكذا كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ٠

---

١ ـ حموة الالم : شدته ٢ ـ الحديث رواه احمد وابو داوود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود ، وصححه وأقره الذهبي ولفظه : « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » ٠

٣ ـ هذا الدعاء رواه الشيخان عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسحه بيمينه » ثم قال : فذكرته ٠ ٤ ـ ركض : حرك رجليه ، وركض الارض : ضربها برجليه ٥ ـ البنية : البيت ٠

فصـــــل

فان قال قائل : فنفرض ان الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقـــدر عليه وغلبه الامر فمن أين يدخل الشيطان • فالجواب انا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع الا أن علامة الصادق انه لا يقدر على ان يدفع ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عزوجل: «فخر موسى صعقا» (الاعراف:١٤٣)

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، نا حمد بن أحمد ، نا احمد بن عبدالله، ثنا ابراهيم بن عبد الله ،ثنا محمد بن اسحاق الثقفى ، ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ، ثنا خالد بن خداش ،قال : قرئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة فخر مغشيا عليه ، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد مات خلق كثير من سماع الموعظـــة وغشى عليهم ، قلنا : هذا التواجد الذى يتضمن حركـــات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم ، فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه •

قال المصنف رحمه الله : فان قيل : فهل فى حق المخلص نقص بهذهالحالة الطارئة عليه ؟ قيل : نعم ، من جهتين : احداهما انه لو قوى العلم امسك • والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصا •

أخبرنا عبـــد الله بن على المقرى ،نا هبة الله بن عبد الرزاق الســـنى ، وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا ، نا أبو سعد محمد بن على الرستمى ،قالا: نا أبو الحسين بن بشران ، نا أبو على اسماعيل بن محمد الصفار ، ثنـــا سعدان بن نصر ، ثنا سفيان بن عيينة ، قـــال : سمعت خلف ابن حوشب يقول : كان خوات يرعد عند الذكر ، فقال له ابراهيم : ان كنت تملكه فمـــا أبالى ان لا أعتدبك ، وان كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك • وفىرواية فقد خالفت من هو خير منك •

قال المصنف رحمه الله : قلت : ابراهيم هو النخعـــى الفقيه ، وكـــان متمسكا بالسنة شديد الاتباع للاثر • وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع• وهذا خطاب ابراهيم له• فكيف بمن لا يخفى حاله فى التصنع•

فصـــــل

فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى ، نا أبو

عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا سليمان المغربى يقول : سمعت أبا علي بن الكاتب يقول : كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله : قلت: والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية ، وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية» (الانفال : ٣٥) . ـ فالمكاء : الصفير، والتصدية : التصفيق .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ، نا أبو الفضل بن حيرون ، نا أبو على بن شاذان ، نا احمد بن كامل ،ثنى محمد بن سعد ، ثنى أبى ،ثنى عمى ، عن أبيه عن جده عن ابن عباس : الا مكاء : يعنى التصفير ، وتصديقه يقول : التصفيق .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وفيه أيضا تشبه بالنساء ، والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار الى افعال الكفار والنسوة .

فصل

فاذا قوى طربهم رقصوا ، وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لايوب :«اركض برجلك» (ص : ٤٢) .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا احتجاج بارد لانه لو كان أمر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه بثمة ، وانما أمر بضرب الرجل لينبع الماء .

قال ابن عقيل : أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الارض لينبع الماء اعجازا من الرفص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام (١) دلالة على جواز الرقص فى الاسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى : «اضرب بعصاك الحجر» (البقرة : ٦٠) دلالة على ضرب الجماد بالقضبان (٢) نعوذ بالله من التلاعب بالشرع . واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى :«انت منى وانا منك» فحجل ، وقال لجعفر : «أشبهت خلقى وخلقى» ، فحجل وقال لزيد : «انت أخونا ومولانا» ، فحجل (٣) . ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت (٤)

---

١ ـ يقصد المرض ٢ ـ يقصد آلات الطرب ٣ ـ الحديث في الصحيحين وليس فيه الحجل ٤ ـ زفن : ضرب الارض برجله ، وحديث الحبشة في الصحيحين .

والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم • فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشى يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص ، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشى بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب •

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد بن منصور الهمدانى ،نا اسماعيل بن أحمد بن عبد الملك المؤذن، نا أبو صالح أحمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن ،قالوا : ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ، ثنا ابو العباس أحمد بن سعيد المعدانى ، ثنا محمد بن سعيد المروزى ، ثنا عباس الرقيقى ، ثنا عبد الله بن عمر الوراق ، ثنا الحسن بن على بن منصور ، ثنا أبو عتاب المصرى عن ابراهيم بن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض ازقة مكة فسمع الاخصر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان (١)ان مشت به زينب فى نسوة عطرات
فلما رأت ركب النميرى (٢) أعرضت وهن من ان يلقينه حذرات

قال : فضرب برجله الارض زمانا ، وقال : هذا مما يلذ سماعه • وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب •

قال المصنف رحمه الله :قلت : هذا اسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب ، ولا هذا شعره • كان ابن المسيب أوقر من هذا ، وهذه الابيات مشهورة لمحمد بن عبد الله بن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نمريا ، وانما نسب الى اسم جده وهو ثقفى ، وزينب التى يشبب بها هى بنت يوسف أخت الحجاج • وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان ،فقال : كانت أحمرة عجافا (٣) حملت عليها قطرانا من الطائف ،فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه •

قال المصنف رحمه الله : ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الارض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص ، فان الانسان قد يضرب الارض برجله أو يدقها بيده لشىء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصا • فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الارض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء • ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى الى العقول أى معنى

---

١ ـ أسم جبل أو واد ٢ ـ أي الشاعر النميري ٣ ـ أي حمير هزيلة •

فى الرقص الا اللعب الذى يليق بالاطفال ، وما الذى فيه من تحريك القلوب الى الآخرة ، هذه والله مكابرة باردة ٠

ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى أنه قال : الرقص حماقة بين الكفتين لا تزول الا بالتعب ٠ وقال ابو الوفاء بن عقيل : قد نص القرآن على النهى عن الرقص ٠ فقال عز وجل: «لا تمش فى الارض مرحا» (الاسراء : ٣٣) وذم المختال فقال تعالى : «انه لا يحب كل مختال فخور» (لقمان : ١٨) ٠ والرقص أشد المرح والبطر ، أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الاطراب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب ٠ وهل شىء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والادب أقبح من ذى لحية يرقص ، فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الالحان والقضبان ، خصوصا اذا كانت اصوات نسوان ومردان ، وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين صائران يشمس (١) بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة ، والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتى لهم ، كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف ،والجنيد، والدينورى ٠

فصل

فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه ٠ ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد، فاذا قام، قام الباقون تبعا له ، فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له ٠ ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح (٢) ، وفيه اسقاط مروءة وترك أدب ، وانما يقع فى المناسك تعبدا لله وذلا له ٠

فصل

فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى ، فمنهم من يرمى بها صحاحا ، ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها ٠ وقد احتج لهم بعض الجهال فقال : هؤلاءفى

---

١ ـ شمس الفرس : لم يمكن أحدا من ركوبه ولم يستقر
٢ ـ هكذا كان العرف فى عصر المصنف ٠

م (١٩)

غيبة فلا يلامون ، فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدر ما صنع • والجواب : أن نقول : من يصحح عن موسى بانه رماها رمى كاسر ؟ والذى ذكر في القرآن القاؤها فحسب ، فمن أين لنا أنها تكسرت • ثم لو قيل : تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ، ثم لو صححنا ذلك عنه ،قلنا : كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه • ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ،ويحذرون من بئر ان كانت عندهم • ثم كيف يقاس أحوال الانبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ، ولقد رأيت شابا من الصوفية يمشى فى الاسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج الى الجمعه فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة ، فسئلت عن صلاته ، فقلت : ان كان وقت صياحه غائبا فقد بطل وضوؤه ،وان كان حاضرا فهو متصنع ،وكان هذا الرجل جلدا لا يعمل شيئا ، بل يدار له بزنبيل (١) فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه ، فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين• ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة ، فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الاذى • وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم ، فقال : خطأ وحرام قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال (٢) وعن شق الجيوب (٣) فقال له قائل : فانهم لا يعقلون ما يفعلون ، قال : ان حضروا هذه الامكنة مع علمهم ان الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ، ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى الى ذلك ، كما هم منهيون عن شرب المسكر ، فاذا سكروا وجرى منهم افساد الاموال ، لم يسقط الخطاب لسكرهم • كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجدا ان صدقوا فيه فسكر طبع ، وان كذبوا فنبيذ، ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين ، وتجنب مواضع الريب واجب • واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت: نصبت حجلة (٤) لى فيها رقم ، فمدها النبى صلى الله عليه وسلم فشقها (٥)

---

١ ـ الزنبيل : القفة • ٢ ـ الحديث في الصحيحين ، ولفظه عند البخاري : « ان الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » ٣ ـ في الصحيحين وغيرهما : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ٤ ـ الحجلة : الستر •

٥ ـ يشير الى ما رواه الشيخان عن عائشة « انها كانت اتخذت على سهوة لها سترا فيه تماثيل فهتكه النبي صلى الله عليه وسلم » •

قال المصنف رحمه الله : فانظر الى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال على مد ستر ليحط (١) فانشق لا عن قصد · أو كان عن قصد لاجل الصور التى كانت فيه ، وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور · فان ادعى مخرق ثيابه أنه غائب، قلنا : الشيطان غيبك لانك لو كنت مع الحق لحفظك ، فان الحق لا يفسد ·

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا محمد بن على بن حشيش ،ثنا عبدالله بن الصقر ، ثنا الصلت بن مسعود ، ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجونى يقول : وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوما فشق رجل منهم قميصه ، فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه · أيشرح لى عن قلبه ·

فصل

وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية ، فقال محمد بن طاهر : الدليل على أن الخرقة اذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير ، جاء قوم مجتابى (٢) النمار فحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة ، فجاء رجل من الانصار بصرة، فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام ، قال : والدليل على أن الجماعة اذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى (٣) قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغنيمة وسلب فأسهم لنا ·

قال المصنف رحمه الله : لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة ، واستخرج

وفيها ايضا « انها اخذت نمطا فسترته على باب ، فلما رأى النمط فجذبه حتى هتكه ثم قال : ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » ·

والسهوة : الكوة بين الدارين ·والنمط : نوع من البسط ·

١ ـ حط الشيء : وضعه · وحط الحمل : أزله عن ظهر الدابة ·

٢ ـ اي ممزقة ثيابهم ·

٣ ـ في الصحيحين وفيه « ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر الا اصحاب سفينتنا » وكانوا في الحبشة ·

بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية • فانا ما عرفنا هذا فى اوائلهم ، وبيان فساد استخراجه ، أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به ان كان حاضرا فما جاز له تخريقه ،وان كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لا هبة ولا تمليكا • وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشىء الذى يقع من الانسان ولا يدرى به ، فلا يجوز لاحد أن يمتلكه ،وان كان رماه فى حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه،ولو رماه على المغنى لم يتملكه ، لان التملك لا يكون الا بعقد شرعى ، والرمى ليس بعقد ، ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقين فيه ،ثم اذا تصرفوا فيه خرقوه خرقا ، وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه • والثانى أنه اضاعة للمال • ثم ما وجه اسهام من لم يحضر، فاما حديث أبى موسى ، فقال العلماء منهم الخطابى : يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اجازة عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه • وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء • وهذا مذهب خارج عن اجماع المسلمين ، وما أشبه ما وضع هؤلاء بارائهم الفاسدة الا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة و الحام • قال ابن طاهر : اجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ • واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الوقعة • وخالفهم شيخنا أبو اسماعيل الانصارى فجعل الخرقة على ضربين : ما كان مخروقا قسم على الجميع • وما كان سليما دفع الى القوال • واحتج بحديث سلمة : «من قتل الرجل ؟ قالوا : سلمة بن الاكوع • قال : له سلبه أجمع » (١) • فالقتل انما وجد من جهة القوال فالسلب له •

قال المصنف رحمه الله : انظروا اخوانى عصمنا الله واياكم من تلبيس ابليس الى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة واجماع مشايخهم الذى لا يساوى اجماعهم بعرة ، فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقا أو سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه • ثم ان سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به • ثم ينبغى أن يكون الامر على عكس ما قاله الانصارى ، لان المخروق من الثياب ما كان بسبب الوجد ، فينبغى أن يكون المخروق للمغنى دون الصحيح ، وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان •

---

١ ـ في الصحيحين عن أبي قتادة مرفوعاً : « من قتل قتيلا له عليه بنية فله سلبه » •

وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفراينى وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن ، وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان (١) ودف بجلاجل ، فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس · قال التكريتى : انه رقص يوما فى خف له ، ثم ذكر ان الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ، ثم نزع مطرفا (٢) كان عليه فوضعه بين ايديهم كفارة لتلك الجناية ، فاقتسموه خرقا · قال ابن طاهر : والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز ان يشتريها من الجمع حديث عمر «لا تعودن فى صدقتك» (٣) ·

قال المصنف رحمه الله : انظر الى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الاحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها ،فلا يحتاج الى أن يشتريها ·

فصل

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقا وتفريقها فقد بينا انه ان كان صاحب الثوب رماه الى المغنى لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه اياه ، فاذا ملكه اياه فما وجه تصرف الغير فيه ·ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول : هذه الخرق ينتفع بها ، وليس هذا بتفريط · فقلت : وهل التفريط الا هذا · ورأيت شيخا آخر منهم يقول : خرقت خرقا فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا (٤) ، فباعه بخمسة دنانير · فقلت له : ان الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر · وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فانه قال : يباح لهم تمزيق الثياب اذا خرقت قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات ، فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعا ، ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف على أصول الفقه ومذهب الشافعى ، فنظر الى انتفاع خاص · ثم ما معنى قوله مربعة ، فان المطاولة ينتفع بها أيضا ثم لو مزق الثوب قرامل (٥

---

١ ـ آلات طرب ٢ ـ المطرف : رداء من خز له اعلام ·

٣ ـ ولعله يشير الى ما رواه الشيخان عن ابن عمر مرفوعا : العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه » ·

٤ ـ الكنف : وعاء يكون فيه متاع التاجر او الراعي ·

٥ ـ القرامل من الشعر او الصوف ما وصلت به المرأة شعرها ·

لانتفع بها ، ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف ، غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ، ويسمى ما نقص منها للانتفاع اتلافا ، ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لانه يذهب منه قيمة بالاضافة الى المكسور ، وليس العجب من تلبيس ابليس على الجهال منهم ، بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك واحمد رضوان الله عليهم أجمعين ٠

فصل

ولقد اغربوا فيما ابتدعوا ، وأقام لهم الاعذار من الى هواهم مال ٠ ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه : باب السنة فى اخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك (١) فى توبته : يجزئك الثلث ٠ ثم قال : باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها ٠ واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الزكاة «من منعها فانا آخذوها وشطر ماله» (٢) ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : فانظر الى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم ، وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة ، وتسمية ذلك واجبا وليس لنا غرامة ولا وجوب الا بالشرع ٠ ومتى اعتقد الانسان ما ليس بواجب واجبا كفر ٠

ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة

---

١ ـ رواه البخاري في غزوة تبوك وفيه قول كعب : ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ٠ وليس فيه : يجزئك الثلث ٠ فلعل ابن طاهر خلط بينه وبين حديث سعد في مرض موته حين قال : اتصدق بثلثي مالي قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، قال : فالشطر ، قال : لا ، قال : فالثلث ، قال : الثلث والثلث كثير » ٠ رواه الشيخان وغيرهما ٠ عن ابن عباس ٠

٢ ـ لم اجده عن معاوية بن جعدة وانما روى احمد وابو داود والنسائي والحاكم والبيهقي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعا « في كل ابل سائمة في كل اربعين ابنة لبون ولا يفرق ابل عن حسابها من اعطاها مؤتجرا فله اجرها ، ومن منعها فانا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل ، ليس لآل محمد منها شيء » ٠ قال الشافعي « وهذا الحديث لا يثبته اهل العلم بالحديث ٠ » وبهز بن حكيم وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم ٠

وتنافى الوقار ، ولولا ورود الشرع بكشفه فى الاحرام ما كان له وجه ٠وأما حديث كعب بن مالك فانه قال : ان من توبتي أن أنخلع من مالى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يجزئك الثلث» لا على سبيل الالزام له٠ وانما تبرع بذلك فأخذه منه ، وأين الزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من الزامهم المريد غرامة لا تجب عليه ، فاذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الالزام انما ينفرد بالالزام الشرع وحده ٠ وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة ، فهؤلاء الخوارج عليها حقا ٠

ذكر تلبيس ابليس على كثير من الصوفية فى صحبة الاحداث

قال المصنف رحمه الله : اعلم ان أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر الى النساء الاجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن ، واشتغلوا بالتعبد عن النكاح ، واتفقت صحبة الاحداث لهم على وجه الارادة وقصد الزهادة ، فأمالهم ابليس اليهم ٠ واعلم ان المتصوفة فى صحبة الاحداث على سبعة أقسام :

القسم الاول ــ أخبث القوم ، وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول ٠

اخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد بن سليمان ، نا أبو على الحسين ابن محمد بن الفضل الكرمانى، نا سهل بن على الخشاب، نا أبو نصر عبدالله بن على السراج ، قال : بلغنى ان جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية ٠ ومنهم من قال : هو حال فى المستحسنات ٠ وذكر أبو عبد الله بن حامد من اصحابنا أن طائفة من الصوفية قالوا : انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا ، وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه (١) فى رؤيتهم الغلام الاسود ٠

القسم الثانى ــ قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ويقصدون الفسق ٠

القسم الثالث ــ قوم يستبيحون النظر الى المستحسن ٠ وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه «سنن الصوفية» فقال فى اواخر الكتاب : باب فى جوامع رخصهم ، فذكر فيه الرقص والغناء والنظر الى وجه الحسن٠

---

١ ــ اي عاينوه ٠

وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال : «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » (١) • وانه قال : « ثلاثة تجلو البصر : النظر الى الخضرة والنظر الى الماء والنظر الى الوجه الحسن » (٢) •

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أما الحديث الاول ، فاخبرنا به عبد الاول بن عيسى ، نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر ، نا عبد الله بن أحمد بن حمويه ، نا ابراهيم بن خزيم ، ثنا عبد بن حميد ، ثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المخبر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» • قال يحيى بن معين : محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء •

قال المصنف رحمه الله: قلت : وقد روى هذا الحديث من طرق ، قال العقيلى : لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شيء •

وأما الحديث الاخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون ، نا احمد بن على بن ثابت ، ثنى احمد بن محمد بن يعقوب ، نا محمد بن نعيم الضبى ، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون ، نا احمد بن عمر بن عبيد الريحانى ، قال : سمعت أبا البخترى وهب بن وهب يقول : كنت ادخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه ، فكنت أدمن النظر اليه ، فقال : اراك تدمن النظر الى القاسم ، تريد ان تجعل انقطاعه اليك ، قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ان ترمينى بما ليس في •

وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ، ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاث يزدن فى قوة النظر : النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن» •

---

١ ـ رواه البخاري في « التاريخ » ، وابن ابي الدنيا في « قضاء الحوائج » • وأبو يعلى والطبراني عن عائشة ، والطبراني والبيهقي عن ابن عباس ، وابن عدي في « الكامل » عن ابن عمر وابن عساكر عن انس والطبراني في « الاوسط » عن جابر وغيرهم ••• قال الحافظ العراقي : طرقه كلها ضعيفة •

٢ ـ رواه الحاكم في تاريخه عن علي وأبو نعيم في « الطب » عن عائشة والخرائطي في « اعتلال القلوب » عن ابي سعيد الخدري ، وطرقه كلها ضعيفة •

قال المصنف رحمه الله : هذا حديث موضوع ، ولا يختلف العلماء فى أبى البخترى انه كذاب وضاع • وأحمد بن عمر بن عبيد احد المجهولين • ثم قد كان ينبغي لابى عبد الرحمن السلمى اذ ذكر النظر الى المستحسن ان يقيده بالنظر الى وجه الزوجة أو المملوكة ، فاما اطلاقه ففيه سوء ظن • وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ : كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر الى المرد •

قال المصنف رحمه الله : قلت : والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر الى الامرد حرم عليه ان ينظر اليه ، ومتى ادعى الانسان أنه لا تثور شهوته عند النظر الى الامرد المستحسن فهو كاذب ، وانما ابيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع ، فاذا وقع الالحاح فىالنظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى •

قال سعيد بن المسيب: اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام امرد فاتهموه•

القسم الرابع ـ قوم يقولون : نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبارا فلا يضرنا النظر ، وهذا محال منهم فأن الطباع تتساوى ، فمن ادعى تنزه نفسه عن ابناء جنسه فى الطبع ادعى المحال ، وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع •

أخبرتنا شهدة بنت أحمد الابرى ، قالت : باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال : قال ابو حمزة الصوفى ، حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى ، قال : كنت جالسا مع أبى النضر الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه ، فقال :سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت علي أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى ، فقال له : سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدىء المعيد الا ما وقفت ، فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر ويصوبه ،ثم ذهب ليمضى ، فقال : سألتك بالواحد الاحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد الا وقفت ، فوقف ساعة فنظر اليه طويلا ،ثم ذهب ليمضى ، فقال : سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير الا وقفت ، فوقف فأقبل ينظر اليه ، ثم أطرق رأسه الى الارض ، ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى ، فقال : قد ذكرنى هذا بنظرى اليه وجها جل عن التشبيه ، وتقدس عن التمثيل ، وتعاظم عن التحديد ، والله لاجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع اعدائه وموالاتى لاوليائه ، حتى اصير الى ما أردته

من نظرى الى وجهه الكريـــم وبهائه العظيم • ولوددت أنه قد أرانى وجهـه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والارض ثم غشي عليه •

وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى ، قال : سمعت خيرا النساج يقول : كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون ، فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب ، فرأيت محاربا ينظر اليه نظرا أنكرتـــه ، فقلت له : بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعـــر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظرا لا ينظره الا المفتونون ، فقال لى : تقول هذا يا شهوانى القلب والطرف ؟ ألم تعلم انه قد منعنى من الوقـــوع فى شرك ابليس ثلاث ، فقلت : وما هى، قال : سر الايمان وعفة الاســـلام وأعظمها الحياء من الله تعالى ان يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ، ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا •

قال المصنف رحمه الله : قلت : انظروا الى جهل الاحمق الاول ورمزه الى التشبيه ، وان تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثانى الذى ظن ان المعصية هى الفاحشة فقط ، وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم • ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها شهوة النظر •

وقد حدثنى بعض العلماء : أن صبيا أمرد حكى له ، قال : قال لى فـــلان الصوفى وهو يحبنى : يا بنى لله فيك اقبال والتفات ، حيث جعل حاجتـــى اليك • وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا علي احمد الغزالى وعنده أمـــرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة ، والى الامرد تارة • فلما جلسوا قال بعضهم : لعلنا كدرنا • فقال : أى والله فتصايح الجماعة علـــى سبيل التواجد • وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب اليه فى رقعة : انك تحب غلامك التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه ، وقال : هذا جواب الرقعة •

قال المصنف رحمه الله : قلت : انى لا أعجب من فعل هذا الرجل والقائه جلباب الحياء عن وجهه ، وانما اعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ، ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس •

وأخبرنا ابو القاسم الحريرى ، أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : بلغنى عن هذه الطائفة التى تسمع السماع انها تضيف اليه النظـــر الى وجه الامرد ، وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى ، وتزعم انها تقصـــد به الازدياد فى الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع ،

وهذه النهاية فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم ، قال اللهتعالى: «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» (الذاريات : ٢١) وقال : «أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت» (الغاشية : ١٧) وقال : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض» (الاعراف : ١٨٥) فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار الى مانهاهم عنه • وانما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الالوان الطيبة والمآكل المشهية ، فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد، ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر •

قال أبو الطيب : وقد أخبر بعضهم فى شعره عن احوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الاغانى ... فاسكرت النفوس بغير راح (١)
فلم تر فيهم الا نشاوى ... سرورا والسرور هناك صاح
اذا لبى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئا ... أرقناها (٢) لالحاظ ملاح

قال : فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعا أو يفيد فائدة •

قال ابن عقيل : قول من قال : لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشىء ، فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الاشخاص ، وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى ، قال الله تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» (النور : ٣٠) وقال : «أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت » (الغاشية : ٧) ، فلم يحل النظر الا على صور لا ميل للنفس اليها وحظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة ، ولا تعتريها لذة • فاما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرةبالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر اليها لانها قد تكون سببا للفتنة، ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضيا ولا اماما ولا مؤذنا، كل ذلك لانها محل فتنة وشهوة ،وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر ، وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبرا كذبناه ، وكل من ميزنفسه

---

١ ـ الراح : الخمر ٢ ـ ارقناها : صببناها •

بطبيعة تخرجــه عن طباعنا بالدعوى كذبناه ، وانمـــا هذه خدع الشيطان للمدعــين ٠

القسم الخامس ــ قوم صحـــبوا المردان ومنعوا أنفســـهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة ،وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر اليهم بشهوة معصية ، وهذه من خلال الصوفية المذمومات ، وقد كان قدماؤهم على غـــير هذا ، وقيل : كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا احمد بن على بن ثابت ، قال : أنشدنا ابو على الروذباري :

أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنـــع نفسى أن تنال محرمـــا
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه على الجبل الصلد الاصـــم تهدما

قال المصنف رحمه الله : وسيأتى حديث يوسف بن الحسين ٠ وقوله : عاهدت ربى أن لا أصحب حدثا مائة مرة ، ففسخها (١) علي قوام القـدود وغنــج العيون ٠

أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الضبى ، قال : حدثنى أبى، قال : قلت لابى الكميت الاندلسي ــ وكان جوالا فى أرض الله ــ حدثنـــى بأعجب ما رأيت من الصوفية ، قال : صحبت رجلا منهم يقال له : مهرجان، وكان مجوسيا فأسلم وتصوف، فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه ، وكان اذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام الى جانبه ، ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثـــم يعود فينام الى جانبه حتى فعل ذلك مرارا ، فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ، ثم رفع يديه وقال : اللهم انك تعلم أن الليل قد مضى علي سليما لـــم أقترف فيه فاحشة ، ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية ، وان الذى أضمـره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالارض لتدكدكت (٢) ، ثم يقول : يا ليل اشهد بما كان منى فيـــك فقد منعنى خوف الله عن طلـــب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول : سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الاحباب ٠ فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك فى كل ليلـة وأسمع هذا القول منه، فلما هممت بالانصراف من عنده ، قلت له : سمعتك تقول اذا انقضى الليل : كذا وكذا ، فقال : وسمعتنى ؟ قلت : نعم ، قال : فوالله يا أخى انى لأدارى (٣) من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيتـــه لكان الله حقيقا بالمغفرة له ، فقلت :وما الذى يدعوك الى صـــحبة من تخاف على

---

١ ــ اي فسخ اليمين ٢ ــ اي تهدمت ٣ ــ دارى : خاتل ولاطف ٠

نفسك العنت من قبله (١) .

وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى ، قال ابو حمزة الصوفى : رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة ، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدا وعظما من الضنا والكمد ، فقلت له يوما : لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن انك لا تسلو (٢) بعده ابدا ؟ فقال : كيف اسلو عن رجل اجل الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبدا ، وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلال صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله : هؤلاء قوم رآهم ابليس لا ينجذبون معه الى الفواحش فحسن لهم بداياتها، فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثةوعزموا على مقاومة النفس فى صدها عن الفاحشة ، فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره ، وصرف الزمان الذى ينبغى ان يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة ، وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع ، فان الله عز وجل أمر بغض البصر لانه طريق الى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب (٣) تخاف منه ، وما مثل هؤلاء الا كمثل من أقبل الى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه ، فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة ان لم يهلك .

فصل

وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه الى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد .

أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى ، قال : قال ابو حمزة : قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية ، وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه ، فقلت له : لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد ان كنت له مواصلا واليه مائلا ؟! وقال :والله لقد فارقته عن غير قلى(٤) ولا ملل ، قلت : ولم فعلت ذلك؟ قال : رأيت قلبى يدعونى الى أمر اذا خلوت

---

١ ـ هكذا الاصل ولعل الجواب محذوف ٢ ـ اي لا تنسى الحزن .
٣ ـ الشوائب : العيوب ٤ ـ القلى : البغض .

به وقرب منى لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل ، فهجرته لذلك تنزيهاً لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن •

فصل

ومنهم من تاب وأطال البكاء عن أطلاق نظره •

اخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن عبيد الله ، قال : سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول : كنت مع أمية بن الصامت الصوفى اذ نظر الى غلام فقرأ : «وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير» (الحديد : ٤) ثم قال : وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد ، تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى الى هذا الغلام ، ما شبهت نظرى اليه الا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت، ثم قال : أستغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبى ، لقد خفت ألا أنجو من معرته (١) ، ولا اتخلص من اثمه ، ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا ، ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه ، فسمعته يقول فى بكائه : يا طرف لاشغلنك بالبكاء عن النظر الى البلاء •

فصل

ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة •

أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن ابى حمزة الصوفى ، قال : كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم ، فنظر الى غلام حسن فى بعض الاسواق فبلى (٢) به ، وكاد يذهب عقله صبابة وحبا ، وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف ، فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنى (٣) وكان لا يقدر ان يمشى خطوة ، فأتيته يوما لاعوده ، فقلت : يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الامر الذى بلغ بك ما أرى ؟ فقال : أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير ، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ، ثم بكى ، قلت : ما يبكيك ؟ قال :أخاف

---

١ ـ المعرة : الجناية والاثم   ٢ ـ اي امتحن به من البلاء •

٣ ـ الضنى : الاوجاع المخيفة •

ان يطول فى النار شقائى ، فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال ٠

قال أبو حمزة : ونظر محمد بن عبد الله بن الاشعت الدمشقى ـ وكان من خيار عباد الله ـ الى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل الى منزله واعتاده السقم حتى أقعد (١) من رجليه، وكان لا يقوم عليهما زمانا طويلا، فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره ،وكان لا يخبرنا بقصته ولا بسبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره ، فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا فهش اليهوتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برؤيته، فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد الى حالته ، فسأله الغلام يوما أن يسير معه الى منزله فأبى ان يفعل ذلك ، فسألنى أن أسأله ان يتحول اليه ، فسألته فأبى ان يفعل ،فقلت للشيخ :وما الذى تكره من ذلك ؟ ، فقال : لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين ٠

فصل

وفيهم من همت نفسه الى الفاحشة فقتل نفسه ٠

حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ، قال : كان ببلادفارس صوفي كبير فابتلى بحدث ، فلم يملك نفسه أن دعته الى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة ، وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء ، فلما اخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه الى الماء وتلا قوله تعالى : «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» (البقرة : ٥٤) فغرق فى البحر ٠

قال المصنف رحمه الله : انظر الى ابليس كيف درج (٢) هذا المسكين من رؤية هذا الامرد الى ادمان النظر اليه ،الى أن مكن المحبة من قلبه ، الى أن حرضه على الفاحشة ، فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه ، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم ، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام : «عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها» (٣) ، ثم انه ندم على همتهوالندم توبة ، فأراه ابليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو اسرائيل ،

---

١ ـ اي أصابه داء القعاء فلا يستطيع المشي ٠

٢ ـ درجه الى كذا : ادناه منه بالتدريج ٣ ـ رواه الجماعة عن ابي هريرة بلفظ « ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به » ٠

فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتلوا انفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى : «ولا تقتلوا أنفسكم» (النساء : ٢٩) فلقد أتى بكبيرة عظيمة ، وفي «الصحيحين» عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » •

فصل

وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه •

بلغنى عن بعض الصوفية انه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبى فى البيت الذى هو فيه ، فشنعوا عليه وفرقوا بينهما ، فدخل الصوفى الى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى ، فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال ، فأقر بقتل الصبى فرفعوه الى صاحب الشرطة ، فأقر فجاء والد الصبى يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له : بالله عليك الا ما أقدتنى (١) به ، فقال : الان قد عفوت عنك ، فقام الصوفى الى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثواب •

فصل

ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة •

والحديث باسناد عن ادريس بن ادريس ، قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية ، ولهم غلام أمرد يغنيهم ، قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع ، فقال : يا هذا قل لا اله الا الله ، فقال الغلام : لا اله الا الله ، فقال : أقبل الفم الذى قال : لا اله الا الله •

القسم السادس ـ قوم لم يقصدوا صحبة المردان ، وانما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم على طريق الارادة (٢) ، فيلبس ابليس عليهم ويقول : لا تمنعوه من الخير، ثم يتكرر نظرهم اليه لا عن قصد، فيثير فى القلب الفتنة الى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه، وربما وثقوا بدينهم فاستنفرهم الشيطان فرماهم الى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا •

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب ، وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته •

---

١ ـ اي قتلتني به قودا : اي بدلا • ٢ ـ اي رغبة منه في ذلك •

القسم السابع ـ قوم علموا أن صحبة المردان والنظر اليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك ·

والحديث باسناد عن الرازى يقول : قال يوسف بن الحسين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه الا صحبة الاحداث فانها أفتن الفتن ، ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا اصحب حدثا ،ففسخها على حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون ، وما سألنى الله معهم عن معصية · وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعرا :

ان ورد الخدود والحدق النجـ ـل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الاصداغ فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعا فلهذا أدعى «صريع الغوانى»

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذا الرجل قد فضح نفسه فى شىءستره الله عليه ،وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة ، فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق، ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ، ولو كان له علم لعلم ان صحبتهم والنظر اليهم معصية (١) · فانظر الى الجهل كيف يصنع بأربابه ·

والحديث باسناد عن محمد بن عمر أنه قال : حكى لى عن أبى مسلم الخمشوعى أنه نظر الى غلام جميل فأطال ، ثم قال :سبحان الله ما أهجم طرفى على مكروه نفسه ، وأدمنه (٢) على سخط سيده ، وأغراه بما قد نهى عنه ، وأبهجه بالامر الذى قد حرز (٣) عنه · لقد نظرت الى هذا نظرا لا أحسب الا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ، ولقد تركنى نظرى هذا ،وأنا أستحى من الله تعالى وان غفر لى ثم صعق ·وباسناد عن أبى بكر محمد بن عيد يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : رأيت غلاما جميلا ببغداد فنظرت اليه ، ثم أردت أن أردد النظر ، فقلت له :تلبسون النعال الصرارة (٤) ، وتمشون فى الطرقات ، فقال : احسنت الحشر بالعلم ·

فصل

وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان اشد تخبطا ·

---

١ ـ هذا اذا كان بشهوة ، اما اذا كانت صحبة المردان والنظر اليهم لتعليمهم وتربيتهم شأن اساتذة المدارس فلا يكون ذلك معصية ·

٢ ـ اي ما ادومه ٣ ـ حرز : صين عنه ، من الحرز ٤ ـ من صر : اذا احدث صوتا

م (٢٠)

ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل : «قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم» (النور : ٣٠) سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك •

والحديث باسناد عن أنس رضى الله عنه ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تجالسوا أبناء الملوك فان النفوس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق » (١) •

والحديث باسناد عن الاعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تملؤوا أعينكم من أولاد الملوك ، فان لهم فتنة أشد من فتنة العذارى » (٢) •

والحديث باسناد عن الشعبى ، قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى عليه الصلاة والسلام وراء ظهره ، قال : «كانت خطيئة داود عليه السلام النظر» (٣)

وعن أبى هريرة ، قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد (٤) •

وقال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد •

وباسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال : لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء ، وهم أشد فتنة من العذارى •

وباسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى ، قال : كان يقال : لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد •

وباسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه ،قال : لانا أخوف على

---

١ ـ لم اجده بهذا اللفظ وهو بمعنى الحديث الاتي

٢ ـ قال في « اللآلي » : موضوع ، وتبعه العجلوني في « كشف الخفاء »

٣ ـ والحديث مرسل لان الشعبي تابعي •

٤ ـ لم اجده ولم اجد حديثا مرفوعا في هذا المعنى • لكن في غض البصر مطلقا احاديث منها عن جرير قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : «اصرف بصرك» • رواه مسلم وغيره :

واخرج احمد وأبو داود والترمذي والدرامي عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : يا علي لا تتبع النظرة النظرة • فان لك الاولى وليست لك الثانية » •

عابد من غلام من سبعين عذراء •

وعن أبى على الروذبارى ، قال : سمعت جنيدا يقول : جاء رجل الى احمد ابن حنبل ومعه غلام حسن الوجه ، فقال له : من هذا ؟ قال : ابنى، فقال احمد: لا تجىء به معك مرة أخرى ،فلما قام ،قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ ـ وفى رواية الخطيب ـ فقيل له أيد الله الشيخ انه رجل مستور وابنه افضل منه ، فقال احمد : الذى قصدنا اليه من هذا الباب ، ليس يمنع منه سترهما • على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم •

وباسناد عن أبى بكر المروزى ، قال : جاء حسن البزاز الى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه ، فلما أراد أن ينصرف ، قال له أبو عبد الله : يا أبا على لا تمش مع هذا الغلام فى طريق ، فقال له : انه ابن أختى ، قال : وان كان ، لا يهلك (١) الناس فيك •

وباسناد عن شجاع بن مخلد انه سمع بشر بن الحارث يقول : احذروا هؤلاء الاحداث •

وباسناد عن فتح الموصلى انه قال : صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الابدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم أن أتقى معاشرة الاحداث •

وباسناد عن الحلبى أنه يقول : نظر سلام الاسود الى رجل ينظر الىحدث فقال له : يا هذا ابق على جاهك عند الله، فانك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما •

وباسناد عن أبى منصور عبدالقادر بن طاهر يقول: من صحب الاحداث(٢) وقع فى الاحداث (٣) •

وعن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال : قال مظفر القرميسينى :من صحب الاحداث على شرط السلامة والنصيحة اداه ذلك الى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة •

فصل

وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد •

---

١ ـ يقال لمن ارتكب امرا عظيما : هلكت واهلكت • والمعنى : لا تفعل ذلك كي لا يغتابك الناس فيهلكون فيك ٢ ـ اي الصغار ٣ ـ اي الامور المنكرة •

وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره (١) ٠

والحديث باسناد عن عطاء بن مسلم ،قال : كان سفيان لا يدع أمردا يجالسه ٠

وروى ابراهيم بن هانيء عن يحيى بن معين،قال : ما طمع أمرد بصحبتي ٠ ولا احمد بن حنبل ، قال : في طريق ٠

وباسناد عن أبى يعقوب ، قال : كنا مع أبى نصر بن الحارث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها ، فقال : يا شيخ اين مكان باب حرب ٠ فقال لها : هذا الباب الذى يقال له :باب حرب ٠ ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه فسأله ، فقال : يا شيخ أين مكان باب حرب ،فأطرق الشيخ رأسه ٠ فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه ،فقلنا للغلام : تعال أيش تريد ، فقال : باب حرب ، فقلنا له : ها هو بين يديك ، فلما غاب ، قلنا للشيخ : يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها ، وجاءك غلام فلم تكلمه ، فقال : نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال : مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان ، فخشيت على نفسى من شيطانيه ٠

وباسناد عن عبد الله بن المبارك يقول : دخل سفيان الثورى الحمام ، فدخل عليه غلام صبيح ، فقال : أخرجوه أخرجوه ، فانى أرى مع كل امرأة شيطانا ، ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا ٠

وباسناد عن محمد بن احمد بن ابى القاسم ، قال : دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين ـ وكان يقال : انه ما رفع رأسه الى السماء منذ أربعين سنة ـ وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه ، فقال له :قم من حذائى فاجلسه من خلفه ٠

وباسناد عن أبى امامة ، قال : وكنا عند شيخ يقرىء ، فبقى عنده غلام يقرأ عليه ، فأردت الانصراف فأخذ بثوبى ، وقال : اصبر حتى يفرغ هذا الغلام ، وكره أن يخلو مع هذا الغلام ٠

وباسناد عن أبى على الروذبارى، قال: قال لى أبو العباس أحمد المؤدب : يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الانس بالاحداث ، فقلت له : ياسيدى

---

١ ـ ذكرنا انه مرسل قبل قليل ٠

أنت بهم اعرف، وقد تصحبهم السلامة فى كثير من الأمور ، فقال : هيهات قد رأينا من كان أقوى ايمانا منهم اذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف ، وانما ذلك على حسب الاوقات التى تغلب الاحوال على اهلها ، فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط .

فصل

وصحبة الاحداث أقوى حبائل ابليس التى يصيد بها الصوفية .

أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا بكر الرازى يقول : قال يوسف بن الحسين ،نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتوا ، ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد وارفاق (١) النسوان .

وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول : رأيت ابليس فى النوم فقلت له : كيف رأيتنا اعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق ، فقال : كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحداث .

وباسناد عن ابن سعيد الخراز ،يقول : رأيت ابليس فى النوم يمر عني ناحية ،فقلت : تعال ،فقال : ايش اعمل بكم ،انتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت : ما هو، قال : الدنيا ،فلما ولى التفت الي فقال :غير أن فيكم لطيفة ، قلت: وما هى ؟قال : صحبة الاحداث ، قال ابو سعيد :وقل من يتخلص منها من الصوفية .

فصل

فى عقوبة النظر الى المردان

عن أبى عبد الله بن الجلاء ، قال : كنت انظر الى غلام نصرانى حسن الوجه ، فمر بى أبو عبد الله البلخى، فقال : ايش وقوفك ؟ فقلت : يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار ، فضرب بيده بين كتفى ، وقال : لتجدن غبها (٢) ولو بعد حين . قال : فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن .

---

١ ـ يريد : مرافقة النساء ، من رافقه : اذا صار رفيقه. ٢ ـ الغب : العاقبة

وباسناد عن أبي الاديان وقال : كنت مع استاذى وأبي بكر الدقاق ،فمر حدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه ، فقال : يا بنى لتجدن غبه ولو بعد حين • فبقيت عشرين سنة وأنا اراعى فما أجد ذلك الغب ، فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله •

وعن أبي بكر الكتانى ،قال : رأيت بعض اصحابنا فى المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟قال : عرض علي سيئاتى ، وقال : فعلت كذا وكذا ، فقلت : نعم، ثم قال : وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره ، فقلت انى استحى آن أقر ،فقال : انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت ،فقلت له : ما كان ذلك الذنب ،فقال : مر بى غلام حسن الوجه فنظرت اليه •

وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزراد انه رؤى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى كل ذنب أقررت به الدنيا الا واحدا ،فاستحييت أن أقر به ، فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى • فقيل له : ما الذنب ، فقال : نظرت الى شخص جميل •

وقد بلغنا عن ابى يعقوب الطبرى أنه قال : كان معي شاب حسن الوجه فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب ، فكنت أجد (١) عليه لذلك ، فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال : يا أبا يعقوب لم لم تنهه ــ وأشار الى البغدادى ــ عن النظر الى الاحداث ، فوعزتى انى لا أشغل بالاحداث الا من باعدته عن قربى • قال أبو يعقوب : فانتبهت وأنا اضطرب ، فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحةومات فغسلناه ودفناه • واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم ، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال : وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى •

قلت : انما مددت النفس يسيرا فى هذا الباب لانه مما تعم به البلوى عند الاكثرين ،فمن أراد الزيادة فيه ،وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع اسباب الهوى ، فلينظر فى كتابنا المسمى بـ « ذم الهوى » ففيه غاية المراد من جميع ذلك •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الاسباب وترك الاحتراز فى الاموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن أحمد ابن أبى

---

١ ــ من الموجدة : وهي الغضب •

الحوارى ،قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص ٠

وباسناد عن ذى النون المصرى أنه قال : سافرت سنين وما صح لى التوكل الا وقتا واحدا ،ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى : ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة ،فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل ٠

أخبرنا محمد ، قال : سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل ، فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى، فاعطى التوكل حقه ، ثم قال :استحييت أن أجيبك وعندى شيء ٠ وذكر أبو نصر السراج فى كتاب « اللمع » قال : جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء، فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ،ودخل البيت فاخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق (١) ،فقال :اشتروا بهذه شيئا٠ ثم أجاب الرجل عن سؤاله ،فقيل له فى ذلك ،فقال : استحييت من الله تعالى ان أتكلم فى التوكل وعندى اربعة دوانق ٠

وقال سهل بن عبد الله : من طعن ى الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الاسباب تضاد ٠ وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده ،وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالاسباب ولا ادخار المال ،فقد قال تعالى : «ولا تؤتوا السفهاءأموالكم التى جعل الله لكمفيها قياما» (النساء : ١٩١) أىقواما لابدانكم٠وقالصلىالله عليه وسلم : «نعم المال الصالح مع الرجل الصالح» (٢) ٠ وقال صلى الله عليه وسلم :« انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» (٣) ٠

واعلم ان الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر فقال : «خذوا حذركم» (النساء : ٧١) وقال : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (الانفال : ٦٠) وقال «أن أسر بعبادى ليلا» (طه : ٧٧) وقد ظاهر رسول الله صلى الله عليهوسلم

---

١ ـ الدانق : سدس الدرهم ٢ ـ رواه احمد باسناد صحيح ٣ ـ متفق عليه من حديث سعد بن ابي وقاص بلفظ « انك ان تذر ورثتك » الحديث ٠

بين درعين ١ وشاور طبيبين ٢ واختفى فى الغار ٣ • وقال : « من يخرسنى الليلة» (٤) • وأمر بغلق الباب (٥) • وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اغلق بابك» • وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافى الاحتراز •

أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى ،نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن أحمد ، قالا : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، ثنا الحسين بن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشى ، ثنى أبو جعفر الصيرفى ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا المغيرة بن أبى قرة السدوسى ، قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وترك ناقته بباب المسجد ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : أطلقتها وتوكلت على الله ، قال : « اعقلها وتوكل » (٦) •

اخبرنا ابن ناصر ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا عبد العزيز بن على الازجى ، نا ابراهيم بن محمد بن جعفر ، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، ثنا أبو بكر الخلال ، أخبرنى حرب بن اسماعيل الكرمانى، ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام ، ثنا الحسين بن زياد المروزى ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به • وقال ابن عقيل : يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل ، وان التوكل هو اهمال العواقب واطراح التحفظ ، وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من

---

١ ـ رواه الترمذي في « الشمائل » عن السائب بن يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يوم أحد درعان قد ظاهر بينهما ، ورواه ايضا أبو داود وابن ماجه •

٢ ـ بل قد أمر بالتداوي فقال : « تداووا قال الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد الهرم » • رواه أصحاب السنن ، وقال الترمذي : حسن صحيح •

٣ ـ كما قال تعالى : « اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار » ـ التوبة : ٤٠

٤ ـ يشير الى ما رواه أبو داود والنسائي وحسنه المنذري عن ابن مسعود قال : « اقبلنا ـ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يكلؤنا ؟ فقال بلال : أنا • فناموا حتى طلعت الشمس ••• » الحديث ـ

٥ ـ رواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « اغلقوا ابوابكم وخمروا آنيتكم واطفئوا سرجكم وأوكئوا أسقيتكم ، فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ، ولا يكشف غطاء ، ولا يحل وكاء ، وان الفويسقة تضرم البيت على أهله » •

٦ ـ ورواه الترمذي عن أنس وقال : غريب ، ونقل عن يحيى بن سعيد القطان : أنه منكر •

العقلاء التوبيخ والتهجين ، ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ (١) الوسع فى التحفظ ، فقال تعالى : « وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران : ١٥٩) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له : « وشاورهم فى الامر » وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ، ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله (٢) الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات · فقال : « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم » وبين علة ذلك بقوله تعالى : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء : ١٠٢) ومن علم ان الاحتياط هكذا لا يقول : ان التوكل عليه ترك ما علم · لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة · قال عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق صلى الله عليه وسلم فى خير الاحوال وهى حالة الصلاة · وقد ذهب الشافعى رحمه الله الى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله : « وليأخذوا أسلحتهم » · فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز ، فان موسى عليه السلام لما قيل له : « ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » (٣) خرج · ونبينا صلى الله عليه وسلم خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار (٤) · وأعطى القوم التحرز حقه ، ثم توكلوا ، وقال عز وجل فى باب الاحتياط : « لا تقصص رؤياك على اخوتك » (يوسف : ٥) « لا تدخلوا من باب واحد » (يوسف ٦٧) وقال : « فامشوا فى مناكبها » (الملك : ١٥) وهذا لان الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى ، وكما أن الله تعالى يريد اظهار نعمه المبداة يريد اظهار ودائعه ، فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتمادا على ما جاد به · لكن يجب

---

١ ـ استفرغ وسعه : بذل كل ما يمكنه من طاقة ·

٢ ـ وكل الامر اليه : فوضه وتركه له ·

٣ ـ يشير الى قوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين · فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (القصص ٢٠ ، ٢١) ·

٤ ـ رواه البيهقي في « دلائل النبوة » من مرسل محمد بن سيرين ، والبغوي من مرسل ابن ابي مليكة ، وابن هشام عن الحسن البصري ، ولفظ البيهقي : « فلما انتهيا الى الغار قال ابو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار فاستبراه » (كذا في فتح الباري ٢٣٨/٨)

استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده • وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب ، وخلق للادمى عقلا يقوده الى حمل الاسلحة ويهديه الى التحصين بالابنية والدروع • ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته ، كمن يترك الاغذية والادوية ثم يموت جوعا أو مرضا • ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء ، انما ينبغي أن تكون اعضاء المتوكل فى الكسب وقلبه ساكن مفوض الى الحق منع أو أعطى ، لانه لا يرى الا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف الا بحكمة ومصلحة ، فمنعه عطاء فى المعنى • وكم زين للعجزة عجزهم وسولت لهم انفسهم ان التفريط توكل فصاروا فى غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور (١) حزما • ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع • مثل وضع الطعام سببا للشبع والماء للري والدواء للمرض • فاذا ترك الانسان ذلك هوانا (٢) بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له : قد جعلنا لعافيتك سببا ، فاذا لم تتناوله كان اهوانا لعطائنا ، فربما لم نعافك بغير سبب لاهوانك للسبب ، وما هذا الا بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة ، فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلبا للمطر ، فانه لا يستحسن منه ذلك شرعا ولا عقلا •

قال المصنف رحمه الله : فان قال قائل : كيف أحترز مع القدر ؟ قيل له : وكيف لا تحترز مع الاوامر من المقدر ، فالذى قدر هو الذى أمر • وقد قال تعالى : « وخذوا حذركم » (النساء : ٧١) • أنبأنا اسماعيل بن احمد ، نا عاصم بن الحسن ، نا ابن بشران ، ثنا ابن صفوان ، نا أبو بكر القرشي ، ثنى شريح بن يونس ، نا على بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن ابى عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس ، فقال : أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر ؟ قال : نعم ، قال : فألق نفسك من الجبل وقل قدر على ، فقال : يا لعين ، الله يختبر العباد ، وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى •

فصل

وفى معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الاسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب • أخبرنا محمد بن أبى القاسم ،

١ ـ الخور : الضعف ٢ ـ يقصد : استهانة ، أي استخفافا •

نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، قال : سمعت أبا الحسن بن مقسم ، يقول : سمعت محمد بن المنذر يقـــول : سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول : من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان ، ومن طعن عـلى الكسب فقد طعن على السنة .

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أحمد بن علي بن خلف ، نا أبو عبـد الرحمن السلمي ، قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سأل رجـــل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع : أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل ، فقال : التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التي هي حاله ، فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال الا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ، ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيح له طلب المعاش في الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله .

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ، نا أبي قال : سمعت محمد بن الحسين قال : سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين ، قال : اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء .

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذا كلام قوم ما فهمـــوا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب ، وتعطيل الجوارح عن العمل ، وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ، ولـو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الانبياء غير متوكلين ، فقد كان آدم عليه السلام حراثا ، ونوح وزكريا نجارين ، وادريس خياطا ، وابراهيم ولوط زراعين ، وصالح تاجرا . وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنـه ، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : « كنت أرعى غنما لاهل مكة بالقراريط » (١) . فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج الى الكسب . وقـد كان ابو بـكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين (٢) ،

---

١ ـ رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أرعى على قراريط لاهل مكة ، والقيراط : نصف دانق وهو سدس درهـــم .

٢ ـ البزاز : بائع البز وهي ثياب من قطن او كتان .

وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين . وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين (١) ، وكذلك ابو حنيفة . وكان سعد بن ابى وقاص يبرى النبل ، وكان عثمان بن طلحة خياطا . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب .

أخبرنا محمد بن ابى طاهر ، نا أبو محمد الجوهرى ، نا ابن حياة ، نا أبو الحسن بن معروف، نا الحسين بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ، نا مسلم بن ابراهيم ، نا هشام الدستوائى ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، قال : لما استخلف ابو بكر رضى الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر وأبو عبيدة ، فقالا : أين تريد ؟ : قال : السوق ، قالا تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين ؟! قال : فمن أين أطعم عيالى ؟!

قال ابن سعد : وأخبرنا احمد بن عبد الله بن يونس ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه ، قال : لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين ، فقال : زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة ، فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله :

قلت : لو قال رجل للصوفية : من أين أطعم عيالى لقالوا : قد أشركت . ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا : ليس بمتوكل ولا موقن ، وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين . ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم ، لكنهم بين أمرين : أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجديا ، ومنهم ن يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . واما الجلوس فى الرباط فى هيئة المساكين ، وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح ، كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا أبو طالب العشارى ، نا محمد بن عبد الرحمن المخلص ، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، ثنا أبو بكر بن عبيد ، قال : حدثت عن الهيثم بن خارجة ، ثنا سهل بن هشام عن ابراهيم بن ادهم ، قال : كان سعيد بن

---

١ ـ الخزاز : بائع الخز وهو الحرير .

المسيب يقول : ن لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف (١) فى السؤال ·

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا : نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : كان أبو تراب يقول لاصحابه : من لبس منكم مرقعة فقد سأل ، ومن قعد فى خانقاه (٢) أو مسجد فقد سأل ·

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الاشياء ويأمرون بالكسب ·

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا محمد بن على بن الفتح ، نا محمد بن عبد الرحمن المخلص ، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، نا أبو بكر بن عبيد القرشى ، نا عبيد بن الجعد ، نا المسعودى عن خوات التيمى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ، ولا تكونوا عيالا (٣) على المسلمين ·

أخبرنا ابن ناصر ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهرى وأبو الخير القزوينى ، قالوا : نا أبو عمر بن حياة ، نا محمد بن خلف ، ثنا أبو جعفر اليمانى ، نا أبو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم ، قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا رأى غلاما فأعجبه سأل عنه : هل له حرفة ؟ فان قيل : لا ، قال : سقط من عينى ·

أخبرنا اسماعيل بن أحمد ، نا عمر بن عبد الله النقال ، نا أبو الحسين بن بشران ، نا عثمان بن أحمد الدقاق ، نا حنبل ، ثنى أبو عبد الله ، نا معاذ بن هشام ، ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى تجر (٤) الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ·

---

١ ـ أي ألح في السؤال ٢ ـ كلمة دخيلة ومعناها تكية أو زاوية ·

٣ ـ عيل الرجل : أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه ، وجمعه عيال وعالة وعيايل ·

٤ ـ التجر : التجارة ·

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، نا جعفر بن أحمد السراج ، نا عبد العزيز ابن الحسن بن اسماعيل الضراب ، نا أبى ، نا أحمد بن مروان المالكى ، نا أبو القاسم بن الختلى : سألت أحمد بن حنبل ، وقلت : ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده ، وقال : لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى، فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعل الله رزقى تحت ظل رمحى » (١) • وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدو خماصا (٢) ، فذكر انها تغدو فى طلب الرزق • قال تعالى : « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله » (المزمل : ٢٠) وقال : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (البقرة ١٩٨) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ، ولنا القدوة بهم • وقد ذكرنا فيما مضى عن أحمد أن رجلا قال له : أريد الحج على التوكل، فقال له : فاخرج فى غير القافلة قال : لا ، قال : فعلى جراب الناس توكلت •

أخبرنا ابن ناصر ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا عبد العزيز بن على الازجى ، نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجى ، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ،نا ابو بكر أحمد بن محمد الخلال ، نا أبو بكر المروزى ، قال : قلت لابى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون : نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل، فقال: هذا قول ردىء ، أليس قد قال الله تعالى : « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » (الجمعة : ٩) ثم قال : اذا قال : لا أعمل وجىء اليه بشىء قد عمل واكتسب لاى شىء يقبله من غيره •

قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن أحمد ، قال : سألت أبى عن قوم يقولون : نتوكل على الله ولا نكتسب ، فقال : ينبغى للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب • هذا قول انسان أحمق •

قال الخلال : وأخبرنى محمد بن على ، قال : ثنا صالح انه سأل أباه يعنى أحمد بن حنبل ـ عن التوكل ، فقال : التوكل حسن ولكن ينبغى أن يكتسب

---

١ ـ كأنه يشير الى حديث : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لاحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » وهو حديث متفق عليه •

٢ ـ جائعة •

ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولا يترك العمل • قال : وسئل أبى وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون : نحن المتوكلون فقال : هؤلاء مبتدعون •

قال الخلال : وأخبرنا المروزى أنه قال لابى عبد الله : ان ابن عيينة كان يقول : هم مبتدعة ، فقال أبو عبد الله : هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا

وقال الخلال : وأخبرنا المروزى ، قال : سألت أبا عبد الله عن رجل جلس فى بيته ، وقال : اجلس واصبر واقعد فى البيت ولا أطلع على ذلك أحدا ، فقال : لو خرج فاحترف كان أحب الى ، فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا• قلت : الى اى شيء يخرجه ؟ قال: يخرجه الى أن يكون يتوقع أن يرسل اليه •

قال الخلال : وحدثنا أبو بكر المروزى قال : سمعت رجلا يقول لابى عبد الله أحمد بن حنبل : انى فى كفاية ، قال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك • وقال لرجل آخر : اعمل وتصدق بالفضل على قرابتك •

وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم ــ يعنى أولاده ــ أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة •

قال الخلال : وأخبرنى محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم ، قال : سمعت ابا عبد الله يأمر بالسوق ويقول : ما احسن الاستغناء عن الناس •

وقال الخلال : وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى ، قال سمعت أبا بكر ابن النجاد يقول : قال الجصاصى : قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أحب الدراهم الي درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الاخوان •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط (١) وحذيفة المرعشى يضرب اللبن •

وقال ابن عقيل : التسبب لا يقدح فى التوكل ، لان تعاطى رتبة ترقى على رتبة الانبياء نقص فى الدين • ولما قيل لموسى عليه السلام : « ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » (٢) خرج ، ولما جاع واحتاج الى عفة نفسه آجر نفسه

---

١ ـ لقط السنابل : أخذها من الارض ٢ ـ يشير الى الاية الكريمة « فخرج منها خائفا يترقب » (القصص : ٢٠)

ثمان سنين • وقال الله تعالى : « فامشوا فى مناكبها » (الملك : ١٥) وهذا لان الحركة استعمال لنعمة الله وهى القوى ، فاستعمل مـــا عندك ثم اطلب ما عنده • وقد يطلب الانسان م ن ربه وينسى ما له عنده من الذخائر ، فاذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط • فترى بعضهم يملك عقارا واثاثا فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين • فقيل له : لو بعت عقارك ؟ قال : كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس • وانما يفعل هذه الحماقات العادات ، وانما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له ، فكانوا بين أمرين قبيحين : امـا تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل ، فيحن (١) عليهـــم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لاجلهم وأعطوهم • وهذه الرذيلة لم تدخـل قط الا على دنيء النفس الرذيلة ، والا فالرجل كل الرجل من لم يضيــع جوهره الذى أودعه الله ايثارا للكسل ، أو لاسم يتزين به بين الجهال ، فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهرا يتسبب به الى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه •

فصـــل

وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة • منها أنهم قالوا : لا بد من أن يصل الينا رزقنا ، وهذا في غاية القبح ، فان الانسان لو تـرك الطاعة وقال : لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله علي ، فان كنت من أهـل الجنة فانا الى الجنة ، أو من أهل النار فانا من أهل النار • قلنا له : هذا يرد الاوامر كلها ، ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لانه كان يقـول : ما فعلت الا ما قضي علي • ومعلوم اننا مطالبون بالامر لا بالقدر • ومنها أنهم يقولون : أين الحلال حتى نطلبه ؟ وهذا قول جاهل لان الحلال لا ينقطع أبدا لقوله صلى الله عليه وسلم : «الحلال بين والحرام بين» (٢) ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع في تناوله ، وانما قولهم هذا احتجـــاج للكسل • ومنها أنهم قالـوا : اذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر ، نا جعفر بن أحمد ، نا عبد العــزيز بن علي ، نا ابن جهضــم ، نا علي بن محمد السيرواني ، قال : سمعت ابراهيم الخواص يقول : طلبت الحلال فى كل شيء حتى طلبته فى صيد السمك ، فأخذت قصبة وجعلت فيها شعرا وجلست على

---

١ ـ أي يعطفون ويشفقون •

٢ ـ متفق عليـه •

الماء ، فالقيت الشص(١) فخرجت سمكة فطرحتها على الارض، وألقيت الثانية فخرجت لي سمكة ، فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائي لطمة لا أدري من يد من هي ولا رأيت أحدا ، وسمعت قائلا يقول : أنت لم تصب رزقا في شيء الا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله • قال : فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت • أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ، ثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عثمان بن الادمي ، قال : سمعت ابراهيم الخواص يقول : طلبت فقصدت ••• الخ ما تقدم •

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذه القصة ان صحت فان في الروايتين بعض من يتهم ، فان اللاطم ابليس وهو الذي هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه، وكيف يقال له : تعمد الى من يذكرنا فتقتله، وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ، ولو تركنا الصيد وذبح الانعام لانها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الابدان ، لانه لا يقيمها الا اللحم فالتحرج(٢) من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة ، فانظر الى الجهل ما يصنع والى ابليس كيف يفعل •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا عبد العزيز ابن علي الازجي ، ثنا علي بن عبد الله الهمدانى ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا أحمد بن عبدالله بن عبد الملك ، قال: سمعت شيخا يكنى أبا تراب يقول: قيل لفتح الموصلى : أنت صياد بالشبكة ، ولم لا تصيد شيئا الا وتطعمه لعيالك ، فلم لا تصيد وتبيع ذلك الناس ، فقال : أخاف أن أصطاد مطيعا لله تعالى في جوف الماء فأطعمه عاصيا لله على وجه الارض •

قال المصنف رحمه الله : قلت: ان صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلي فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل ، لان الله تعالى أباح الكسب وندب اليه • فاذا قال قائل : ربما خبزت خبزا فأكله عاص كان حديثا فارغا، لانه لا يجوز لنا اذا أن نبيع الخبز لليهود والنصارى •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في ترك التداوي

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف العلماء ان التداوي مباح ، وانما

---

١ ـ القص : سنارة الصياد   ٢ ـ من الحرج : وهو الاثم أو الضيق •

رأى بعضهم أن العزيمة تركه • وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبينا بما اخترناه في كتابنا « لقط المنافع في الطب » • والمقصود ها هنا انا نقول : اذا ثبت أن التداوي مباح بالاجماع مندوب اليه عند بعض العلماء ، فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل ، لان الاجماع على أنه لا يخرج من التوكل، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تداوى وأمر بالتداوي ، ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل •

وفى « الصحيح » (١) من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه « ان النبى صلى الله عليه وسلم رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر » • قال ابن جرير الطبرى : وفى هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لاحد عالج علة به في جسده بدواء ، اذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع • وفي اطلاق النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم ، وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضى بقضاء الله ، كما أن من عرض له كلب الجوع (٢) لا يخرجه فزعه الى الغذاء من التوكل والرضى بالقضاء لان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء الا الموت ، وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الاكل سببا لدفع الجوع • وقد كان قادرا أن يحيي خلقه بغير هذا، ولكنه خلقهم ذوي حاجة، فلا يندفع عنهم أذى الجوع الا بما جعل سببا لدفعه عنهم ، فكذا الداء العارض والله الهادى •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية
فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف : كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد ، الا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعه ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق • وانما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين(٣)، وقد لبس ابليس على جماعة من المتصوفة، فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ، ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم • وعمومهم اعتزل في الاربطة ففاتهم

---

١ ـ « صحيح مسلم » ٢ ـ أي شدة الجوع •

٣ ـ اي المتعطلين •

السعى الى المساجد وتوطنوا (١) على فراش الراحة وتركوا الكسب، وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب «الاحياء» : مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم . وقال : فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو ازار . ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله : قلت : انظر الى هذه الترتيبات ، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ، ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة ، وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم ، فانه يغلب عليه الماليخوليا(٢) . وقد يسلم الانسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس الا أنه اذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الاشياء ، لان في الدماغ ثلاث قوى: قوة يكون بها التخيل ، وقوة يكون بها الفكرة ، وقوة يكون بها الذكر، وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ ، وموضع التفكر البطن الاوسط من بطون الدماغ ، وموضع الحفظ الموضع المؤخر ، فان أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل ، فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية الى غير ذلك ، نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد ابن أبي القاسم ، نا رزق الله بن عبد الوهاب ، نا أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت أبا بكر البجلي يقول : سمعت أبا عثمان ابن الادمى ، قال : كان أبو عبيد التسترى اذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طينى باب البيت والق الى كل ليلة من الكوة رغيفا فاذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفا في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ، ويبقى على طهر واحد الى اخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين : أحدها بقاء الادمي شهرا لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح . والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها ، فان صحت هذه الحكاية فما أبقى ابليس لهذا في التلبيس بقية .

---

١ ـ توطن البلد : اتخذه وطنا ، ووطن المكان : أقام به .

٢ ـ أي مرض السوداء ، وهو من أمراض النفس .

قال : أنبأنا زاهر بن طاهر ، نا أحمد بن الحسين البيهقى ، ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفي غير مرة يعاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة في الجماعة فان السلامة في العزلة ٠

فصـــل

وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو٠

أخبرنا ابن الحصين ، نا أبو علي بن المذهب ، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، ثنا أبو المغيرة ، ثنا معان بن رفاعة، ثني على بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه ، قال : فمر رجل بغار فيه شيء من ماء ، قال : فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه ، وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ، ويتخلى عن الدنيا ، ثم قال : لو أني أتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان أذن لي فعلت والا لم أفعل ، فأتاه ، فقال : يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا ٠ قال : فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة ، والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة » (١) ٠

ذكر تلبيس ابليس عـلى الصوفية

في التخشع وطأطأة الرأس واقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله : اذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه ، فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون في ستر ما يظهر منهم من ذلك ٠ وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل ٠ ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فان ذلك يؤذيهم ٠ فقد روى عن على رضى الله عنه : اذا ذكرتم العـــلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه

---

١ ـ وفيه علي بن يزيد الالهاني ٠ قال الحافظ في « التقريب » ضعيف ٠

بضحك فتمجه القلوب . ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم اذا تفسح في المباح ، فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والادب ، وانما المذموم تكلف التخشع والتباكي وطأطأة الرأس ليرى الانسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد ، وربما قيل له : ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الاجابة . وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعي انه قيل له : ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه الى السماء وليس هذا بفضيلة لانه لا خشوع فوق خشوع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي موسى قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء ». وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر الى السماء لاجل الاعتبار بآياتها ، وقد قال الله تعالى : « أو لم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » (ق: ٦) وقال : « قل انظروا ماذا في السموات والارض » (يونس : ١٠١) وفي هذا رد على المتصوفين ، فان أحدهم يبقى سنين لا ينظر الى السماء . وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز الى التشبيه ، ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك ، غير أن ما شغل ابليس الا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لانهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا : أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني : نا القاضي أبو العلاء الواسطي ، نا أبو نصر أحمد بن محمد ، نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ، ثنا البخاري ، ثنا اسحاق ، ثنا محمد بن المفضل ، ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : لم يكن أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه وسلم منحرفين ولا متماوتين ، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فاذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون .

أخبرنا عبدالوهاب الحافظ، ثنا جعفر بن أحمد، نا عبد العزيز نا الحسن‌بن اسماعيل الضراب ، نا أبي ، ثنا أحمد بن مروان ، ثنا ابراهيم الحربي، ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه ، قال: نظر عمر بن‌الخطاب رضي الله عنه الى شاب قد نكس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في‌قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا علي بن أحمد الملطي ، ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ، ثنا ابن صفوان ، نا أبو بكر القرشي ، ثني يعقوب بن اسماعيل ، قال : قال عبد الله : أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين ، أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال : لكمه .

اخبرنا محمد بن ناصر ، نا جعفر بن أحمد ، نا الحسن بن علي التميمي ، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى ابى ، ثنا أسود بن عامر. نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى . قال : لقى ابي عبد الرحمن بن الاسود وهو يمشى وكان اذا مشى يمشي الى جنب الحائط متخشعا هكذا . وأمال أبو بكر (١) عنقه شيئا فقا لابى : مالك اذا مشيت مشيت الى جنب الحائط ؟ أما والله ان كان عمر اذا مشى لشديد الوطء على الارض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر ، نا أبو محمد الجوهرى ، نا ابن حياة ، نا أبو الحسن بن معروف ، ثنا الحسين بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد يرفعه الى سليمان بن ابى خيثمة عن أبيه ، قال : قالت الشفا بنت عبد الله : ورأت فتيانا يقصرون فى المشى ويتكلمون رويدا ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : انساك ، قالت : كان والله عمر اذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختياني انه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله .

وكان سفيان الثورى يقول : لا أعتد بما ظهر من عملي . وقال لصاحب له ورآه يصلي : ما أجرأك تصلي والناس يرونك .

قال : حدثنا محمد بن ناصر ، ثنا عبد القادر بن يوسف ، نا ابن المذهب ، نا القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبو عبد الله - يعني السلمي - ، ثنا بقية عن محمد بن زياد ، قال : مر أبو أمامة برجل ساجد ، فقال : يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

---

١ - أي رواي الحديث عن عاصم بن كليب .

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر بن ثابت ، نا الجوهري ، ثنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن القاسم الانباري ، ثنا الحارث بن محمد ، ثنا يحيى بن أيوب ، ثنا شعيب بن حرب ، ثنا الحسين بن عمار ، قال رجل في مجلس الحسن بن عمارة : آه قال : فجعل يتبصره (١) ويقول : من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به ·

اخبرنا اسماعيل بن أحمد المقرى ، نا أحمد بن أحمد الحداد ، ثنا أبو نعيم الحافظ ، نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ، ثنا أبو حاتم ، ثنا حرملة ، قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا فهم ذئاب خفاف

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ ، نا جعفر بن محمد الواسطي ، نا الحسين بن عبد الله الابزارى ، قال : سمعت ابراهيم بن سعيد يقول : كنت واقفا على رأس المأمون ، فقال لى : يا ابراهيم ، قلت لبيك ، قال : عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شيء ، قلت : ما هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بكاء ابراهيم على المنبر ،وخشوع عبد الرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعة ، وصلاة ابن خيعويه بالليل ، وصلاة عباس الضحى ، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس ، وحديث أبي رجاء ، وقصص الحاجبي ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش ·

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك النكاح

قال المصنف : النكاح مع خوف العنت (٢) واجب ، ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء · ومذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل ، لانه سبب في وجود الولد · قال عليه الصلاة والسلام : « تناكحوا تناسلوا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم :

---

١ ـ تبصر الشيء : استقصى النظر اليه   ٢ ـ اكتساب الاثم أو المشقة ·

٣ ـ رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا بلفظ « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة » ·

« النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » (١) أخبرنا محمد بن أبي طاهر ، نا الجوهرى ، نا أبو عمر بن حياة ، نا أحمد بن معروف ، ثنا الحسين بن الفهم ، ثنا محمد بن سعد ، نا سليمان بن داود الطيالسي ، نا ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختصينا (٢) ٠

قال ابن سعد : وأخبرنا عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك « أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فاخبروهم ، فقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أنام الليل على فراش ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ٠ فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ، ثم قال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٣) ٠

قال ابن سعد : وأخبرنا سعيد بن منصور ، نا أبو عوانة عن عطاء بن السايب عن سعيد بن عبيد ، قال : قال ابن عباس رضي الله عنه : « ان خير هذه الامة كان اكثرها نساء » ٠

قال ابن سعد : وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن قيس ، ثنا مندل عن أبي وجاء الجزرى عن عثمان بن خالد عن محمد بن خثيم ، قال : قال شداد بن

---

١ ـ متفق عليه من حديث أنس ٠ قال : « جاء رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقال : واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ٠ قال احدهم : أما انا فاني أصلي الليل ابدا ٠ وقال الاخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ٠ وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج ابدا ٠ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم ، ولكني أصوم وافطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ٠ فمن رغب سنتي فليس مني » وهذا لفظ البخاري ، ومعنى تقالوها : عدوها قليلة ٠

٢ ـ ورواه الدارمي في « سننه » ورواته ثقات وسيرد في السياحة مفصلا ٠

٣ ـ وقد رواه الشيخان بأتم من ذلك وقد أوردناه آنفا ٠

أوس : زوجوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا ألقى الله عزبا (١) .

وأخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر ، قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له : عكاف بن بشر التميمي الهلالي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عكاف هل لك من زوجة ؟ قال : لا ، ولا جارية ؟ قال : لا ، قال : وأنت موسر بخير ؟ قال : وانا موسر ، قال : انت اذا من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم ، ان سنتنا النكاح، شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمرسون (٢) ما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من ترك النساء » (٣) .

أخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أحمد بن جعفر ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثني أبي ، ثني ايوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء ابن أبي رباح عن أبي هريرة ، قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال ، والمتبتلين من الرجال الذين يقولون : لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك » (٤) .

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا عبد القادر بن محمد ، قال : نا أبو بكر الخياط ، نا أبو الفتح بن أبي الفوارس ، نا أحمد بن جعفر الجيلي ، ثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ، ثنا أبو بكر المروزى ، قال : سمعت أبا عبد الله بن حنبل يقول : ليس العزوبة من أمر الاسلام فى شىء ،

---

١ ـ وعثمان بن خالد لا يعرف من هو كما في « الميزان » والخبر منكر . وفي « تهذيب التهذيب» قال النباتي : هذا اسناد مطرح .

٢ ـ تمرس بالشيء : احتك به .

٣ ـ وفي الاسناد رجل مجهول .

٤ ـ وفيه طيب بن محمد . قال في « الميزان » لا يكاد يعرف وله ما ينكر . روى عنه أيوب ابن النجار في لعن المترجلات من النساء ، ذكره العقيلي . قلت : وأيوب هذا مدلس ، والحديث معنعن . لكن المعنى صحيح . وقد ورد لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، وكذلك لعن المترجلات والمتخنثين في « صحيح البخاري » وغيره .

النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ، ثم قال : لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد اتم أمره كله ٠ لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا ، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء ، وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل ، فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق ٠ ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له ٠ والنبي عليه الصلاة والسلام قال : « حبب الي النساء » (١) ٠

قلت : فان ابراهيم بن آدم يحكى عنه بانه قال : لروعة صاحب عيال فما قدرت أن اتم الحديث حتى صاح بي ، وقال : وقعنا فى بنيات (٢) الطريق انظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم قال : لبكاء الصبى بين يدى ابيه يطلب منه خبزا أفضل من كذا وكذا أنى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج ٠

فصل

وقد لبس ابليس على كثير من الصوفية ، فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد وأروا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل ، وهؤلاء وان كانت بهم حاجة الى النكاح أو بهم نوع تشرق اليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم ، وان لم يكن بهم حاجة اليه فاتتهم الفضيلة ٠ وفي « الصحيحين » (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟! قالوا : نعم ، قال : فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » ثم قال : « أفتحتسبون الشر ولا تحسبون الخير » ٠ ومنهم من قال : النكاح يوجب النفقة والكسب صعب ٠ وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب ٠ وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « دينار انفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار انفقته في الصدقة ، ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار

---

١ ـ رواه أحمد والنسائي عن أنس مرفوعا : « حبب الي من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة » ٠ واسناده حسن كما قال في « مشكاة المصابيح » (٢/٦٦٩) ٠

٢ ـ بنيات الطريق : الطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة والروعة : الفزعة ٠

٣ ـ هو في « صحيح مسلم » من حديث أبي ذر وليس فيه أفتحتسبون الشر ولا تحسبون الخير

الذى نفقته على عيالك » • ومنهم من قال : النكاح يوجب الميل الى الدنيا ، فروينا عن أبي سليمان الداراني انه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا •

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا كله مخالف للشرع ، وكيف لا يطلب الحديث الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم • وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لان أموت من سعى على رجلي أطلب كفاف وجهي أحب الي من أن أموت غازيا فى سبيل الله • وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول : « تناكحوا تناسلوا » (١) فما أرى هذه الاوضاع الا على خلاف الشرع • فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد، والعوام تعظم الصوفىاذا لم تكنله زوجة،فيقولون: ما عرف امرأة قط ، فهذه رهبانية تخلف شرعنا • قال ابو حامد : ينبغي أن لا يشغل المريد نفسه بالتزوج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى •

قال المصنف رحمه الله : واني لاعجب من كلامه أتراه ما علم من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الانس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى ، والله تعالى قد من على الخلق بقوله : « خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (الروم : ٢١) • وفي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك (٢) » • وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى • أترى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ينبسط الى نسائه ويسابق عائشة (٣) رضى الله عنها أكان خارجا عن الانس بالله • هذه كلها جهالات بالعلم •

---

١ ـ رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا • لكن أخرج أبو داود والنسائي والبيهيقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا « تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة » ، وهو حديث صحيح لطرقه (راجع آداب الزفاف للاستاذ محمد ناصر الدين الالباني ص ٥٥) •

٢ ـ رواه البخاري ٣ ـ رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح •

فصل

وأعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم الى ثلاثة أنواع . النوع الاول ـ المرض بحبس الماء ، فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : أعرف قوما كانوا كثيرى المني فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم ، وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب ، وعرضت لهم اعراض الماليخوليا ، وقلت شهواتهم وهضمهم . قال : ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمرئه (١) وتقايأه ، فلما عاد الى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الاعراض سريعا .

النوع الثانى ـ الفرار الى المتروك فان منهم خلقا كثيرا صابروا على ترك الجماع ، فاجتمع الماء فأقلقوا (٢) ورجعوا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه ، فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر .

النوع الثالث ـ الانحراف الى صحبة الصبيان ، فان قوما منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون الى صحبة المرد .

فصل

وقد لبس على قوم منهم تزوجوا ، وقالوا : انا لا ننكح شهوة فان ارادوا أن الاغلب في طلب النكاح ارادة السنة جاز ، وان زعموا أنه لا شهوة لهم في نفس النكاح فمحال ظاهر .

فصل

وقد حمل الجهل أقواما فجبوا (٣) انفسهم ، وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى ، وهذه غاية الحماقة لان الله تعالى شرف الذكر على الانثى

---

١ ـ استمرأ الطعام : استطيبه .

٢ ـ أي أزعجوا ٣ ـ جب نفسه : قطع أعضاءه التناسلية .

بهذه الآلة وخلقها لتكون سببا للتناسل ، والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال : الصواب ضد هذا ، ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم ٠

ذكر ابليس على الصوفية في ترك طلب الاولاد

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي ، قالا : نا احمد بن أحمد ، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، ثنا اسحاق بن احمد ، ثنا ابراهيم بن يوسف ، ثنا أحمد بن أبي الحوارى ، قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للاخرة ، وان اراد أن يأكل او ينام أو يجامع نغص عليه ، وأن أراد ن يتعبد شغله ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد الله تعالى من ايجاد الدنيا اتصال دوامها الى ان ينقضى أجلها ، وكان الادمى غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله ، فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة ، وتارة من باب الشرع بقوله تعالى : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم » (النور : ٣٢) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط » (١) وقد طلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام الاولاد ٠ فقال تعالى حكاية عنهم : « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » (آل عمران : ٣٨) « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي » (ابراهيم : ٤٠) الى غير ذلك من الآيات ٠ وتسبب الصالحون الى وجودهم ٠ ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرا من عبادة ألف سنة ٠

وقد جاءت الاخبار باثابة المباضعة (٢) والانفاق على الاولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولدا بعده ، فمن أعرض عن طلب الاولاد والتزوج فقد خالف المسنون والافضل وحرم أجرا جسيما ، ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة ٠

أخبرنا عمر بن ظفر ، نا جعفر بن أحمد بن السراج ، نا أبو القاسم

---

١ ـ ورد قريبا ، وقلنا : انه مرسل ، وليس فيه زيادة : ولو بالسقط ٠

٢ ـ يقصد النكاح ٠

الازجي ، ثنا ابن جهضم ، ثنا الخلدى ، قال : سمعت الجنيد يقول : الاولاد عقوبة شهوة الحلال ، فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام ·

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط ، فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن ، لانه لا يباح شيء ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ، ولا يندب الى شيء الا وحاصله مثوبة ·

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في الاسفار والسياحة

قد لبس على خلق كثير منهم ، فاخرجهم الى السياحة لا الى مكان معروف ولا الى طلب علم ، وأكثرهم يخرجهم على الوحدة ولا يستصحب زادا ، ويدعى بذلك الفعل التوكل ، فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى انه في ذلك على طاعة ، وانه يقرب بذلك من الولاية ، وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم · وأما السياحة والخروج لا الى مكان مقصود فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعى في الارض في غير أرب حاجة ·

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا ابراهيم بن عمر البرمكي ، نا ابن حياة ، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ، قال : سمعت ابا محمد ابن فتية يقول : ثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي اسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الاسلام » (١) قال ابن قتيبة : الزمام في الانف والخزام حلقة من شعر يجعل في أحد جانبي المنخرين · وأراد صلى الله عليه وسلم ما كان عباد بني اسرائيل يفعلونه من خزم التراقي (٢) وزم الانوف · والتبتل : ترك النكاح · والسياحة : مفارقة الامصار والذهاب في الارض · وروى أبو داود في « سننه » من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أئذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان سياحة أمتي

---

١ ـ وهو مرسل لان طاووس تابعي ·

٢ ـ الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر · وخزمه : وضع الخزامة فيه وهي حقلة يشد فيها الزمام ·

الجهاد في سبيل الله » (١) ٠

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا فيما تقدم (٢) من حديث ابن مظعون أنه قال : يا رسول الله ، ان نفسي تحدثني بأن أسيح في الارض ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : « مهلا يا عثمان فان سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » ٠

وقد روى اسحاق بن ابراهيم بن هانيء عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم في الامصار قال : ما السياحة من الاسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين ٠

فصل

واما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده ٠

فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا محمد ابن الطيب الصباغ ، نا أحمد بن سليمان النجاد ، ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب ، ثنا علي بن عاصم ، ثنا عبد الرحمن بن يزيد ، ثنا عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » (٣) ٠ أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن علي ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ،

---

١ ـ ورواه ايضا ابن عساكر وسنده حسن ـ كما قال في « المشكاة » ١/٢٢٥ ، ورواه في « شرح السنة » عن عثمان بن مظعون قال : يا رسول الله ائذن لنا في الاختصاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من خصى ولا اختصى ، ان خصاء أمتي الصيام » فقال : ائذن لنا في السياحة ، فقال : ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ، فقال : ائذن لنا في الترهب ، فقال : أن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظارا للصلاة ٠ قال في « مشكاة المصابيح » : نقل الشيخ القاري عن ميرك أن فيه مقالا ٠

٢ ـ وقد تحدثنا عنه ٠

٣ ـ ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه ، واقره الذهبي ، وصححه ابن خزيمة ، وقال ابن حجر : حديث حسن ٠

ثنا أيوب بن النجار ، عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الفلاة وحده » (١) ٠

فصـــل

وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة ٠ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ٠

وأخبرنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا احمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبدا » (٢) ٠ قال عبد الله : وحدثني ابى ، ثنا محمد بن أبي عدى ، ثنا محمد بن اسحاق ، عن محمد بن ابراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقلوا الخروج اذا هدأت الرجل فان الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء » (٣) ٠

قال المصنف رحمه الله : وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « السفر قطعة من العذاب ، فاذا قضى احدكم نهمته من سفره فليعجل الى أهله » (٤) ٠ فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس ، وكلاهما مقصود فاسد ٠

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ، ثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن ابى الطيب العكى يقول : سمعت أبا الحسن المصرى يقول : سمعت أبا حمزة الخراسانى يقول : كنت قد بقيت محرما فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس علي وتغرب كلما أحللت أحرمت ٠

---

١ ـ وفيه طيب بن محمد ٠ قال في « الميزان » : لا يكاد يعرف وله ما ينكر ٠ قلت : وشيخه أيوب مدلس وقد عنعنه ٠

٢ ـ ورواه البخاري ولفظه : « لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده » ٠

٣ ـ وهو من رواية محمد بن اسحاق وفيه عنعنه ٠

٤ ـ متفق عليه من حديث أبي هريرة ، ولفظه « السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى نهمته ـ أي حاجته ـ من وجهه فليجعل الى اهله » ٠

قال المصنف رحمه الله : قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد ، وقد بينا فساد هذا فيما تقدم ، الا انه قد شاع هذا في جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به ، فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك ، وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الاحوال وخفيت على العوام طرق الصواب · والاخبار عنهم بذلك كثيرة ، وأنا أذكر منها نبذة ·

أنبأنا محمد بن عبد الملك ، نا ابو بكر ، نا رضوان بن محمد الدينورى ، ثنا طاهر بن عبد الله ، ثنا الفضل بن الفضل الكندى ، ثني أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطي ، ثنا محمد بن السفاح عن علي بن سهل المصرى ، قال : أخبرني فتح الموصلي قال : خرجت حاجا فلما توسطت البادية اذا أنا بغلام صغير ، فقلت : يا عجبا بادية بيداء وأرض قفراء وغلام صغير ، فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ، ثم قلت : يا بني انك غلام صغير لم تجر عليك الاحكام ، قال : يا عم قد مات من كان أصغر سنا مني ، فقلت : وسع خطاك فان الطريق بعيد حتى تلحق المنزل ، فقال : يا عم علي المشي وعلى الله البلاغ ، أما قرأت قوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (العنكبوت ٦٩) · فقلت له : مالي لا أرى معك لا زادا ولا راحلة ؟! فقال : يا عم ، زادى يقينى وراحلتى رجائى ، قلت : سألتك عن الخبز والماء ، قال : يا عم ، أخبرنى لو أن اخا من اخوانك أو صديقا من أصدقائك دعاك الى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاما فتأكله فى منزله ، فقلت : أزودك ، فقال : اليك عنى يا بطال هو يطعمنا ويسقينا · قال فتح : فما رأيت صغيرا اشد توكلا منه ، ولا رأيت كبيرا اشد زهدا منه ·

قال المصنف رحمه الله : بمثل هذه الحكاية تفسد الامور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير : اذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا أحق بفعله منه · وليس العجب من الصبي بل من الذى لقيه ، كيف لم يعرفه ان هذا الذى يفعله منكر ، وان الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار ·

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر احمد بن علي الحافظ ، نا أبو نعيم الاصفهانى ، قال : سمعت محمد بن الحسن بن على اليعيظى يقول :

حضرت أبا عبد الله الجلاء ، وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة : يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى ، فقال : هذا فعل رجال الحق فان ماتوا فالدية على القاتل ٠

أخبرنا ابن ناصر ، أنبأنا أحمد بن علي بن خلف ، نا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول : سمعت احمد بن علي يقول : قال رجل لابى عبد الله بن الجلاء : ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد ، قال : هذا من فعل رجال الله ، قال : فان مات ، قال : الدية على القاتل ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذه فتوى جاهل بحكم الشرع اذ لا خلاف بين فقهاء الاسلام انه لا يجوز دخول البادية بغير زاد ، وان من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار ٠ وكذلك اذا تعرض بما غالبه العطب ، فان الله جعل النفوس وديعة عندنا ، فقال : « ولا تقتلوا انفسكم » (النساء : ٢٩) ، وقد تكلمنا فيما تقدم في وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد ، الا أنه خالف أمر الله فى قوله « وتزودوا » ٠ اخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت أبا أحمد الكبير يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف ، قال : خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به ٠

اخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا عبد الكريم ابن هوزان ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت محمد بن عبد الله الواعظ ، وأخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ، ثنا أبو الفضل يوسف بن علي البلخي ، ثنا محمد بن عبد الله ابو حمزة الصوفى ، قال : انى لاستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان ، وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زادا تزودته ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد سبق الكلام على مثل هذا ، وان هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الاسباب ، ولو كان هكذا لكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم حين تزود لما خرج الى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم استخفوا ما معهم ، وانما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم . وقد اعتذر لهم أبو حامد ، فقال : لا يجوز دخول المفازة بغير زاد الا بشرطين : أحدهما ان يكون الانسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر عن الطعام اسبوعا ونحوه . والثاني أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من ان يلقاه آدمى بعد اسبوع أو ينتهى الى حلة (١) أو حشيش يرجى به قوته .

قال المصنف رحمه الله : قلت : أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه ، فانه قد لا يلقى أحدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش ، وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعا ، وقد يموت ولا يأبه له أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج الى هذه المحن ان كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص واجتزاء بحشيش ، وأى فضيلة في هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الانسان أن يتقوت بحشيش ، ومن فعل هذا من السلف . وكأن هؤلاء القوم يجزمون(٢) على الله سبحانه أن يرزقهم فى البادية .ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة ، ألا ترى أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله الى موسى أن اهبطوا مصرا وذلك لأن الذى طلبوه في الامصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس .

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا عبد العزيز بن علي الازجي ، نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الساجي ، نا أبو بكر عبد العزيز ابن جعفر ، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال ، نا الحسن بن أحمد الكرمانى ثنا أبو بكر ، ثنا شبابة ، ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ، فيحجون فيأتون الى مكة فيسألون الناس ، فأنزل الله عز وجل : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » (البقرة : ١٩٧) .

أخبرنا أبو المعمر الانصارى ، نا يحيى بن عبد الوهاب بن منده ، نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم ، نا محمد بن حسان ، ثنا أبو بكر

---

١ ـ الحلة : المحلة   ٢ ـ جزم عليه الشيء : أوجبه .

أحمد بن هارون الميرونجي ،ثنا عبد الله بن الازهر ، ثنا أسباط ، ثنا محمد ابن موسى الجرجاني ، قال : سألت محمد بن كثير الصنعاني عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف ، فقال : سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد . فقلت له : فأي شيء الزهد ؟ قال: التمسك بالسنة والتشبه بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار ، نا عبد العزيز ابن علي الازجي ، نا ابراهيم بن محمد الساجي ، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال ، نا أحمد بن الحسين بن حسان، أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد ، فانكره انكارا شديدا، وقال: أف أف لا لا ــ ومد بها صوته ــ الا بزاد ورفقاء قافلة.

قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى: وجاء رجل الى أبي عبدالله فقال. رجل يريد سفرا أيما أحب اليك يحمل معه زادا أو يتوكل ، فقال له أبو عبد الله : يحمل معه زادا ويتوكل حتى لا يتشرف (١) للناس .

قال الخلال : وأخبرني ابراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم ان رجلا سأل أبا عبد الله : أيخرج الرجل الى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئا ؟ قال : لا يعجبني فمن أين يأكل ، قال : فيتوكل فيعطيه الناس ، قال : فاذا لم يعطوه أليس يستشرف لهم حتى يعطوه ، لا يعجبني هذا . لم يبلغني أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين فعل هذا .

قال الخلال : وأخبرنا محمد بن علي السمسار أن محمد بن موسى بن مسيس حدثهم ، أن ابا عبدالله سأله رجل، فقال : أحج بلا زاد ؟! فقال: لا، اعمل واحترف ، واخرج النبي صلى الله عليه وسلم زود أصحابه فقال: فؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ ؟ قال : نعم هم على الخطأ .

قال الخلال : وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازى، قال : سمعت الحسين بن الحسن الرازى ، قال : شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان ، فقال له : يا ابا عبدالله معي درهم أحج بهذا الدرهم ؟! فقال له أحمد : اذهب الى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبلا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج ، قال : يا أبا عبد الله ، أما ترى مكاسب

---

١ ـ تشرف للشيء : تطلع اليه .

الناس ، قال أحمد : لا تنظر الى هذا فانه من رغب في هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم، قال : يا أبا عبد الله انا متوكل ، قال : فتدخل البادية وحدك أو مع الناس ، قال : لا مع الناس ، قال : كذبت اذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فأنت متوكل على جراب الناس ٠

سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم من الافعال المخالفة للشرع

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، نا محمد بن عبد الباقي ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا احمد بن محمد بن مقسم ، ثنى أبو بدر الخياط الصوفي ، قال: سمعت أبا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل ، فبينما انا أسير ذات ليلة والنوم في عيني اذ وقعت في بئر ، فرأيتنى قد حصلت فيها فلم اقدر على الخروج لبعد مرتقاها ، فجلست فيها فبينا أنا جالس اذ وقف على رأس البئر رجلان ، فقال أحدهما لصاحبه : نجوز(١) ونترك هذه البئر في طريق المسلمين السابلة والمارة ٠ فقال الاخر : فما نصنع ؟ قال : فبدرت(٢) نفسي أن أناديهما ، فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا الى سوانا ، فسكت فمضيا، ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به ، فقالت لي نفسي: أمنت طمها (٣) ولكن حصلت فيها مسجونا ، فمكثت يومي وليلتي ، فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديدا ، فمددت يدى فوقعت على شيء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحني فوق الارض فاذا هو سبع ، فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله ، فهتف بي هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء ، وكفيناك ما تخاف بما تخاف ٠

اخبرنا محمد بن ناصر ، نا محمد بن أبي نصر الحميدى ، نا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني ، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت محمد بن حسن المحرمي سمعت ابن المالكي يقول : قال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين ، فبينا أنا امشي في الطريق وقعت في بئر، فنازعتني نفسي أن استغيث ، فقلت : لا والله لا استغيث ، فما اتممت هذا

---

١ ـ جاز المكان : سار فيه أو تركه خلفه وقطعه ٢ ـ بدره الى الشيء : عاجله وسبقه

٣ ـ أي طمرها وتسويتها بالارض ٠

الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للاخر : تعال نسد رأس هذا البئر في هذا الطريق ، فأتوا بقصب وبارية(١) فهممت ، فقلت: الى من هو أقرب اليك منهما ، وسكت حتى طموا رأس البئر ، فاذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه ، وكان يقول في همهمة له : تعلق بي فتعلقت به ، فأخرجني فنظرت فاذا هو سبع ، فهتف بي هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري ، قال : سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبي حمزة الصوفي الدمشقي انه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهاني حيائي منك ان اكشف الهوى فأغنيتني بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنني تبشرني بالغيب انك في الكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة وتؤنسني بالعطف منك وباللطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله : قلت : اختلفوا في أبي حمزة هذا الواقع في البئر ، فقال أبو عبد الرحمن السلمي : هو أبو حمزة الخراساني وكان من أقران الجنيد • وقد ذكرنا في رواية أخرى انه دمشقي • وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادي واسمه محمد بن ابراهيم ، وذكره الخطيب في «تاريخه» وذكر له هذه الحكاية • وايهم كان فهو مخطىء في فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه ، وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر ، كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله• وقوله : لا استغيث كقول القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء ، وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة في وضع الدنيا ، فان الله تعالى وضع الاشياء على حكمة فجعل للآدمي يدا يدفع بها ولسانا ينطق به وعقلا يهديه الى دفع المضار واجتلاب المصالح • وجعل الاغذية والادوية لمصلحة الآدميين ، فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد اليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع• فان قال جاهل : فكيف أحترز مع أمر القدر ؟ قلنا : وكيف لا يحترز مع أمر المقدر ، وقد قال الله تعالى : « خذوا حذركم » (النساء : ٧١) • وقد اختفى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ، وقال لسراقة : « اخف عنا »

---

١ ـ البارية : الحصير المنسوج •

واستأجر دليلا الى المدينة(١) ، ولم يقل: اخرج على التوكل، وما زال ببدنه مع الاسباب وبقلبه مع المسبب • وقد أحكمنا هذا الاصل فيما تقدم •

وقول أبى حمزة : فنوديت من باطنى ، هذ من حديث النفس الجاهلة التي قد استقر عندها بالجهل ان التوكل ترك التمسك بالاسباب، لان الشرع لا يطلب من الانسان ما نهاه عنه ، وهلا نافره باطنه فى مد يده وتعلقه بذلك المتدلي اليه وتمسكه به، فان ذلك أيضا نقض لما ادعاه من ترك الاسباب الذى يسميه التوكل ، لانه أى فرق بين قوله أنا في البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه ، لا بل هذا آكد لان الفعل آكد من القول ، فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب • فان قال: هذا بعثه الله لي، قلنا : والذى جاز(٢) على البئر من بعثه ؟ واللسان المستغيث من خلقه ، فانه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التي خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه ، فلم يستعملها وانما بسكوته عطل الاسباب التي خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة ، فصح لومه على ترك السبب • وأما تخليصه بالاسد فان صح هذا فقد يتفق مثله ، ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وانما ينكر فعله المخالف للشرع •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن ، قال : سمعت علي بن عبدالله بن جهضم المكي يقول : ثنا الخلدى ، قال : قال الجنيد : قال لى محمد السمين : كنت في طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة التى تفريقنا (٣) منها والطريق منقطع ، فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض ، فلما أن رأيتهم كأن نفسي اضطربت وكانوا على قارعة الطريق ، فقالت لي نفسي : تميل يمينا أو شمالا ، فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق ، فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ، ثم رجعت الى نفسي لأنظر كيف ، فاذا هي الروع معي قائم فأبيت أن أبرح ، وهذه صفتي فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فاذا الروع معى ، فأبيت أن أبرح وهذه صفتي، فوضعت جنبى فنمت مضطجعا ، فتغشانى(٤) النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع فى المكان الذى كانوا عليه ، فمضى بي وقت وأنا نائم، فاستيقظت فاذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء ، واذا الذى كنت أجده قد زال .

---

١ ــ ذكره البخاري وغيره في حديث الهجرة ٢ ــ مر ٣ ــ يقصد مفترق طرقهم •
٤ ــ تغشاه النوم : غطاه •

فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله : قلت : فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ، ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية ، بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه .

وفي «الصحيحين» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم : «فر من المجذوم فرارك من الاسد» (٢) . ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع (٣) . وهذا الرجل قد اراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السلام، فانه لما رأى الحية خاف وولى مدبرا . فان صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لان طباع الآدميين تتساوى ، فمن قال : لا أخاف السبع بطبعي كذبناه ، كما لو قال : أنا لا أشتهي النظر الى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاما للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل. وهذا الظن خطأ لانه لو كان هذا هو التوكل ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل ، والسبع اذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم ، فلقيته السباع في البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه ، غير أنا نبين خطأ فعله للعامي الذى اذا سمع هذه الحكاية ظن انها عزيمة عظيمة ويقين قوى ، وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام اذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع في غزواته كلها وقت الحرب (٤) حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق (٥) : «ليس لنبى أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال » . وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه اذ سد خروق الغار اتقاء أذى الحيات . وهيهات أن تعلو مرتبة هذا

---

١ ـ ولفظه : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » .

٢ ـ وهو في الصحيحين ايضا .

٣ ـ لم اقف على سنده .

٤ ـ قلت : بل لقد كان عليه يوم أحد درعان قد ظاهر بينهما ، كما في « الشمائل » للترمذي

٥ ـ قال في غزوة احد : « ما ينبغي لنبي اذا أخذ لامة الحرب ان يرجع حتى يقاتل » رواه موسى بن عتبة عن ابن شهاب ، وابن اسحاق عن شيوخه « فتح الباري ٨ ـ ٣٤٩ » .

المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل(١) له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل ·

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب، نا اسماعيل بن أحمد الجبرى ، ثنا محمد بن الحسين السلمي ، قال : سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول : سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني ، قال: سمعت مؤملا المغابي يقول : كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل ، فبينا نحن في برية نسير اذ زأر السبع من قريب منا ، فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبادر فأفر فضبطني ، وقال : يا مؤمل التوكل ها هنا ليس في المسجد الجامع ·

قال المصنف رحمه‌الله : قلت : لا أشك في أن التوكل يظهر أثره في المتوكل عند الشدائد · ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فانه لا يجوز ·

أخبرنا عمر بن ظفر ، نا ابن السراج ، نا عبد العزيز بن علي الازجي، نا ابن جهضم ، ثنا ابراهيم بن أحمد بن علي العطار ، قال له الخواص: حدثني بعض المشايخ انه قيل لعلي الرازى : ما لنا لا نراك مع أبي طالب الجرجانى ؟ قال : خرجنا فى سياحة فنمنا فى موضع فيه سباع ، فلما نظر الي رآني لم أنم طردني · وقال : لا تصحبنى بعد هذا اليوم ·

قال المصنف رحمه الله : قلت : لقد تعدى هذا الرجل اذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه ، وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه · ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية ، فهذا كله مبناه على الجهل ·

أخبرنا ابن ظفر ، نا ابن السراج ، نا الازجي ، ثنا ابن جهضم ، قال: سمعت الخلدى يقول : سمعت ابراهيم الخواص يقول : سمعت حسنا أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلي الشوكة فيمنعني ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلي ، فأدلك رجلي على الارض وأمشي ·

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ، أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرمانى ، نا سهل بن على الحساب ، نا عبد الله بن على

---

١ ـ خايلت السحابة : كانت ترجي المطر · ويقصد : كما خيل اليه وتوهم ·

السراج ، قال : سمعت أحمد بن علي الوجدى يقول : حج الدينورى اثنتي عشرة حجة حافيا مكشوف الرأس ، وكان اذا دخل في رجله شوك يمسح رجله فى الارض ويمشي ولا يتطأطأ (١) الى الارض من صحة توكله ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : انظروا الى ما يصنع الجهل بأهله ، وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الانسان تلك البادية حافيا ، لانه يؤذى نفسه غاية الاذى ، ولا مكشوف الرأس ، وأى قربة تحصل بهذا، ولولا وجوب كشف الرأس في مدة الاحرام لم يكن لكشفه معنى ٠ فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله ، وأى طاعة تقع بهذا ، ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه ، وهل دلك الرجل بالارض الا دفع بعض شر الشوك ، فهلا دفع الباقي بالاخراج ٠ وأين التوكل من هذه الافعال المخالفة للعقل والشرع، لانهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها ٠ ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى احرامه أن يخرق حرمة الاحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى ٠ ولقد سمعت أبا عبيد يقول : اني لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل٠

أخبرنا ابو منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب ، ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن القرميسيني ، قال : سمعت علي بن عبد الله بن جهضم ، قال: سمعت أبا بكر الرقى يقول : حدثني أبو بكر الدقاق ، قال : خرجت في وسط السنة الىمكة وأنا حدث السن ، فى وسطى نصف جل وعلى كتفي نصف جل،فرمدت عينى فى الطريق وكنتأمسح دموعى بالجل(٢)، فأقرح(٣) الجل الموضع ، فكان يخرج الدم مع الدموع ، فمن شدة الارادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم ، وذهبت عينى فى تلك الحجة ، وكانت الشمس اذا أثرت فى بدنى قبلت يدى ووضعتها على عينى سرورا مني بالبلاء ٠

أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا أحمد بن أحمد الحداد ، نا أبو نعيم الحافظ ، قال : سمعت أبا الفضل أحمد بن أبى عمران يقول : سمعت محمد ابن داود الرقى يقول : سمعت أبا بكر الدقاق يقول : كان سبب ذهاببصرى أني خرجت فى وسط السنة أريد مكة ، وفي وسطى نصف جل وعلى وسطى

---

١ ـ تطأطأ : انخفض ٠

٢ ـ الجل للدابة : كالثوب للانسان تصان به ٣ ـ أقرح : أصابه بقروح ٠

نصف جل ، فرمدت احدى عيني فمسحت الدموع بالجل ، فقرح المكان ، وكانت الدموع والدم تسيلان من عينى ·

أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، أنا أبو محمد التميمي ، انا عبدالرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا بكر الرازى يقول : قلت لابي بكر الدقاق ـ وكان بفرد عين ـ : ما سبب ذهاب عينك ؟ قال : كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسي أن لا آكل لأهل المنازل شيئا تورعا ، فسالت احدى عيني على خدى من الجوع ·

قال المصنف رحمه الله : اذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن أن هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التي افتخر فيها فنونا من المعاصى والمخالفات ، منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة ، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به، وظنه ان ذلك يقربه الى الله تعالى، وانما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه · فلو أن انسانا قال: أريد أن أضرب نفسى بعصا لانها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصيا · وسرورا هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لانه انما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه · فلو أن انسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى الحماقة، ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس فى شدة المجاعة حتى سالت عينه ، ثم يسمي هذا تورعا حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم ·

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم ، نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا محمد بن العباس بن أيوب الاصفهانى، ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقى ، ثنا مطرف بن مازن عن سفيان الثورى ، قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار ·

اقال المصنف رحمه الله : فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه · ووجهه (١) ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة (٢) التسبب، فاذا عدم الاسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التي هي كسب مثله فى تلك الحال ، فاذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب ·

وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا، فاخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد ، ثنا حمد بن أحمد الحداد ، ثنا أبو نعيم،

---

١ ـ وجه الكلام : السبيل المقصود به   ٢ ـ المكنة : القوة ·

قال : سمعت أبا أحمد القلانسي يقول : قال ابو علي الروذباري يحكى عن أبى بكر الدقاق ، قال : استضفت حيا من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عيني التي نظرت بها اليها ، وقلت : مثلك من نظر لله ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها ، لانه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا اثم عليه ، وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم ، فضم اليها كبيرة وهي قلع عينه ، ولم يتب عنها لانه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ، ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ، ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بني اسرائيل ، انه نظر الى امرأة فقلع عينه ، وتلك مع بعد صحتها ربما جازت في شريعتهم، فاما شريعتنا فقد حرمت هذا ٠ وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من تلبيس ابليس ٠ وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه ، قال : أخبرني ابو الحسن علي بن أحمد البصرى غلام شعوانة ، قال : أخبرتنى شعوانة انه كان في جيرانها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم الى السوق ، فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها ، فقالت له المرأة : أى شيء تريد مني ؟ قال فتنت بك، فقالت: ما الذى استحسنت منى ؟ قال عيناك، فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه، وقالت له : خذهما فلا بارك الله فيك ٠

قال المصنف رحمه الله : فانظروا اخوانى كيف يتلاعب ابليس بالجهلة، فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هي بكبيرة ، ثم ظنت أنها فعلت طاعة ، وكان ينبغي أن لا تكلم رجلا أجنبيا ٠ وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال : لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لي ، وهذا لا يحل له٠ وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة ٠

فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحى ، نا محمد بن علي بن عمر، نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى ، نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف ، ثني سكر ، ثني محمد بن يعقوب العرجى ، قال : سمعت ذا النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها ، فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشيء ٠

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، نا أحمد بن علي بن ثابت ، ثنا عبد العزيز الازجي ، ثنا على بن عبد الله الهمدانى ، ثني على بن اسماعيل الطلا، ثنى محمد بن الهيثم ، قال : قال لى أبو جعفر الحداد : دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوما لا آكل فيها شيئا وضعفت عن المشي ، فبقيت أياما أخر لم أذق فيها شيئا ، فسقطت على وجهى وغشي على ، وغلب على من القمل شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به ، فبينا أنا كذلك اذ مر بي ركب فرأونى على تلك الحالة ، فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسي ولحيتي وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء ، وسار فمر بي ركب آخر فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية ، فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلقى ، ففتحت عيني قليلا وقلت لهم: أقرب المواضع منكم أين ؟ قالوا : جبل الشراة ، فحملوني الى الشراة.

قال المصنف رحمه الله : قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين انحل من السلسلة فأخذ سكينا وجعل يشرح لحم نفسه ويقول : أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا . والا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية .

أخبرنا أحمد بن ناصر ، نا أحمد بن على بن خلف ، نا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت با بكر الدارى يقول : سمعت أبا الحسن الريحانى يقول : سمعت ابراهيم الخواص يقول : رأيت شيخا من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما على سبب (١) فى البرية ، فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الاسباب . قلت : هذا قد أراد ان يصبر عن القوت اكثر من هذا ، وليس الصبر الى هذا الحد وان اطيق بفضيلة .

أخبرنا أخبرنا محمد بن ابى القاسم ، نا رزق الله بن عبد الوهاب ، نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ، قال : سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروى مع شبة البرية ، فقال : يا شبة اطرح ما معك من العلائق ، قال : فطرحتها كلها وأبقيت دينارا فخطا خطوات ، ثم قال : اطرح ما معك لا تشغل سرى . قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات ، وقال : اطرح ما معك ، قلت : ليس معى شيء ، قال: بعد سرى مشتغل ثم ذكرت ان معى دستجة (٢) شموع ، فقلت : ليس معى الا هذه ، قال : فأخذها فطرحها ، ثم قال : امش فمشينا ، فما احتجت

---

١ ـ السبب : الطريق ، أو ما يتوصل به الى غيره   ٢ ـ الدستجة : الحزمة .

الى شبع (١) فى البادية الا وجدته مطروحا بين يدى ، فقال لى : كذا من عامل الله بالصدق ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : كل هذه الافعال خطأ ورمى المال حرام ، والعجب ممن يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدرى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت نصر ابن ابى نصر العطار ، يقول : سمعت على بن محمد المصرى ، قال : سمعت ابا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة ، فرأيت المرحلة (٢) من بعد ، فسررت بوصولى ، ثم فكرت فى نفسى انى شكيت وانى توكلت على غيره ، فآليت أن لا أدخل المرحلة الا ان حملت اليها ، فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها الى صدرى ، فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا : يا أهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه ، فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى الى المرحلة ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه ما لم يوضع عليه ، لان طبع ابن آدم أن يهش الى ما يحب ولا لوم على العطشان اذاهش الى الماء ، ولا على الجائع اذا هش الى الطعام ٠ فكذلك كل من هش الى محبوب له ٠ وقد كان النبى صلى الله عليه : اذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير ، حبا للوطن(٣) ٠ ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا (٤) ٠ وكان بلال يقول : لعن الله عتبة وشيبة اذ أخرجونا من مكة ويقول :

---

١ ـ الشبع : ما يشبع ٢ ـ المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في يومه ، ولعلها ـ الرحلة ـ وهي الجهة المقصودة ٠

٣ ـ في صحيح مسلم عن أبي حميد قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ٠٠٠ » ، وساق الحديث ، وفيه : « ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني مسرع ، فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث ، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : هذه طابة وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه » ٠

٤ ـ عن عبد الله بن عدي بن حمراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على الحزورة ـ اسم موضع بمكة ـ فقال : والله انك لخير ارض الله ، واحب ارض الله الى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » رواه الترمذي وابن ماجه ٠ أما تلفته صلي الله عليه وسلم لما خرج منها فلم اقف على سنده ٠

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى اذخر(١) وجليل(٢)

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل • ثم حبسه نفسه عن صلاة الجمعة قبيح • وأى شيء فى هذا من التقرب الى الله سبحانه انما هو محض جهل •

أنبأنا ابن ناصر ، نا جعفر بن أحمد السراج ، نا عبد العزيز بن على ابن أحمد ، ثنا ابو الحسن على بن جهضم ، ثنا بكر بن محمد ، قال : كنت عند أبي الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لي بذكر بدايته الى أن سألته عن سبب قطع يده ، فقال : يد جنت فقطعت، ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك، فقال : سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها اثنتي عشرة سنة، وكنت قد بنيت بها كوخا ، فكنت أجيء اليه من ليل الى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون، وأزاحم الكلاب على قمامة السفر ، وآكل من البردى(٣) فى الشتاء ، فنوديت فى سرى : يا أبا الخير تزعم انك لا تشارك الخلق فى أقواتهم وتشير الى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس • فقلت : الهى وسيدى وعزتك لا مددت يدى الى شيء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل الي رزقى من حيث لا أكون فيه ، فأقمت اثني عشر يوما أصلى الفرض وأتنفل ، ثم عجزت عن النافلة ، فأقمت اثنى عشر يوما أصلي الفرض والسنة ، ثم عجزت عن السنة فأقمت اثني عشر يوما أصلى الفرض لا غير، ثم عجزت عن القيام، فأقمت اثنى عشر يوما أصلى جالسا لا غير ، ثمعجزت عن الجلوس ، فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضي فلجأت الى الله بسرى، وقلت : الهى وسيدى افترضت علي فرضا تسألنى عنه ، وقسمت لى رزقا وضمنته لي فتفضل علي برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك ، فوعزتك لاجتهدن ان لا حللت عقدا عقدته معك فاذا بين يدى قرصان بينهما شيء، فكنت أجده على الداوم من الليل الى الليل ، ثم طولبت بالمسير الى الثغر

---

١ ـ الاذخر : نبات طيب الرائحة ٢ ـ الجليل : نبات ضعيف ويسمى الثمام

٣ ـ البردي : نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة •

فسرت حتى دخلت الفرما(١) فوجدت في الجامع قاصا يذكر قصة زكرياء والمنشار ، وان الله تعالى أوحى اليه حين نشر ، فقال : ان صعدت الي منك انة لامحونك من ديوان النبوة، فصبر حتى قطع شطرين • فقلت : لقد كان زكريا صبارا الهي وسيدى لئن ابتليتني لاصبرن • وسرت حتى دخلت انطاكية فرآني بعض اخواني ، وعلم أني أريد الثغر فدفع الي سيفا وترسا وحربة ، فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو ، فجعلت مقامي في غابة أكون فيها بالنهار ، وأخرج بالليل الى شاطئ البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محرابا وأتقلد سيفي وأصلي الى الغداة ، فاذا صليت الصبح غدوت الى الغابة ، فكنت فيها نهاري أجمع ، فغدوت في بعض الايام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ، ونسيت عقدي مع الله وقسمي به اني لا أمد يدي الى شيء مما تنبت الارض ، فمددت يدي فأخذت بعض الثمرة ، فبينا أنا أمضغها ذكرت العقد فرميت بها من في وجلست ويدي على رأسي ، فدار بي فرسان ، وقالوا لي : قم فأخرجوني الى الساحل ، فاذا أمير وحوله خيل ورجالة (٢) وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل في طلب من هرب منهم ، فوجدوني أسود معي سيف وترس وحربة ، فلما قدمت الى الامير ، قال: ايش أنت ؟ قلت : عبد من عبيد الله، فقال للسودان: تعرفونه ؟ قالوا : لا ، قال: بلى هو رئيسكم وانما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم ، فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى الي فقال : تقدم مد يدك فمددتها فقطعت، ثم قال : مد رجلك فمددتها ورفعت رأسي الى السماء ، وقلت : الهي وسيدي يدي جنت ورجلي ايش عملت ، فاذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه الى الارض ، وصاح : ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء ، هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير ، فرمى الامير نفسه وأخذ يدي المقطوعة من الارض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول : سألتك بالله أن تجعلني في حل ، فقلت : قد جعلتك في حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت •

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله الى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل ، وقد كان من أهل الخير ، ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه• وليس لابليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل•

---

١ ـ اسم موضع ٢ ـ مفرده راجل ، وهو الذي يمشي على رجليه •

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعيد بن أبي صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت الحسين بن أحمد الفارسي، قال: سمعت محمد بن داود الدينوري يقول : سمعت ابن حديق يقول : دخلنا المصيصة مع حاتم الاصم فعقد انه لا يأكل فيها شيئا الا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه والا ما يأكل ، فقال لاصحابه : تفرقوا ، وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئا، فلما كان في اليوم العاشر جاء اليه انسان فوضع بين يديه شيئا يؤكل ، فقال : كل ، فلم يجبه، فقال له ثلاثا فلم يجبه ، فقال : هذا مجنون، فأصلح لقمة وأشار بها الى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم ، فأخرج مفتاحا كان معه فقال : كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة فى فمه فأكل ، ثم قال له: ان أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار الى اصحابه.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، نا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه، ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ، ثنى القاضى أحمد بن سيار ، قال : حدثني رجل من الصوفية، قال: صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والارزاق وضعف اليقين فيها وقوته ، فقال الشيخ: علي علي، وحلف ايمانا عظيمة لا ذقت مأكولا أو يبعث لي بجام فالوذج حار لا آكله الا بعد أن يحلف علي . قال : وكنا نمشي فى الصحراء ، فقالت له الجماعة: الا انك غير جاهد (١)، ومشى ومشينا ، فانتهينا الى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء، ففارقته الجماعة غيرى ، فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلما للموت ضعفا ، فأقمت عليه، فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف : اذا بباب المسجد قد فتح واذا بجارية سوداء معها طبق مغطى ، فلما رأتنا قالت : أنتم غرباء أو من أهل القرية ؟ فقلت: غرباء، فكشفت الطبق واذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق، وقالت: كلوا، فقلت له: كل، فقال: لا أفعل، فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة ، وقالت : والله لئن لم تأكل لاصفعنك هكذا الى أن تأكل ، فقال : كل معي، فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف، فقلت للجارية : ما خبرك وخبر هذا الجام ؟ فقالت : أنا جارية لرئيس هذه القرية وهو رجل حاد، طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له، فطال الامر عليه فاستعجلنا فقلنا : نعم، فعاد فاستعجل، فقلنا: نعم، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو في داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله

---

١ ـ جهد في الامر : جد وتعب .

م (٢٣)

الا رجل غريب، فخرجنا نطلب في المساجد رجلا غريبا فلم نجد الى أن انتهينا اليكم ، ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضربا الى أن يأكل لئلا تطلق سيدتي من زوجها، قال : فقال الشيخ: كيف تراه اذا أراد أن يرزق ؟

قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة، وما فعله الرجل من أقبح القبيح، فانه يجرب على الله ويتألى (١) عليه، ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له ، وهذا لا يجوز له، ولا ينكر أن يكون لطف به الا انه فعل ضد الصواب ، وربما كان انفاذ ذلك رديئا لانه يعتقد أنه قد أكرم وان ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها ان صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز ، لانه ظن أن التوكل انما هو ترك التسبب ، فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه ، فانه تسبب وهل هذا الا من تلاعب ابليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ،ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه الا من (الماليخوليا) .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أحمد بن علي بن المحسن ، قال: حدثني أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبرى ، قال : قال لي جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها احدى وعشرون على المذهب، فقلت لابى اسحاق : وأى شىء أراد بقوله ـ على المذهب ـ فقال : يصعد الى قنطرة الناشرية فينفض كميه حتى يعلم انه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير .

قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول : «وتزودوا» (البقرة : ١٩٧) ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزود (٢) . ولا يمكن أن يقال : ان هذا الآدمي لا يحتاج الى شيء في مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب أثم، وان سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل ، وان ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره الى أنه مستحق لذلك محنة، ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال.

وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، قال : أخبرنى أبي عن بعض الصوفية : انه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة ، فقال لهم : من صحبتم ؟ فقالوا : حاج اليمن ، فقال : أوه التصوف قد صار الى هذا ؟! أو التوكل قد ذهب ، أنتم ما جئتم على الطريقة والتصوف ، وانما جئتم من

---

١ ـ تألى : حلف ٢ ـ كما في حديث الهجرة المروي في الصحيحين .

مائدة اليمن الى مائدة الحرم ، ثم قال : (١) وحق الاحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذه الطريق نخرج الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم على التجريد ، ونتعاهد بيننا ان لا نلتفت الى مخلوق ولا نستند الى معلوم ، فجئنا الى النبى صلى الله عليه وسلم ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء ، فخرجنا حتى بلغنا الجحفة (٢) ، ونزلنا وبحذائنا نفر من الاعراب فبعثوا الينا بسويق ، فأخذ بعضنا ينظر الى بعض ويقول : لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم ، فشربناه على الماء ، وكان طعامنا حتى دخلنا مكة ٠

قلت : اسمعوا اخوانى الى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم الى أخذ صدقات الناس ، ثم ظنهم ان ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب ٠

ومن اعجب ما بلغنى عنهم فى اسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبى القاسم البغدادى ، نا أبو محمد التميمى عن أبى عبدالرحمن السلمي، قال: بلغنى ان أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا احرم فى كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ، ودخل بادية تبوك على التوكل ، فلما كان فى حجته الاخيرة رأى كلبا فى البادية يلهث عطشا ، فقال : من يشترى سبعين حجة بشربة ماء ؟ قال : فدفع اليه انسان شربة ماء فسقى الكلب ، ثم قال : هذا خير لى من حجى ، لان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فى كل ذات كبد حرى (٣) أجر (٤) » ٠

اخبرنا عبد الاول بن عيسى ، نا ابن أبى الكوفانى ، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوسانى ، نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسى المعروف بابن السراج ، قال : سمعت الوجهى يقول : سمعت أبا علي الروذبارى يقول : كان فى البادية جماعة ومعنا ابو الحسين العطوفى فربما

---

١ ـ الحلف بغير الله حرام ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد اشرك ٠ رواه احمد والترمذي والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وقال العراقي : رجاله ثقات ٠

٢ ـ قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهي ميقات اهل الشام ٠

٣ ـ عطشة ٤ ـ متفق عليه من حديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وغفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء ، فغفر لها بذلك ٠ قيل : ان لنا في البهائم اجرا ؟ قال : فى كل ذات كبد رطبة اجر » ٠

كان تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق ، وكان أبو الحسين يصعد تلا ، فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون ، فيمر على بيوتهم ويحمل الينا من عندهم معونة ، قلت : وانما ذكرت مثل هذه الاشياء ليتنزه (١) العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لاوامر الشرع . وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شىء معه بالوضوء والصلاة وان تخرق ثوبه ولا ابرة معه فكيف يفعل ؟ وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر .

فأخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب ، نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان ابراهيم الخواص مجردا فى التوكل يدقق فيه ، وكان لا تفارقه ابرة وخيوط وركوة ومقراض ، فقيل له : يا أبا اسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شىء ؟! فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لان لله تعالى علينا فرائض . والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد، فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه ابرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته ، وان لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته ، واذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا ابرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته .

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا قدموا من السفر

قال المصنف رحمه الله : قلت : من مذهب القوم أن المسافر اذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضاة (١) ، فاذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم على الجماعة . وهذا ما ابتدعه متأخروهم على خلاف الشريعة ، لان فقهاء الاسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سنن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة او لم يكن ، الا ان يكونوا أخذوا هذا من مذهب الاطفال فانه اذا قيل للطفل : لم لا تسلم علينا ، قال : ما غسلت وجهى بعد ، أو لعل الاطفال علموه من هؤلاء المبتدعين .

---

١ ـ لعلها من التنزه عن الشيء بمعنى التباعد والتصون .

١ ـ الميضأة : الموضع يتوضأ فيه .

أخبرنا ابن الحصين ، نا أبو علي بن المذهب ، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر عن همام بن منبه ، ثنا أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه في « الصحيحين » • ومن مذهب القوم تغميز (١) القادم من السفر مساء •

أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه ، قال : باب السنة في تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه ، واحتج بحديث عمر رضي الله عنه : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم غلام له حبشي يغمز ظهره، فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « ان الناقة قد تقحمتني » (٢) •

قال المصنف رحمه الله : أنظروا اخواني الى فقه هذا المحتج ، فانه كان ينبغي ان يقول : باب السنة في تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ، ومن اين له أنه كان في سفر ، وانه غمز أول ليلة ثم جعل تغميز النبي صلى الله عليه وسلم كما اتفق لاجل ألم ظهره سنة ، لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره • ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم • قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (٣) للقادم ، واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سافر سفرا فنذرت جارية من قريش ان الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف، فلما رجع قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان كنت نذرت فاضربي

قال المصنف رحمه الله : قد بينا ان الدف مباح ، ولما نذرت هذه المرأة مباحا أمرها أن تفي، فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا مات لهم ميت

له في ذلك تلبيسان• الاول : أنهم يقولون لا يبكى على هالك، ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف •

قال ابن عقيل : وهذه دعوى تزيد على الشرع فهي حديث خرافة ، وتخرج عن العادات والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل ، فينبغي ان يطالب لها بالعلاج بالادوية المعدلة للمزاج ، فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم ، فقال :

---

١ ـ غمزه : جسه وكبسه باليد •

٢ ـ تقحم الفرس براكبه : القاه على وجهه • ولم اقف على سند حديث عمر •

٣ ـ العتيرة بوزن الذبيحة شاة كانت في الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على راسها •

« وابيضت عينــاه من الحزن فهو كظيم » (يوسف : ٨٤) • وقــال : « يا أسفا على يوسف » • وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت ولده ، وقال : « ان العين لتدمع » (١) وقــال : « واكرباه (٢) » ، وقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه ، فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمما يندب اخاه ويقول :

وكنا كندمانى (٣) جزيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدع

فقال عمر رضى الله عنه : ليتنى كنت أقول الشعر فاندب اخى زيدا ، فقال متمم : لو مات اخى كما مات اخوك ما رثيته • وكان مالك مات علــى الكفر وزيد قتل شهيدا فقال عمر : ما عزانى أحد فى اخى كمثل تعزيتك • ثم لا تزال الابل الغليظة الاكباد تحن الى مالفها من الاعطــان (٤) والاشخاص وترغو (٥) للفصلان • وحمام الطير ترجع (٦) • وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ، ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب • وقد أبان النبى عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عــن وسمت الطبع ، فقال للذى قال : لم أقبل أحدا من ولدى ـ وكان له عشرة مــن الولد ـ فقال : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبــك (٧) » • وجعل

---

١ ـ متفق عليه •

٢ ـ لم اجده هكذا وانما فى «الشمائل» للترمذى عن انس بن مالك قال: لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة رضي الله تعالى عنهــا : واكرباه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاكرب على ابيك بعد اليوم ، انه قد حضر من ابيك ما ليس بتارك منه احدا ، الموافاة يوم القيامة » •

٣ ـ الندمان : المنادم على الشراب •

٤ ـ العطن : مبرك الابل ومثله المعطن وجمعه معاطن •

٥ ـ رغا البعير : صوت وضج •

٦ ـ تردد الصــوت •

٧ ـ روى مسلم عن أبي هريرة ان الاقرع بن حابس ابصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن فقال : ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من لا يرحم لا يرحم » •

اما الحديث الذي اورده المصنف فهو من المتفق عليه عن عائشة قالت : جاء اعرابــي الــى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « او املك لك انه نزع الله من قلبك الرحمة » •

وقد خلط المصنف بين الحديثين فليس في الحديث الثاني ان الرجل كان له عشرة من الولد•

يلتفت الى مكة لما خرج (١) فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل • وقد قنع الشرع منا أن لا نلطم خدا ولا نشق جيبا فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك •

التلبيس الثاني : انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا، ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون : نفرح للميت اذ وصل الى ربه•

والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه : أحدها ـ أن المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لانفسهم، وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم•

والاصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي، نا أبو عامر الازدي وأبو بكر العورجي، قال : أخبرنا الجراحي ، ثنا المحبوبي• ثنا الترمذي ، ثنا أحمد بن منيع وعلي بن حجر ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر، قال : لما جاء نعي جعفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح •

والثاني ـ انهم يفرحون للميت ويقولون : وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن انه غفر له، وما يؤمنا أن نفرح له وهو في المعذبين • وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه : لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك •

أخبرنا عبد الاول، نا ابن المظفر، نا ابن عين، ثنا الفربري، ثنا البخاري ، ثنا أبو اليمان ، نا شعيب عن الزهري ، ثني خارجة بن زيد الانصاري عن أم العلاء، قالت : لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ان الله أكرمه ؟ » (٢) •

والثالث ـ انهم يرقصون ويلعبون في تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التي يؤثر عندها الفراق • ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم ، وان كان معذبا فأين أثر الحزن •

---

١ ـ لم اقف على اسناده •

٢ ـ رواه البخاري في « صحيحه » والنسائي في « سننه » •

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن أول تلبيس ابليس على الناس صدهم عن العلم ، لان العلم نور ، فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء · وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب : أحدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف ، فحسن عندهم الراحة، فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة ·

أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى ، نا حمد بن أحمد الحداد ، نا أبو نعيم الاصفهانى ، ثنا أبو حامد بن حيان ، ثنا أبو الحسن البغدادى، ثنا ابن صاعد ، قال: سمعت الشافعى رضي الله عنه يقـول : أسس التصوف على الكسل · وبيان ما قاله الشافعى ان مقصود النفس اما الولايـــات واما استجلاب الدنيا ، واستجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن، وهل يحصل المقصود أو لا يحصل · والصوفية قد تعجلوا الولايـــــات فانهم يرون بعين الزهد ، واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة ·

أخبرنا عبد الحق ، نا المبارك بن عبد الجبار ، نا أبو الفرج الطناجيرى ، ثنا أبو حفص بن شاهين ، قال : ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا : ان علومنا بلا واسطة ، وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم ، فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء واظهروا الزهد ·

والثانى : انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته ، فاقتنعوا بأطراف الاحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة · وكشف هذا التلبيس انه ما مـــن مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة ، فان الامارة والقضاء والفتوى كـله مخاطرة وللنفس فيه لذة ، ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جـــوار الورد ، فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الافات · فأما ما فـــى الطبع من حب الرياسة فانه نما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد ، وبالعلم يتقوم قصد العالم ، كما قال يزيد بن هارون: طلبنا العلم لغير الله فأبى الا ان يكون لله · ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه ·

والثالث انه اوهم قوما منهم ان المقصود العمل ، وما فهموا ان التشاغل بالعلم من أوفى الاعمال ، ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجـادة والعابد بغير علم على غير الطريق ·

والرابع : أنه أرى خلقا كثيرا منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول : حدثنى قلبى عـــن ربى . وكان الشبلى يقول :

اذا طالبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسموا هواجس النفوس العـلم الباطن . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق ، نا الحسين بن على الطناجيرى ، نا ابو حفص بن شاهين ، ثنا على بن محمـد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكرى ، ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعـانى ، قال : سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على ، قـال : سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن ابيه عن جـده عن الحسن ابن على عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ، قال : « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه » .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبى صلى الله عليه وسلم . وفى اسناده مجاهيل لا يعرفون .

أنبأنا محمد بن ناصر ، نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى ، نـا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ، ثنا أبو الحسن على بن عبد الله ابن جهضم ، ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن ، ثنا على بن جعفر عن أبى موسى، قال : كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية ، فقصد أبا يزيد وقال له : قد حكى لى عنك عجايب ، فقال له أبو يزيد : وما لم تسمع مـن عجايبى اكثر، فقال له: علمكهذا يا أبا يزيد عمن ؟ ومن اين ؟ ممن؟! فقال أبو يزيد : علمى من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) ومن حيث قال صلى الله عليه وسلم : « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم

---

١ ـ هو حديث موضوع أورده الشيخ الالباني في « سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة » تحت رقم (٤٢٢) ، وقد اخرجه أبو نعيم ثم قال : ذكر احمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام ، فوهم بعض الرواة انه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم .

باطن وهو العلم النافع » (١) وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله الهام من عنده • فقال له الشيخ : علمى من الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه عز وجل ، فقال له ابو يزيد : يا شيخ كان للنبى صلى الله عليه وسلم علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل ، قال : نعم ، ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول هو من عند الله ، قال : نعم أبينه لك قدر ما يستقر فى قلبك معرفته • ثم قال : يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحا (٢) • وان علم الانبياء وحى ، قال : نعم ، قال : أما علمت أن كلام الصديقين والاولياء بالهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الامة • ومما يؤكد ما قلت : ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته ، وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله لموسى : « وما فعلته عن أمرى » وكما قال ابو بكر لعائشة رضى الله عنهما : ان ابنة خارجة حاملة ببنت • وألهم عمر رضى الله عنه فنادى يا سارية الجبل •

أنبأنا ابن ناصر ، أنبأنا أبو الفضل السهلكى ، قال : سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ابراهيم سبتيه يقول : حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون : فلان لقى فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير ، وفلان لقى فلانا ، فقال أبو يزيد : مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت •

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه فى الحكاية الاولى من قلة العلم اذ لو كان عالما لعلم أن الالهام للشىء لا ينافى العلم ولا يتسع (٣) به عنه ، ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الانسان الشىء كما قال صلى الله عليه وسلم :

---

١ ـ ليس هكذا لفظ الحديث بل لفظه : « العلم علمان ، فعلم في القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » •

رواه ابن ابي شيبة والحكيم الترمذي عن الحسن البصري مرسلا • قال المنذري : اسناده صحيح ، وقال الحافظ العراقي : اسناده صحيح • ورواه الخطيب عن الحسن عن جابر مرفوعا • قال المنذري : اسناده صحيح ، وقال الحافظ العراقي : سنده جيد (كذا في « فيض القدير ») •

٢ ـ أي مواجهة • (٣) ـ أي لا يستغني به عنه من اتسع الرجل : اذا صار ذا سعة وغنى

« ان في الامم محدثين ، وان يكن في امتى فعمر » (١) والمـــراد بالتحديث الهام الخير ، الا ان هذا الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمـــل عليه • وأما الخضر فقد قيل : انه نبى (٢) • ولا ينكر للانبياء الاطلاع بالوحى على العواقب ، وليس الالهام من العلم فى شىء انما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد • فأما ان يترك العلم ويقول : انه يعتمد على الالهام والخواطر فليس هذا بشىء ، اذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع فى النفس أمن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان • واعلم أن العـــلم الالهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول ، كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية ، فان العقلية كالاغذية والشرعية كالادويـــة ولا ينوب هذا عن هذا •

واما قوله : أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، أصلح ما ينسب اليه هــــذا القائل انه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة •

أنبأنا ابن الحصين ، نا ابن المذهب ، نا أبو حفص بن شاهين، قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة ، وقالوا : نحن علومنا بلا واسطة • قال : وما كان المتقدمون فى التصوف الا رؤوسا فى القرآن والفقـه والحديث والتفسير ، ولكن هؤلاء أحبوا البطالة • وقال أبو حامد الطوسى : اعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهية دون التعليمية ، ولذلك لم يتعلموا ولـم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون • بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة ، وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الاهل والمـــال والولد والعلم ، ويخلو بنفسه فى زاوية ، ويقتصر عـــلى الفرائض والرواتب ، ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ، ولا يكتب حديثا ولا غيره ، ولا يزال يقول : الله الله الله (٣) الى أن ينتهى الى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ •

قال المصنف رحمه الله : قلت : عزيز على أن يصدر هذ الكلام من فقيه، فانه لا يخفى قبحه، فانه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التىحثت على تلاوة

---

١ ـ رواه البخاري في «صحيحه» بلفظ « لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثـــون فان يك في امتـي احد فانه عمر » • ٢ ـ وهو الصواب لادلة كثيرة ذكرها العلماء • ـ ٣ ـ الذكر الصحيح هو قول : لا اله الا الله وهو افضل الذكر كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم • اما الذكر بلفظ الجلالة فهو ذكر مبتدع •

القرآن وطلب العلم ٠ وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الامصار فانهم ما سلكو هذه الطريق وانما تشاغلوا بالعلم اولا ٠ وعلى ما قـد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم مـا يطرد ذلك فيلعب بها ابليس اى ملعب ، فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة ، ولا ننكر أنه اذا طهر القلب انصبت عليه انوار الهدى فينظر بنور الله (١) الا أنه ينبغي ان يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه ، فان الجـوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها ، فـلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب (٢) الى ما نهى عنه ، كما لا تستباح الرخص في سفر قدنهى عنه ٠ ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العـلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها ٠ وانما تلاعب الشيطان بأقـوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم ، والعلم بعيد عنهم ، فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه ، وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه ، وانمـا كان يفتى في هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان ٠

أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا ، قال : كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقـول : القرآن حجـاب ، والرسول حجـاب ليس الا عبد ورب ، فافتتن جمـاعة به فأهملوا العبـادات ، واختفى مخافة القتل ٠

أنبأنا محمد بن عبد الملك ، نا أحمد بن على بن ثابت ، نا أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن محمد الجنائى ، ثنا أحمد بن سليمان النجاد ، ثنـا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ، ثنا المحاربى عـن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو ، قال : ان قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم ، واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه ، وخالفوا السنة فهلكوا ، فوالله الذى لا اله غيره ما عمل عامل قط على جهل الا كان ما يفسد أكثر مما يصلح ٠

---

(١) الحديث الذي لفظه : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ٠ هو حديث ضعيف وقد ذكره الشوكاني في « الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة » ٠ وحقق الكلام عليه محقق « الفوائد » الاستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ٠

٢ ـ في نسخة : بسبب قد نهى عنه ٠

فصـــــل

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله ، لان الشريعة كلها حقائق ، فان كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى اعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبى الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول : سمعت أبا الحسن بن سالم ، يقول : جاء رجل الى سهل بن عبد الله وبيده محبرة وكتاب ، فقال لسهل : جئت لاكتب شيئا ينفعنى الله به ، فقال : اكتب : ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل ، فقال : يا أبا محمد أفدنى فائدة ، فقال : الدنيا كلها جهل الا ما كان علما ، والعلم كله حجة الا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف الا ما كان منه على الكتاب والسنة ، وتقوم السنة على التقوى .

وعن سهل بن عبد الله انه قال : احفظوا السواد على البياض ، فما أحد ترك الظاهر الا تزندق . وعن سهل بن عبد الله انه قال : ما من طريق الى الله أفضل من العلم ، فان عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلمات أربعين صباحا . وعن ابى بكر الدقاق قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل . وعن أبى بكر الدقاق انه قال : كنت مارا فى تيه بنى اسرائيل فخطر ببالى ، ان علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

قال المصنف رحمه الله : وقد نبه الامام أبو حامد الغزالى فى كتاب « الاحياء » فقال : من قال : ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يخالف الظاهر ، فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان .

وقال ابن عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسما ، وقالوا : المراد منها الحقيقة، قال : وهذا قبيح لان الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعد هذا سوى شىء واقع فى النفس من القاء الشياطين ، وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع .

ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتب العلم والقائها فى الماء

قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم ابليس ، وقال : ما المقصود الا العمل ، ودفنوا كتبهم .

فقد روى أن أحمد بن ابى الحوارى رمى كتبه فى البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال • ولقـــد طلب أحمد بن أبى الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبهالى البحر فغرقها ، وقال : يا علم لم أفعل بك هذا تهاونا ولا استخفافا بحقك، ولكنى كنت أطلبك لاهتدى بك الى ربى ، فلما اهتديت بك استغنيت عنك •

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن ابى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت ابا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول : سمعت ابا الحسن بن سالم عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، قال أحمد بن محمـد بن اسماعيل : أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث ، وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب • ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى دجلة ، فأول ما سمع على أبى العباس الاصم وطبقته وكتب الكثير •

أنبأنا زاهر بن طاهر ، نا أحمد بن الحسين البيهقى ، قـــال : سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول : سمعت أبا طاهر الجنايدى يقول : لقـــد كان موسى بن هارون يقرأ علينا ، فاذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجـــلة ويقول : قد اديته •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أحمد بن على بن خلف ، نا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت أبا نصر الطوسى يقول : سمعت جماعة مـــن مشايخ الرى يقولون : ورث أبو عبد الله المقرى عن أبيه خمسين الف دينـــار سوى الضياع والعقار ، فخرج عن جميع ذلك وانفقها على الفقراء ، قال : فسألت أبا عبد الله عن ذلك ، فقال : أحرمت وأنا غلام حدث ، وخرجت الى مكة على الوحدة (١) حين لم يبق لى شىء ارجع اليه ، وكان اجتهادى ان أزهد فـــى الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج الى مكة والتقطع فى الاسفار والخروج عن ملكى •

أخبرنا أبور منصور القزاز ، نا احمد بن على ابن ثابت ، نا اسماعيل الحيرى ، ثنا محمد بن الحسين السلمى ، قال : سمعت أبـــا العباس بن الحسين البغدادى يقول : سمعت الشبلى يقول : اعرف من لم يدخل فى هـــذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قمطرا (٢) مكتوبا

---

١ ـ أي منفردا •

٢ ـ القمطر : ما تصان فيه الكتب •

بخطه ، وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعني بذلك نفسه •

قال المصنف رحمه الله : قد سبق القول بأن العلم نور ، وان ابليس يحسن للانسان اطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ، ولا ظلمة كظلمة الجهل • ولما خاف ابليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب واتلافها ، وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب ، وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة ، فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث •

فأما القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها ، وكانوا يكتبونها في العسب (١) والحجارة وعظام الكتف ، ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صونا عليه ، ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وبقية الصحابة ، وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ (٢) منه شيء •

وأما السنة فان النبي صلى الله عليه وسلم قصر الناس في بداية الاسلام على القرآن ، وقال : « لا تكتبوا عني سوى القرآن » (٣) ، فلما كثرت الاحاديث ورأى قلة ضبطهم اذن لهم في الكتابة •

فروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الحفظ فقال : « ابسط رداءك » فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « ضمه اليك » ، فقال أبو هريرة : فلم أنس بعد ذلك شيئا بما حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) • وفي رواية انه قال : « استعن على حفظك بيمينك » يعني بالكتابة (٥) • وروى

---

١ ـ العسيب : جريدة من النخل كشط خوصها •والجمع عسب وعسبان •

٢ ـ أي يضيع ويختلف فيه •

٣ ـ رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ولفظه : « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » •

٤ ـ رواه الشيخان والترمذي ولفظه : « قلت : يا رسول الله ، اسمع منك أشياء فلا أحفظها ، فقال • ابسط رداءك فبسطته فحدثني حديثا كثيرا فما نسيت شيئا حدثني به » •

٥ ـ رواه الترمذي عن أبي هريرة قال : شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم سوء الحفظ فقال : « استعن بيمينك على حفظك » • قال الترمذي اسناده ليس بالقائم ، ثم نقل عن البخاري انه الخليل بن مرة ـ اي راويه • منكر الحديث مع انه اختلف عليه فيه ا• هـ• وعن الذهبي في « الميزان » هذا الخبر من المناكير ، لكن له شواهد منها ما سيذكره المصنف •

عنه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو انه قال : « قيدوا العلم ، فقلت : يا رسول الله وما تقييده ؟ قال : « الكتابة » (١) • وروى عنه أيضا رافع بن خديج قال : قلنا : يا رسول الله ، انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » (٢) •

قال المصنف رحمه الله واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته وأفعاله ، واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عنى » (٣) وقال : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها » (٤) • وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل الا من الكتابة لان الحفظ خوان • وقد كان احمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له : امله علينا • فيقول : لا بل من الكتاب • وقد قال على بن المدينى : أمرنى سيدى أحمد بن حنبل أن لا أحدث الا من الكتاب ، فاذا كانت الصحابة ، قد روت السنة وتلقتها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الارض وغربها لتحصيل كلمة من ها هنا وكلمة من هنا ، وصححوا ما صح (٥) وزيفوا ما لم يصح ، وجرحوا الرواة ، وعدلوا (٦) وهذبوا السنن وصنفوا ، ثم من يغسل (٧) ذلك فيضيع التعب ، ولا يعرف حكم الله فى حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا • فهل لشريعة من الشرائع قبلنا اسناد الى نبيهم وانما هذه خصيصة لهذه الامة •

---

١ ـ رواه الطبراني في « الكبير » والحاكم ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، لكن أورده الذهبي في « الميزان » في ترجمة عباد بن كثير من حديثه ، وقال عن البخاري : تركوه وأورده ابن الجوزي من طرق ، قال : لا يصح •

٢ ـ قال في « المقاصد الحسنة » : في فضل العلم للمرهبي بسند واه من جهة محمد بن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ، قال : قلت : يا رسول الله انا نسمع منك احاديث فاستعين بيدي على قلبي ؟ قال • « نعم » •

٣ ـ رواه البخاري ولفظه : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » •

٤ ـ رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود باسناد صحيح ولفظه : « نضر الله امرا سمع منه شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى له من سامع » • ورواه الدارمي عن ابي الدرداء

٥ ـ اي ردوا   ٦ ـ وصفوهم بالعدالة   ٧ ـ اي يمحو •

وقد روينا عن الامام أحمد بن حنبل ـ مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث ـ انه قال لابنه : ما كتبت عن فلان ، فذكر له أن النبى عليه الصلاة والسلام « كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من اخرى » (١) فقال الامام أحمد بن حنبل : انا لله سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبلغنى • وهذا قوله مع اكثاره وجمعه، فكيف بمن لم يكتب ، واذا كتب غسل ، أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت علام يعتمد فى الفتاوى والحوادث ؟ على فلان الزاهد او فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها ، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى •

فصل

قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل ، فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها ، وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذرا فى اتلافها فان أقواما كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الامر عليهم فدفنوا كتبهم • وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى• وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل اتلافها بوجه لكونها ضابطة علما وأموالا • وليسأل من يقصد اتلافها عن مقصوده ، فان قال : تشغلنى عن العبادة ، قيل له : جوابك من ثلاثة أوجه :

أحدهما أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أو فى العبادات •

والثانى ـ ان اليقظة التى وقعت لك لا تدوم ، فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات • واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء ، وجلاؤها النظر فى كتب العلم • وقد كان يوسف بن اسباط دفن كتبه ، ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط •

والثالث ـ أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء من الطلاب ممن لم يصل مقامك ، أو وقفتها على المنتفعين بها ، أو بعتها وتصدقت بثمنها ، أما اتلافها فلا يحل بحال •

---

١ ـ رواه البخاري عن جابر قال : « كان صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عيد خالف الطريق » •

وقد روى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه ، فقال : ما يعجبنى أن يدفن العلم ٠

وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على ، قال : أنبأنا أحمد بن على بن ثابت ، نا عبيد الله بن عبد العزيز البراذعى ، نا محمد بن عبد الله السحير ، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس ، قال : سمعت المروزى يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا اعرف لدفن الكتب معنى ٠

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى انكارهم على من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم ، وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد ، وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر ٠

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أبو بكر احمد بن على ، نا على بن ابى على البصرى، ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى، قال : سمعت جعفرا الخلدى يقول : لو تركنى الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا ، لقد مضيت الى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلسا واحدا ، وخرجت من عنده ، فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية ، فقال . ايش هذا معك ، فأريته اياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق ، ثم خرق الاوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس ٠

قال المصنف رحمه الله : وبلغنى عن أبى سعيد الكندى ، قال : كنت انزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون ، فسقطت الدواة يوما من كمى ،فقال لى بعض الصوفية : استر عورتك ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى، نا أبو بكر الخطيب ، نا أبو الفتح بن أبى الفوارس ، نا الحسين بن احمد الصفار ، قال : كان بيدى محبرة ، فقال لى الشبلى : غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى ٠

أخبرنا ابو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه، قال : سمعت عبد الله العزال المذكر ، قال : سمعت على بن مهدى يقول : وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر الى ومعى محبرة ، فانشأ يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغرق — وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى (١) — وعنك نطقت لدى من نطق
اذا خاطبونى بعلم الورق — برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله : قلت : من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله ، وأوضح سبيل الله العلم ، لانه دليل على الله وبيان لاحكام الله وشرعه ، وايضاح لما يحبه ويكرهه ، فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ، ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا ٠

أخبرنا ابن حبيب ، قال : نا ابن ابى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت ابا عبد الله بن خفيف : يقول : اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية ، فانى كنت أخبىء محبرتى فى جيب مرقعتى ، والكاغد (٢) فى حزة (٣) سراويلى ، وكنت أذهب خفية الى أهل العلم ، فاذا علموا بى خاصمونى ، وقالوا : لا تفلح ، ثم احتاجوا الى بعد ذلك ٠

وقد كان الامام احمد بن حنبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فيقول . هذه سرج الاسلام ٠ وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه ، فقال له رجل : الى متى يا أبا عبد الله ؟! فقال : المحبرة الى المقبرة ، وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من امتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » (٤) ، فقال أحمد : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم ٠ وقال أيضا : ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال (٥) فمن يكون ؟ وقيل له : ان رجلا قال فى أصحاب الحديث : انهم كانوا قوم سوء ، فقال أحمد : هو زنديق زنديق ٠

وقد قال الامام الشافعى رحمه الله : اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

---

١ ـ في نسخة : ففيك قناع العزاء هتكت ٠

٢ ـ الكاغد : القرطاس ٠

٣ ـ اي في ثناياها ٠

٤ ـ متفق عليه من حديث المغيرة ولفظه : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون » ٠

٥ ـ حديث الابدال وانهم ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا ٠ رواه أحمد وغيره وقال انه منكر ٠

وقال يوسف بن أسباط : بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الارض ·

اخبرنا أبو منصور القزاز ، نا ابو بكر الخطيب ، ثنا عبد العزيز بن علي ، ثنا ابن جهضم ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، قال : رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون ، اذ نادى مناد : الصلاة جامعة ، فاصطف الناس صفوفا ، فأتاني ملك فتأملته ، فاذا بين عينيه مكتوب : جبريل أمين الله ، فقلت أين النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية · فقلت : وأنا من الصوفية ، فقيل : نعم ، ولكن شغلك كثرة الحديث ·

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم · وفي اسناد هذه الحكاية ابن جهضم ، وكان كذابا ولعلها عمله · وأما ابن مسروق فاخبرني القزاز ، نا ابو بكر الخطيب ، حدثني علي بن محمد بن نصر ، قال : سمعت حمزة بن يوسف ، قال : سمعت الدارقطني يقول : أبو العباس بن مسروق ليس بالقوي يأتي بالمعضلات ·

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في كلامهم في العلم

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام في العلوم ، فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الاغاليط القبيحة منهم ، فتارة يتكلمون في تفسير القرآن وتارة في الحديث وتارة في الفقه وغير ذلك ، ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذي انفردوا به ، والله سبحانه لا يخلي الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين ·

ذكر نبذة من كلامهم في القرآن

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، نا أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي ، قال : سمعت جعفر بن محمد الخلدي ، قال : حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله ابن كيسان عن قوله عز وجل: « سنقرئك فلا تنسى » (الاعلى : ٦) فقال الجنيد: لا تنس العمل به ، قال : وسأله عن قوله تعالى : «ودرسوا ما فيه» (الاعراف: ١٦٩) قال له الجنيد : تركوا العمل به ، فقال : لا يفضض الله فاك·

قلت : أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر ، لانه فسره على أنه نهي وليس كذلك، انما هو خبر لا نهي، وتقديره : فما تنسى ، اذ لو كان نهيا كان مجزوما فتفسيره على خلاف اجماع العلماء. وكذلك قوله : « ودرسوا ما فيه » انما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل : « وبما كنتم تدرسون » (ال عمران : ٧٩) . لا من دروس الشيء الذى هو هلاكه .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، نا حمد بن أحمد ، ثنا أبو نعيم الحافظ، قال : سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول : حضرت أبا بكر الشبلي وسئل عن قوله عز وجل : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (ق : ٣٧) . فقال: لمن كان الله قلبه .

وأخبرنا عمر بن ظفر ، ناجعفر بن أحمد، نا عبد العزيز بن علي، نا ابن جهضم ، ثنا محمد بن جرير، قال : سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : « فنجيناك من الغم » (طه : ٤٠). قال: نجيناك من الغم بقومك ، وفتناك بنا عمن سوانا .

قال المصنف رحمه الله : وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ، ونسبة الكليم الى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية فى القباحة .

أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن على الحافظ، نا أبو حازم عمر ابن ابراهيم العبدرى ، قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى قوله عز وجل : « وأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » (الواقعة : ٨٩) فقال : الروح : النظر الى وجه الله عز وجل والريحان : الاستماع لكلامه ، وجنة نعيم ، هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل .

قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين . وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها « حقائق التفسير ». فقال فى فاتحة الكتاب عنهم : انهم قالوا : انما سميت فاتحة الكتاب لانها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا ، فان تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لانه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل ، وقال فى قول الانسان : آمين ، أى قاصدون نحوك .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيـــح لانه ليس من أم ، لانه لو كان كذلك لكانت الميممشددة٠ وقال في قوله : « وان يأتوكم أسارى » (البقرة: ٨٥) ٠ قال : قال : قال أبو عثمان : غرقى فى الذنـوب ٠ وقال الواسطى ٠ غرقى فى رؤية أفعالهم ٠ وقال الجنيد: أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم الى قطع العلائق ٠

قلت : وانما الاية على وجه الانكار ومعناها : اذا أسرتموهم فديتموهم، واذا حاربتموهم قبلتموهم ، وهؤلاء قد فسروها على ما يدجب المدح ٠

وقال محمد بن على « يحب التوابين » (البقرة : ٢٢٢) من توبتهم ٠ وقال النورى : يقبض ويبسط » (البقرة : ٢٤٥) أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه ٠ وقال فى قوله : « ومن دخله كان آمنــا » (آل عمـران: ٩٧) أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان ٠ وهذا غاية فى القبح ، لان لفظ الايـة لفظ الخبر ، ومعناه الامر ، وتقديرها : من دخل الحرم فأمنوه ٠ وهؤلاء قد فسروها على الخبر ، ثم لا يصح لهم لانه كم من داخل الى الحرم ما أمن مـن الهواجس ولا الوساوس ، وذكر فى قوله «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه» (النساء : ٣١) ٠ قال أبو تراب : هي الدعاوى الفاسدة « والجار ذى القربى » (النساء : ٣٦)٠ قال سهل : هو القلب « والجـــار الجنب » النفس « وابن السبيل » الجوارح ٠ وقال فى قوله « وهم بها » (النساء : ٢٤)٠ قال أبـو بكر الوراق : الهمان لها ويوسف ما هم بها ٠

قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله : «ما هــذا بشرا» (يوسف: ٣١) قا لمحمد ابن علي : ما هذا بأهـــل أن يدعى الى المباشرة ٠ وقـــال الزنجانى : الرعد : صعقات الملائكة ، والبرق : زفــرات أفئـدتهم ، والمطر بكاؤهم ٠ وقال فى قوله : ولله المكر جميعا » (الرعد : ٤٢) قال الحسين : لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا اليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم٠

قال المصنف رحمه الله : ومن تأمل معنى هذا علم انه كفر محض، لانه يشير الى أنه كالهزء واللعب ٠ ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليـق بذاك ٠ وقال فى قوله : « لعمـــرك » (الحجر : ٧٢) أى بعمـــارتك سرك بمشاهدتنا ٠

قلت : وجميع الكتاب من هذا الجنس ، ولقد هممت أن أثبت منه هـا هنا كثيرا ، فرأيت أن الزمان يضيع فى كتـابة شيء بين الكفـر والخطأ والهذيان · وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجه ، ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب·

وذكر ابو نصر السراج فى كتاب « اللمع » ، قال : للصوفيـة استنباط منها قوله : (أدعو الى الله على بصيرة) (يوسف : ١٠٨) قال الواسطى : معناه : لا أرى نفسى · وقال الشبلى : لو اطلعت عـلى الكل مما سوانا لوليت منهم فرارا الينا ·

قلت : هذا لا يحل لان الله تعالى انما أراد أهل الكهف · وهـذا السراج يسمى هذه الاقوال فى كتابه مستنبطات · وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المـال في قوله عز وجـل (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام » (ابراهيم : ٣٥) قال : انما عنى الذهب والفضة ، اذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهـة والاصنام ، وانما عنى بعبادته حبه والاغترار به ·

قال المصنف رحمه الله : وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين · وقد قال شعيب : « وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا » (الاعراف : ٨٩) ·

ومعلوم أن ميل الانبياء الى الشرك أمر ممتنع لاجـل العصمـة لا أنه مستحيل · ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الاشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال : « واجنبنى وبنى » ومعـلوم أن العرب أولاده ، وقد عبد أكثرهم الاصنام ·

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق ، نا المبارك بن عبد الجبـار ، نا الحسين بن على الطناجيرى ، نا ابو حفص بن شاهين ، قال : وقـد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجـوز ، فقالت فى قوله : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهـار لآيات لاولى الالباب » (آل عمران : ١٩٠) · فقـال : هم لآيـات لى ، فاضافوا الى الله تعالى ما جعله لاولى الالباب ، وهذا تبديل للقرآن ، وقـالوا : « ولسليمان الريح » (سبأ : ١٢) قالوا : ولى سليمان ·

واخبرنا ابن ناصر ، نا أحمـد بن على بن خلف ، ثنا أبـو عبد الرحمن السلمى ، قال : قال ابو حمزة الخراسانى : قد يقطـع

بأقوام فى الجنة فيقال :« كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الأيام الخالية » (الحاقة : ٢٤) فشغلهم عنه بالاكل والشرب ، ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه ٠

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله الى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكرا ، واضافة المكر بهذا الى الله سبحانه وتعالى ، وعلى مقتضى قول هذا ان الانبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل ، فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح ٠ وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر ٠ وانما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين ٠ وانى لاتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن الى ما هذا حده ٠

وقد اخبرنا على بن عبيد الله واحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن محمد ، قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون ، نا على بن عمر الحربى ، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، ثنا بشر بن الوليد ، ثنا سهيل أخو حزم ، ثنا أبو عمران الجونى عن جندب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ » (١) ٠

أخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن على ، نا أبو بكر بن حمدان ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى أبى ، ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى القرآن برأيه فلتبوأ مقعده من النار » (٢) ٠

قال المصنف رحمه الله : وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر ، انى لاقشعر من ذكرها ، لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة ٠

---

١ ـ وفيه سهيل وهو ابن ابي حزم ضعيف كما في « التقريب » وقد رواه ايضا ابو داود والترمذي وضعفه الشيخ الالباني في تعليقه على « المشكاة » ١/٧٩ ٠

٢ وفيه عبد الاعلى بن عامر الكوفي وهو صدوق يهم ٠ وقد ضعف الحديث الشيخ الالباني في تعليقه على « مشكاة المصابيح » ١/٧٩ ورواه الترمذي والنسائي ولفظه عند الترمذي « من قال في القرآن بغير علم » ٠٠٠ الحديث

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا أبو عبد الله بن باكويه ، قال : خبرنا أبو عبد الله بن خفيف ، قال : سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ ، فقالوا : ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها ، فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا ، فقالوا : نتكلم فى المحبة فانها عمدة القوم ، فتكلم كل واحد من حيث هو ، وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته ، فقام وخرج الى صحن الدار ، فاذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق (١) مكتوب فأخذه وحمله اليهم ، وقال : يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم ، أنظروا ما فى هذه الرسالة فاذا فيها مكتوب : مكارمكار وكلكم تدعون حبه ، وأحرم (٢) البعض وافترقوا فما جمعهم الا الموسم ٠

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذه بعيدة الصحة ، وابن خفيف لا يوثق به ، وان صحت فان شيطانا القى ذلك الرق ٠ وان كانوا قد ظنوا انها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة ٠ وقد بينا ان معنى المكر منه المجازاة على المكر ، فاما ان يقال عنه : مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة ٠

وقد أخبرنا ابن ظفر ، نا ابن السراج ، نا الازجى ، ثنا ابن جهضم ، ثنا الخلدى قال : سمعت رويما يقول : ان الله غيب أشياء فى أشياء ، غيب مكره فى علمه ، وغيب خداعه فى لطفه ، وغيب عقوباته فى باب كراماته ٠

قلت : وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة ٠

اخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو الفضل السهلكى ، قال : سمعت محمد بن ابراهيم يقول : سمعت خالى يقول : قال الحسن بن علويه : خرج أبو يزيد لزيارة أخ له ، فلما وصل الى نهر جيحون التقى له حافتا النهر ، فقال : سيدى ، ايش هذا المكر الخفى ، وعزتك ما عبدتك لهذا ، ثم رجع ولم يعبر ٠

قال السهلكى : وسمعت محمد بن أحمد المذكر يذكران أبا يزيد ، قال : من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا ٠

قلت : وهذه جرأة عظيمة فى اضافة المكر الى الله عز وجل وجعل الجنة التى هى نهاية المطالب وبالا ، واذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم

---

١ ـ الرق : جلد رقيق يكتب فيه

٢ ـ اي لبسوا الاحرام ٠

وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم ·

أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن أبي صادق ، نا ابن باكويه ، ثنا ابو الفرج الورياني ، ثنا أحمد بن الحسن بن محمد ، ثني محمد بن جعفر الوراق ، ثنا احمد ابن العباس المهلبي ، قال : سمعت طيفور ـ وهو ابو يزيد ـ يقول : العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين : طبقة تزوره متى شاءت وأني شاءت ، وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبدا ، فقيل له كيف ذلك؟ قال: اذا رآه العارفون اول مرة جعل لهم سوقا ما فيه شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء ، فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى زيارة الله أبدا ، قال : وقال أبو يزيد : في الدنيا يخدعك بالسوق وفي الآخرة يخدعك بالسوق ، فأنت أبدا عبد السوق ·

قال المصنف رحمه الله : تسمية ثواب الجنة خديعة وسببا للانقطاع عن الله عز وجل جهل قبيح ، وانما يجعل لهم السوق ثوابا لا خديعة ، فاذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة · ومن أين له أن من اختار شيئا من ذلك السوق لم يعد الى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبدا ، نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها الا نبي ، فمن اين له علمها وكيف يكون ، كما قال أبو هريرة راوي الحديث لسعيد بن المسيب : « جمعني الله واياك في سوق الجنة » (١) أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل ، لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط ، وليعلم أن الخواطر والواقعات انما هي ثمرات علمه ، فمن كان عالما كانت خواطره صحيحة لانها ثمرات علمه ، ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه · ورأيت بخط ابن عقيل : جاز (٢) أبو يزيد على مقابر اليهود ، فقال : ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا (٣) اعف عنهم ·

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهوان قوله : كف عظام ، احتقار للادمي ، فان المؤمن اذا مات كان كف عظام · وقوله : جرت عليهم القضايا ، فكذلك جرى على فرعون · وقوله : اعف عنهم ، جهل بالشريعة لان الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرا ، فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه ، ومحمد

---

١ ـ رواه الترمذي وابن ماجه وفيه وصف للسوق · قال الترمذي : حديث غريب ·
٢ ـ أي مر ٣ ـ أي الاحكام والمقادير ·

صلى الله عليه وسلم في أمه ، فنعوذ بالله من قلة العلم ·

أنبأنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى ، نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني ، ثنا ابو محمد الحسن بن محمد بن قوري الحوبياني ، نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج ، قال : كان ابن سالم يقول : عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود فقال معذورين · ومر بمقبرة المسلمين ، فقال : مغرورين ·

قال المصنف رحمه الله : وفسره السراج ، فقال : كأنه لما نظر الى ما سبق لهم من الشقاوة ، من غير فعل كان موجودا في الازل، وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر ·

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لانه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره ·

ومن كلامهم في الحديث وغيره :

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر الخطيب ، نا الازهري ، نا احمد بن ابراهيم بن الحسن ، ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ، قال : جاء أبو تراب النخشبي الى أبي ، فجعل أبي يقول : فلان ضعيف وفلان ثقة ، فقال ابو تراب : يا شيخ لا تغتب العلماء ، فالتفت أبي اليه وقال له : ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة ·

أنبأنا يحيى بن علي المدبر ، نا احمد بن علي بن ثابت ، نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري ، قال : سمعت احمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري يقول : سمعت أبا الحسن علي بن محمد البخاري يقول : سمعت محمد بن الفضل العباسي يقول : كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب « الجرح والتعديل » فقال : أظهر احوال اهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة ، فقال له يوسف بن الحسين : استحييت اليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم في الجنة منذ مائة سنة او مائتي سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الارض · فبكى عبد الرحمن وقال : يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لم أصنفه ·

قلت : عفا الله عن ابن ابي حاتم فانه لو كان فقيها لرد عليه كما رد الامام أحمد على أبي تراب ، ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل · ثم كون القوم في الجنة لا يمنع ان نذكرهم بما فيهم ،

وتسمية ذلك غيبة حديث سوء • ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه • وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا •

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلى يقول : سمعت ابا العباس ابن عطاء يقول : من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه اليه لما علم انه العالم بأحواله •

قلت : هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم •

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون ، نا أحمد بن الحسن الشاهد ، قال : قرىء على محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع ، سمعت أبا بكر الديف الصوفي وقال: سمعت الشبلى وقد سأله شاب: يا أبا بكر لم تقول: الله ولا تقول لا اله الا الله ؟! فقال الشبلى : أستحيي أن أوجه اثباتا بعد نفى فقال الشاب : أريد حجة أقوى من هذه ، فقال : أخشى أنى أؤخذ فى كلمة الجحود ولا أصل الى كلمة الاقرار •

قال المصنف رحمه الله : انظروا الى هذا العلم الدقيق ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقول : لا اله الا الله ويحث عليها (١) • وفى « الصحيحين » عنه انه كان يقول فى كل دبر صلاة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وكان يقو لاذا قام لصلاة الليل : لا اله الا أنت • وذكر الثواب العظيم لمن يقول : لا اله الا الله ، فانظروا الى هذه التعاطى على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله صلى الله عليه وسلم •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل، نا سهل بن على الحساب ، نا عبد الله بن على السراج ، قال : بلغنى أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن ، فقال : طعنه سم الموت • وسمع نباح كلب ، فقال : لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك ، فقال : أن

---

١ ـ من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كان له عدل رقبة من ولد اسماعيل ، وكتب له عشر حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي ، وان قالها اذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح » • رواه ابو داود وابن ماجه واسناده صحيح •

الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الاجرة ، ولولاها ما أذن فلذلك قلت : طعنه (١) . والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال : « وان من شيء الا يسبح بحمده » (الاسراء : ٤٤) .

قال المصنف رحمه الله : انظروا اخوانى عصمنا الله واياكم من الزلل الى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن ابى صادق ، نا ابن باكويه ، ثنا أبو يعقوب الخراط ، نا النورى أنه رأى رجلا قابضا على لحية نفسه ، قال : فقلت له : نحى يدك عن لحية الله ، فرفع ذلك الى الخليفة ، فطلبت وأخذت ، فلما دخلت عليه ، فقال : بلغني أنه نبح كلب فقلت : لبيك ونادى المؤذن فقلت : طعنه (١) ، قال : نعم ، قال الله عز وجل : « وان من شيء الا يسبح بحمده » ، فقلت : لبيك لانه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى ، قال : وقولك للرجل : نح يدك عن لحية الله ؟! قلت : نعم ، أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له ؟

قلت : عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه الى ان يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب ، قال : نا ابن ابى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، قال : سمعت الشبلى يقول وقد سئل عن المعرفة فقال : ويحك ما عرف الله من قال : الله ، والله لو عرفوه ما قالوه . قال ابن باكويه : وسمعت أبا القاسم احمد بن يوسف البردانى يقول : سمعت الشبلى يقول يوما لرجل يسأله : ما اسمك ؟ قال : آدم ، قال :ويلك أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمة ، ثم كان يقول : سبحان من عذرنى (٢) بالسوداء .

قال ابن باكويه وسمعت بكران بن أحمد الجيلي يقول : كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة ، فقال : بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك ففعل ، فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم (٣) من التعلق بك .

---

١ ـ اي طعنه سم الموت .

٢ ـ عذره : رفع اللوم عنه وقبل عذره بسبب مرض السوداء ، وهو الماليخوليا .

٣ ـ اي تصيرهم ييأسون ويقطعون رجاءهم .

فقال : قد فعلت ، فجاء بكسر قد جمعها ، فقال : اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم، نا أبى قال : سمعت بعض الفقراء يقول : سمعت أبا الحسن الحرفانى يقول : لا اله الا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط (١).

أخبرنا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبى صادق، ثنا ابن باكويه، قال : أخبرنا احمد بن محمد الحلفاوى ، قال: رأى الشبلي فى الحمام غلاما شابا بلا مئزر ، فقال له : يا غلام ألا تغطى عورتك ، فقال له : اسكت يا بطال (٢)، ان كنت على الحق فلا تشهد الا الحق، وان كنت على الباطل فلا تشهد الا الباطل. لان الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبى طاهر ، نا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه ، ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه . قال: حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعيد بشر بن الحسن الداودى ـ وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية ـ قال : وأمر الصوفية هناك مفرط جدا حتى يقال : ان عددهم ألوف . فاستعدت (٣) الصوفية على زوجها الى القاضى ، فلما حضرا قالت له : أيها القاضى، ان هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك، فان رأيت أن تمنعه ، قال : فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب ـ وحنق على مذاهب الصوفية ـ ثم قال لها : وكيف ليس له ذلك، قالت: لانه تزوج بى، ومعناه قائم بى، والان هو يذكر أن معناه قد انقضى منى وأنا معناى قائم فيه ما أنقضى ، فيجب عليه أن يصبر حتى ينقضى معناى منه كما انقضى معناه منى، فقال لي أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه . ثم اصلح بينهما وخرجا من غير طلاق .

وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب « الاحياء » ان بعضهم قال : للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الاحكام .

قلت : فانظروا اخوانى الى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

---

١ ـ القرط : ما يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها .

٢ ـ من البطالة والتعطل عن العمل .

٣ ـ استعدت : استعانت بالقاضي .

أن ظاهرها يخالف باطنها •

قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير، فقيل له : لو سألت الله أن يرده عليك، فقال : اعتراضي عليه فيما يقضي أشد علي من ذهاب ولدي •

قلت : لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكي هذه الاشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها ، وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض • وقال أحمد الغزالي : دخل يهودي الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي ، فقال له: أريد أن أسلم على يديك ، فقال : لا ترد، فاجتمع الناس، وقالوا : يا شيخ تمنعه من الاسلام ، فقال له: تريد بلا بد، قال: نعم، قال له : برئت من نفسك ومالك ؟ قال : نعم، قال: هذا الاسلام عندي احملوه الان الى الشيخ أبي حامد يعلمه لا لا المنافقين • يعني لا اله الا الله•

قلت : وهذا الكلام أظهر عيبا من أن يعاب فانه في غاية القبح•

ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من أراد الاسلام ما أخبرنا به أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر بن ثابت، أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، نا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا علي الحسين بن محمد بن احمد الماسرجسي يحكي عن جده وغيره من أهل بيته قال: كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرجسي أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما، فاتفقا على أن يسلما، فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده ، فقال لهما حفص: أنتما من أجل النصارى وعبدالله بن المبارك خارج في هذه السنة للحج، واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين ، فانه شيخ أهل المشرق والمغرب ، فانصرفا، فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك، فلما قدم أسلم الحسن •

قلت : وهذه المحنة انما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم ، لانه لو كان عنده حظ من علم لقال اسلما الان ، ولا يجوز تأخير ذلك لحظة• وأعجب من هذا أبو سعيد الذي قال لليهودي ما قال، لانه يريد الاسلام•

وذكر أبو نصر السراج في كتاب «اللمع» لمع المتصوفة ، قال: كان سهل بن عبدالله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له : اذا أردت أن تشتكي فقل : أوه ، فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ، ولا تقل : افرج (١) فانه اسم من أسماء الشيطان •

---

١ ـ من الفرج وهو كشف الغم وسواه •

فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على قــلة علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم. وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرى يقول : سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء الهروى يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد بن المظفر يقول : سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقــول : سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول : سمعت على بن محمد المصرى ، يقول : سمعت أيوب بن سليمان ، يقــول : سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى، يقول : سمعت أبى يقول : صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منهم الا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

ذكر تلبيس ابليس فى الشطــح والدعاوى

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت ، واذا اعتبرت علماء الســلف رأيت الخــوف غالبا عليهم والدعاوى بعيدة عنهم ، كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن. وقال عمر عند موته: الويل لعمر ان لم يغفر له . وقال ابن مسعود : ليتنى اذا مت لا أبعث . وقالت عائشة رضي الله عنها: ليتنى كنت نسيا منسيا . وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت : ترجو أن يغفر لمثلي ؟

قال المصنف رحمه الله : وانما صدر مثل هذا عن هــؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية. قال الله عز وجل: «انما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر : ٢٨) وقال صلى الله عليه وسلم : « انا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » (١) . ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم (٢) ، واتفــق لبعضهم من اللطف مــا يشبــه الكرامات فانبسطوا (٣) بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، نا أبو الفضل محمد بن علىالسهلكى، قال : سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الشيرازى يقول : ثنا أبو بكـر عمر بن يمن ، ثنا أبو عمر الرهاوى ، ثنا أحمد بن محمــد الجزرى، قال: سمعت أبا موسى الدئيلى يقول : سمعت أبا يزيد البسطـامى يقول: وددت

---

١ ـ اوردناه في فصل « تلبيس ابليس على الصوفية في ترك النكاح » ولفظه كما فـــي « الصحيحين » « أما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له » .

٢ ـ اي راقبوا . ٣ ـ اي تجرؤوا ولم يحتشموا .

أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم، فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد ؟ فقال : انى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق ٠

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى ، نا أبو سعد بن أبى صادق، ثنا ابن باكويه ، ثنى ابراهيم بن محمد ، ثنى حسن بن علويه ، ثنى طيفور بن عيسى ، ثنى أبو موسى الشبلى ، قال : سمعت أبا يزيد يقول : اذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، فاسأله أن يدخلنى النار، فقيل له : لم ؟ قال : حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه ٠

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الاقوال لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار ، فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال : «واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة» (التحريم : ٦) وقال : « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا » (الفرقان : ١٢) الى غير ذلك من الآيات ٠

وقد اخبرنا عبد الاول ، نا ابن المظفر ، نا ابن أعين ، ثنا الفربرى ، ثنا البخارى ، ثنا اسماعيل ، ثنا مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم » ٠ قال له الصحابة : والله ان كانت لكافية يا رسول الله !! قال : « فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » أخرجاه فى « الصحيحين » ٠ وفى افراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام (١) مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا جعفر بن احمد ، نا أبو على التميمى ، نا أبو بكر بن مالك ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنى ابى ، ثنا بهز بن اسد ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا على بن زيد عن مطرف عن كعب ، قال : قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا ، فقال : يا امير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت (٢) القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى ، فأطرق عمر رضى الله عنه مليا ثم أفاق ، قال : زدنا يا كعب ٠ قلت : يا أمير المؤمنين

---

١ ـ الزمام : المقود ٠

٢ ـ أي أدركت وأتيت ٠

لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها . فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب ، قلت : يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول : رب نفسي نفسي لا اسألك اليوم غير نفسي (١) .

اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد ، نا حمد بن أحمد الحداد ، ثنا أبو نعيم الحافظ ، ثنا أبى ، ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادى ، ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ، ثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال : سمعت كعب الاحبار يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفا ، فيقول : يا جبرائيل ائتنى بجهنم ، فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام ، حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثى على ركبتيه ، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول ، فيفزع كل امرىء الى عمله ، حتى ان ابراهيم الخليل يقول : بخلتى (٢) لا اسألك الا نفسى . ويقول موسى : بمناجاتى لا أسألك الا نفسى . وان عيسى ليقول : بما اكرمتنى لا اسألك الا نفسى لا اسألك مريم التى ولدتنى (٣) .

قلت : وقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك ؟! » فقال : ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار ، وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها (٤) . وبكى عبد الله بن رواحة يوما فقالت ، امرأته : مالك تبكى ؟! قال : أنبئت أنى وارد ولم أنبأ أنى صادر .

قال المصنف رحمه الله : فاذا كانت هذه حالة الملائكة والانبياء والصحابة وهم المطهرون من الادناس ، وهذا انزعاجهم لاجل النار ، فكيف هانت عند هذا المدعى ؟! ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية

---

١ ـ وفي اسناد هذه القصة علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

٢ ـ الخلة : الصداقة .

٣ ـ لعلها مما حفظه كعب من كتب بني اسرائيل .

٤ ـ لم اقف على سنده .

والنجاة ، وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة • وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من قال : اني في الجنة فهو في النار » (١) • وهذا محمد بن واسع يقول عند موته : يا اخوتاه اتدرون أين يذهب بي ؟ أتدرون أين يذهب بي ؟ والله الذي لا اله الا هو الى النار أو يعفو عني •

قلت : وهذا ان صح عن هذا المدعي فهذا غاية من تلبيس ابليس •

وقد كان ابن عقيل يقول : قد حكى عن أبي يزيد انه قال : وما النار ؟! والله لئن رأيتها لاطفئها بطرف مرقعتي ، أو نحو هذا قال : ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله ، فان الاهوان (٢) للشيء ثمرة الجحد ، لان من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة ، ومن لا يؤمن لا ينزعج ، وربما قال : يا جن خذوني • ومثل هذا القائل ينبغي ان يقرب الى وجهه شمعة ، فاذا انزعج قيل له : هذه جذوة من نار •

انبأنا محمد بن ناصر ، نا ابو الفضل السهلكي ، قال : سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ، قال : سمعت الحسن بن علويه ، يقول : سمعت طيفور الصغير ، يقول : سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول : سمعت أبا يزيد ، يقول : سبحاني سبحاني ما أعظم شأني • ثم قال : حسبي من نفسي حسبي •

قلت : هذا ان صح عنه فربما يكون الراوي لم يفهم ، لانه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه ، فقال فيه سبحاني حكاية عن الله لا عن نفسه • وقد تأوله له الجنيد بشيء (٣) ان لم يرجع الى ما قلته فليس بشيء •

فأنبأنا ابن ناصر ، نا السهلكي ، نا محمد بن القاسم الفارسي سمعت الحسن بن علي المذكر ، سمعت جعفرا الخلدي يقول : قيل للجنيد : ان أبا يزيد يقول : سبحاني سبحاني أنا ربي الاعلى ، فقال الجنيد : ان الرجل مستهلك في شهود الجلال فنطق بما استهلكه (٤) ، أذهله الحق عن رؤيته اياه فلم يشهد الا الحق فنعته •

---

١ ـ رواه الطبراني في « الصغير » من قول يحيى بن ابي كثير وسنده ضعيف • كذا في « المقاصد » •

٢ ـ يقصد الاستهانة والاستخفاف ، ولم اجد لفظ « الاهوان » •

٣ ـ اي بتأويل •

٤ ـ بمعنى أهلكه • واستهلك في الامر : جد فيه مستعجلا •

قلت : وهذا من الخرافات •

أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني ، نا سهل بن علي الخشاب ، وأنبأنا أبو الوقت عبد الاول ، نا أحمد بن أبي نصر الكوفاني ، نا الحسن بن محمد بن فوري ، نا عبد الله بن علي السراج ، قال : سمعت أحمد بن سالم البصري بالبصرة يقول في مجلسه يوما : فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد، لان فرعون قال : «انا ربكم الاعلى» والرب يسمى به المخلوق يقال : رب الدار • وقال أبو يزيد : سبحاني سبحاني ، وهذا لا يجوز الا لله، فقلت: قد صح عندك هذا عن أبي يزيد ، فقال : قد قال ذلك، فقلت : يحتمل ان يكون لهذا الكلام مقدمات يحكي بأن الله يقول : سبحاني لانا لو سمعنا رجلا يقول : « لا اله الا انا » علمنا أنه يقرأ •

وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت ابي يزيد عن هذا ، فقالوا : لا نعرف هذا •

أنبأنا ابن ناصر ، نا أبو الفضل السهلكي ، قال : سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، يقول : سمعت عامر بن أحمد ، قال : سمعت الكتاني ، يقول : حدثني ابو موسى الدئيلي ، قال : سمعت أبا يزيد يقول : كنت أطوف حول البيت أطلبه ، فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولي •

قال الشيرازي : وحدثنا ابراهيم بن محمد ، قال : سمعت الحسن بن علويه ، يقول : سمعت طيفور الصغير ، يقول : سمعت أبا يزيد يقول : حججت أول حجة فرأيت البيت ، وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت ، وحججت الثالثة فلم ار البيت ولا صاحب البيت •

قال الشيرازي : وسمعت محمد بن دادويه يقول : سمعت عبد الله بن سهل ، يقول : سمعت أبا موسى الدئيلي يقول : سمعت أبا يزيد وسئل عن اللوح المحفوظ قال : انا اللوح المحفوظ •

قال الشيرازي : وسمعت المظفر بن عيسى المراغي ، يقول : سمعت سيرين ، يقول : سمعت أبا موسى الدئيلي ، يقول : قلت لابي يزيد : بلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل ، قال : أنا أولئك الثلاثة ، فقلت : كيف؟! قال : قلبي واحد وهمي واحد وروحي واحد ، قلت : وبلغني أن واحدا قلبه على قلب اسرافيل ، قال : وأنا ذلك الواحد ، ومثلي مثل بحر مصطلم (١)

---

١ ـ أصطلمه : استأصله • والصيلم : الداهية •

لا أول له ولا اخر .

قال السهلكي : وقرأ رجـــل عند أبي يزيد « ان بطش ربك لشديد » (البروج : ١٢) فقال أبو يزيد : وحياته ان بطشي أشد من بطشه . وقيل لابي يزيد : بلغنا انك من السبعة ، قال : أنا كل السبعة . وقيـل له : ان الخلق كلهم تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : والله ان لوائي أعظم من لواء محمد ، لوائي من نور تحته الجن والانس كلهم مـــع النبيين . وقـــال أبو يزيـــد : سبحاني سبحاني ما أعظـــم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الارض تعرف ، أنا هو وهو أنا وهو هو .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي ، قالا : نا حمد بن أحمد ، نا أبو نعيم الحافظ ، ثنا أحمد بن ابي عمران ، ثنا منصـــور بن عبد الله ، قال : سمعت أبي يقول : قيل لابي يزيد : انك من الابدال (١) السبعة الذين هم أوتاد الارض ، فقال : أنا كل السبعة .

أنبأنا ابن ناصر ، نا أبو الفضل السهلكي ، قال : سمعت ابا الحسين محمد بن القاسم الفارسي ، قال : سمعت ابا نصر بن محمـــد بن اسماعيل البخاري يقول : سمعت ابا الحسين علي بن محمد الجرجاني ، يقول : سمعت الحسين بن علي بن سلام ، يقول : دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خـــلق كثير ، فالتفت اليهم فقال : « اني أنا الله لا اله الا انا فاعبدوني » ، فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه .

قال الفارسي : وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري ، قال : سمعت أبا بكر أحمد بن اسرائيل ، قال : سمعت خالي عـــلي بن الحسين ، يقول : سمعت الحسن بن علي بن حياة ، يقول : سمعت عمي ــ وهـــو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد ــ قال : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه ، فقال لي : يا أبا يزيد ان خلقي يحبون ان يروك ، قلت : يا عزيزي وأنا أحب أن يروني ، فقال : يا أبا يزيد أني أريد أريكهم ، فقلت : يا عزيزي ان كانوا يحبون ان يروني وانت تريد ذلك وأنا لاأقدرعلي مخالفتك ، قربني بوحدانيتك ، والبسني ربانيتـــك ، وارفعني الى أحديتك ، حتى اذا رآني خلقك قالوا : رأيناك فيكون أنت ذاك ولا

---

١ ـ ذكرنا قبل قليل أن حديث الابدال ضعيف .

أكون أنا هناك . ففعل بى ذلك وأقامني وزيني (١) ورفعني . ثم قال : اخرج الى خلقى فخطوت من عنده خطوة الى الخلق خارجا فلما كان من الخطوة الثانية غشي علي فنادى : ردوا حبيبى فانه لا يصبر عنى ساعة .

أنبأنا ابن ناصر ، نا السهلكى ، قال : سمعت محمد بن ابراهيم الواعظ، يقول : سمعت محمد بن محمد الفقيه ، يقول : سمعت أحمد بن محمد الصوفى ، يقول : سمعت أبا موسى يقول : حكى عن أبى يزيد انه قال : أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله تعالى ، وأنا ما أردت أن ارى الله تعالى ، هو اراد ان يرانى .

أخبرنا ابو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق الحيرى ، ثنا ابو عبد الله بن باكويه ، ثنا أبو الطيب بن الفرغانى ، قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : دخل على أمس رجل من أهل بسطام ، فذكر أنه سمع أبا يزيد البسطامى يقول : اللهم ان كان فى سابق علمك أنك تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقى حتى لاتسع معى غيرى .

قال المصنف رحمه‌الله: أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبحها. وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة اوجه :

احدها ـ أنه قال : ان كان فى سابق علمك وقد علمنا قطعا انه لا بد من تعذيب خلق بالنار ، وقد سمى الله عز وجل منهم خلقا ، كفرعون وأبى لهب ، فكيف يجوز ان يقال بعد القطع واليقين : ان كان .

والثانى ـ قوله : فعظم خلقى ، فلو قال : لادفع عن المؤمنين ولكنه قال : حتى لاتسع غيرى ، فأشفق على الكفار ايضا ، وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل .

والثالث ـ أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقا من نفسه بالصبر ، وكلا الامرين معدوم عنده .

قلت : ثم قال : والله لقد تكلمت أمس مع الخضر فى هذه المسألة ، وكانت الملائكة يستحسنون قولى ، والله عز وجل يسمع كلامى فلم يعب على ولو عاب لاخرسنى .

---

١ ـ زيناه : جعله ذا زي .

قلت : لولا أن هذا الرجل قد نسب الى التغير (١) لكان ينبغي أن يرد عليه • وأين الخضر ، ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله • وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة • وقد بلغنى عن ميمون عبده ، قال : بلغنى عن سمنون المحب انه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التى قال فيها :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار (٢) ، فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ، ويقول للصبيان : ادعو لعمكم الكذاب •

قال المصنف رحمه الله : انه ليقشعر جلدى من هذه ، أتراه علام يتقاوى ؟ وانما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله الا العافية • وقد قال : من عرف الله كل لسانه •

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا أبو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت محمد بن داود الجوزجانى يقول : سمعت أبا العباس بن عطاء ، يقول : كنت أرد هذه الكرامات ، حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال : كذا كان • قال : كنا فى سميرية (٣) فى دجلة ، فقالوا لابى الحسين : اخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة ارطال وثلاث أواقى ، فحرك شفتيه ، فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميرية ، فقيل لابى الحسين : سألناك بالله الا أخبرتنا بماذا دعوت ؟ فقال : قلت : وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتا فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى لاغرقن نفسى في دجلة •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا ابو بكر بن ثابت ، قال : أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ، ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى ، قال : سمعت جعفرا الخلدى ، يقول : سمعت الجنيد ، يقول : سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها ، وقالوا : نخرج ونصطاد السمك ، فقالوا لى : يا ابا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت

---

١ ـ من تغير اذا تبدل وتحول • ويقصد التغير في عقله •

٢ ـ أي لم يهدأ •

٣ ـ نسبة الى السمر ، ولعله مركب كانوا يركبونه ليلا فيسمرون فيه •

عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص ، فقلت لمولاى : ان لم تخرج الى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لارمين بنفسى فى الفرات ، فأخرجت سمكة فوزنتها فاذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له : يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك ؟ قال : نعم .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا ابو سعد بن أبى صادق ، نا ابن باكويه، نا ابو يعقوب الخراط ، قال : قال لى أبو الحسين النورى : كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء ، وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين ، وقلت : وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة ارطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئا ، قال : فبلغ ذلك الجنيد ، فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه .

أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول : سمعت الرقى ، يقول : سمعت على بن محمد بن أبان ، قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكبر ذنبى اليه معرفتى اياه .

قال المصنف رحمه الله : هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته ، فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى والا فهو قبيح .

أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، ثنى أحمد الحلفاوى ، قال : سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم ، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى ، نا سهل بن على الخشاب ، وأخبرنا أبو الوقت ، نا احمد بن ابى نصر ، نا الحسن بن محمد بن فورى ، قالا : نا عبد الله بن على السراج ، قال : سمعت ابا عبد الله أحمد بن محمد الهمدانى ، يقول : دخلت عند الشبلى فلما قمت لاخرج كان يقول لى ولمن معى الى ان خرجنا من الدار : مروا أنا معكم حيث ما كنتم وانتم فى رعايتى وكلاءتى .

نا محمد بن ناصر ، نا أبو عبد الله الحميدى ، نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستانى ، نا ابو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت منصور بن

عبد الله ، يقول : دخل قوم على الشبلي في مرض موته الذي مات فيـــه ، فقالوا له : كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

ان سلطان حبه قال : لا أقبل الرشنا
فسـلوه فديتـه ما لقتلي تحرشـا

قال ابن عقيل : وقد حكي عن الشبلي انه قـال : ان الله سبحانـه وتعالى ، قـال « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى : ٥) ، والله لارضى محمد صلى الله عليه وسلم وفي النار من أمته أحد • ثم قال : ان محمدا يشفع في امته وانا أشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها احـد •

قال ابن عقيل : والدعوى الاولى على النبي صلى الله عليـه وسلم كاذبة، فان النبي صلى الله عليه وسلم يرضى بعذاب الفجار ، كيف وقد لعن في الخمر عشرة (١) • فدعوى انه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة واقدام على جهل بحكم الشرع • ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وانه يزيد على محمد صلى الله عليه وسلم كفر ، لان الانسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة ، كان من أهل النار ، فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبـوة بل يزيد على المقـام المحمـود وهو الشفاعة العظمى •

قال ابن عقيل : والذي يمكنني في حق أهل البدع لساني وقلبي ، ولو اتسعت قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق •

أخبرتنا شهدة بنت أحمد ، قالت : أخبرنا جعفر بن أحمد، ثنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف ، سمعت أبا الحسن بن سمعون ، سمعت أبأأ أعبد الله العلقي صاحب أبي العباس بن عطاء ، سمعت أبا العباس بن عطاء ، يقول : قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبدا فأثنى عليـه حتى ابتلاه ، فسألت الله تعالى ان يبتليني ، فما مضت الايام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ميتا ما رجع منهم أحـد • قال : وذهب مـاله ، وذهب

---

١ ـ فعن ابن عمر قال ، قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » • رواه أبو داود وابن ماجه واسناده صحيح •

ورواه الترمذي وابن ماجه عن أنس بلفظ : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكـل ثمنها والمشتري لها والمشترى له » •

عقله ، وذهب ولده وأهله ، فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها ، وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته :

حقا أقول لقد كلفتني شططا (١) حملي هواك وصبري ان ذا عجب

قلت : قلة علم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء وفي سؤال البلاء معنى التقاوى (٢) من أقبح القبيح • و ـ الشطط ـ الجور ولا يجوز ان ينسب الى الله تعالى • وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغير •

اخبرنا محمد بن ناصر ، أنبأنا أحمد بن علي بن خلف ، نا محمد بن الحسين السلمي ، سمعت أبا الحسن علي بن ابراهيم الحصري ، يقول : دعوني وبلائي ، ألستم أولاد آدم الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، اذا كان أول الدن دردي (٣) كيف يكون آخره • قال : وقال الحصري : كنت زمانا اذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول من الشيطان حتى يحضر كلام الحق •

قال المصنف رحمه الله : قلت : أما القول الاول بأنه يتسلط على الانبياء جرأة قبيحة وسوء أدب • وأما الثاني فمخالف لما أمر الله عز وجل به فانه قال : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » (النحل : ٩٨) •

أخبرنا ابو بكر بن أبي طاهر ، نا عباد بن ابراهيم النسفي ، ثنا محمد بن الحسين السلمي ، قال : وجدت في كتاب أبي بخطه سمعت ابا العباس احمد بن محمد الدينوري يقول : قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي احدثوها ، سموا الطبع زيادة ، وسوء الادب اخلاصا ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة ، وسوء الخلق صولة (٤) ، والبخل جلادة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع الى الدنيا وصولا ، والسؤال عملا ، وبذاء (٥) اللسان ملامة ، وما هذا طريق القوم •

---

١ ـ شط شطوطا : افرط وجار •

٢ ـ تقاوى القوم المتاع بينهم : تزايدوا حتى يبلغوه غاية ثمنه •

٣ ـ الدردي من الزيت ونحوه : الكدر الراسب في اسفله •

٤ ـ من صال يصول : اذا سطا وقهر ووثب •

٥ ـ البذاء : الفحش •

وقال ابن عقيل : عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الاسماء مع حصول المعنى ، فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة (١) : أوقات • وقالوا فى المردان : شب ، وفى المعشوقة : أخت وفى المحبة مريدة ، وفى الرقص والطرب : وجد ، وفى مناخ : اللهعود (٢) والبطالة : رباط • وهذا التغيير للاسماء لا يباح •

بيان جملة مروية عن الصوفية من الافعال المنكرة

قلت : قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة ، وانما نذكر ها هنا من امهات الافعال وعجائبها •

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد ، أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى ، نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب ، نا أبو نصر عبد الله بن على السراج ، قال : ذكر عن ابن الكريتى ـ وكان استاذ الجنيد ـ انه أصابته جنابة ، وكان عليه مرقعة ثخنية ، فجاء الى شاطىء الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد ، فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج ، وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف على فلم تجف عليه شهرا •

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أحمد بن على بن ثابت ، ثنا عبد العزيز بن على ، ثنا على بن عبد الله الهمدانى ، ثنا الخلدى ، ثنى جنيد ، قال : سمعت أبا جعفر بن الكريتى يقول : أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل ـ وكانت ليلة باردة ـ فوجدت فى نفسى تأخرا وتقصيرا ، وحدثتنى نفسى لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء ، أو تدخل حماما ، والا اعبأ (٣) على نفسك • فقلت : واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى ، يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه ، وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر ، آليت لا أغتسل الا فى نهر ، وآليت لا اغتسلت الا فى نهر ، وآ ليت لا اغتسلت الا فى مرقعتى هذه ، وآليت لا أعصرها ، وآليت لا جففتها فى شمس ، أو كما قال •

---

١ ـ لعلها تعني الفجور وهي غير عربية •

٢ ـ لعلها اللهاعة • أو اللهيعة وهي الكسل والغفلة •

٣ ـ من عبأ الجيش اذا جهزه وهيأه •

قلت : قد سبق في ذكر المرقعات وصف هـذه المرقعة التى لابن الكريتى ، وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا ، وانما ذكر هـذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله ، وذلك جهل محض ، لان هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل . وانما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء . ولا يجوز لاحد أن يعاقب نفسه ، فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب : القاؤها في الماء البارد ، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد ، ولعله قد بقى من مغابنه (١) ما لم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاءها عليه مبتدة شهرا ، وذلك يمنعه لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سببا لمرضه أو قتله .

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى ، قالا : أخبرنا حمد بن احمد بن عبد الله الاصبهانى ، قال : كانت أم على زوجة أحمد بن حضرويه قد أخلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزور بهـا أبا يزيد البسطامى ، فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها ، فلما قال لها احمد : رأيت منك عجبا ، أسفرت عن وجهك بين يدى أبى يزيد ، قالت : لانى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسى ، وكلما نظـرت اليك رجعت الي حظوظ نفسى ، فلما اراد أحمد الخروج من عند ابى يزيد قال له : أوصنى ، قال : تعلم الفتوة من زوجتك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، نا ابو سعد بن أبى صادق ، نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازى ـ وفاز قرية بطرسوس ـ سمعت أبا بكر السباك ، سمعت يوسف بن الحسين يقول : كان بين احمد بن ابى الحوارى وبين أبى سليمان عقد أن لا يخالفه فى شىء يأمره به ، فجاءه يوما وهـو يتكلم فى المجلس ، فقال : ان التنور قد سجرناه (٢) فما تأمرنا فما أجابه ، فأعاد مرة أو مرتين ، فقال له فى الثالثة : اذهب واقعد فيه ، ففعل ذلك . فقـال أبو سليمان : الحقوه فا نبينى وبينه عقدا أن لا يخالفنى فى شىء آمره به ، فقام وقاموا معه ، فجاؤا الى التنور فوجدوه قاعدا فى وسطه ، فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية بعيدة الصحة ، ولو صحت كان

---

١ ـ المغبن : الابط ، وكل مطوي من الجسد .

٢ ـ سجر التنور : ملأه وقودا وأحماه .

دخوله النار معصية • وفى « الصحيحين » من حديث على رضى الله عنه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار ، فلما خرجوا وجد (١) عليهم فى شىء ، فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعونى ؟! قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا حطبا فجمعوا ، ثم دعا بنار فأضرمها ، ثم قال : عزمت عليكم لتدخلنها، قال : فهم القوم ان يدخلوها ، فقال لهم شاب : انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فان أمركم ان تدخلوها فادخلوا ، فرجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة فى المعروف » •

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا أحمد بن على بن ثابت، نا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنى الحسن بن جعفر بن على ، أخبرنى عبدالله ابن ابراهيم الجزرى ، قال : قال أبو الخير الدئيلي : كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة ، وقالت له : اعطنى المنديل الذى دفعته اليك، قال: نعم، فدفعه اليها ، قالت : كم الاجرة، قال: درهمان، قالت: ما معي الساعة شىء وأنا قد ترددت اليك مرارا فلم أرك ، وأنا آتيك به غدا ان شاء الله تعالى ، فقال لها خير : ان أتيتنى بهما ولم تجدينى فارمى بهما فى دجلة، فانى اذا جئت أخذتهما ، فقالت المرأة : كيف تأخذ من دجلة، فقال لها : خير هذا التفتيش (٢) فضول منك ، افعلى ما أمرتك ، قالت : ان شاء الله ، فمرت المرأة ، قال أبو الحسين : فجئت من الغد وكان خير غائبا ، واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده ، فرمت بالخرقة فى دجلة واذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت ، وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته ، وجلس على الشط يتوضأ واذا بالسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها ، فلما قربت من الشيخ أخذها ، فقلت له : رأيت كذا وكذا ، فقال : أحب ان لا تبوح به فى حياتى ، فأجبته الى ذلك•

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع ، لان الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا اضاعة • وفى «الصحيح» ان النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن اضاعة المال » ، ولا

---

١ ـ وجد عليه : غضب •

٢ ـ يقصد هذا السؤال والبحث •

تلتفت الى قول من يزعم أن هذا كرامة ، لان الله عز وجل لا يكرم مخالفا لشرعه •

أخبرنا أبو منصور القزاز ، نا أبو بكر بن ثابت ، نا أبو نعيم الحافظ، سمعت أبا الفرج الوريانى ، سمعت علي بن عبد الرحيم، يقول: دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين ، فسألته عن أمره، فقال : طالبتني نفسي بأكل التمر ، فجعلت أدافعها فتأبى علي ، فخرجت فاشتريت ، فلما ان أكلت قلت لها : قومي فصلي فأبت علي ، فقلت : لله علي ان (١) قعدت الى الارض أربعين يوما الا فى التشهد ، فما قعدت •

قلت : من سمع هذا من الجهال يقول : ما احسن هذه المجاهدة ، ولا يدرى أن هذا الفعل لا يحل ، لانه حمل على النفس ما لا يجوز ، ومنعها حقها من الراحة • وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب « الاحياء » قال : كان بعض الشيوخ فى بداية ارادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع ، قال : وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس (٢) ، رعونة الجود ورياء البذل • قال : وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم ، قال : وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعا •

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الاشياء ولم ينكرها، وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم، وقال قبل ان يورد هذه الحكايات : ينبغى للشيخ أن ينظر الى حالة المبتدىء فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه فى الخير ، وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه • وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج الى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك ، وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان • وان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم ، وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأسا •

---

١ ـ نافية أي لا قعدت •

٢ ـ الرعونة : الحمق •

قلت : وأني لأتعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الاشياء التى تخالف الشريعة ، وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم الى وجهه ويورثه ذلك مرضا شديدا ، وكيف يحل رمي المال فى البحر ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال • وهل يحل سب مسلم بلا سبب، وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك ، وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج (١) • وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب ، فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف •

أنبأنا ابن ناصر ، نا أبو الفضل السهلكي ، نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ، ثنا أبو الحسن على بن جهضم ، ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن بن علي الدامغاني • قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لا يفارقه ، فقال له ذات يوم : يا أستاذ ، أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئا البتة ، فقال له أبو يزيد : لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة ، قال : ولم يا أستاذ ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك ، فقال له : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب ؟ قال : نعم ، ولكنك لم تقبل ، قال : بلى أقبل واعمل ما تقول ، قال أبو يزيد ، اذهب الساعة الى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس ، وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزا ، واجمع حولك صبيانا وقل بأعلى صوتك : يا صبيان، من يصفعنى صفعة أعطيته جوزة ، وادخل الى سوقك الذى تعظم فيه، فقال: يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا، فقال أبو يزيد : قولك: سبحان الله شرك ، قال : وكيف ؟ قال : لأنك عظمت نفسك فسبحتها ، فقال : يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ، ولكن دلنى على غيره حتى أفعله • فقال أبو يزيد : ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك ، قال : لا أطيق هذا، قال : انك لا تقبل •

قال المصنف رحمه الله : قلت : ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شيء ، بل فيه تحريم ذلك والمنع منه ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام:

---

١ ـ اي تسقط فريضة الحج عن المكلف •

« ليس للمؤمن أن يذل نفسه (١) » • ولقد فاتت الجمعة حذيفة فلقى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص فى قصد الصلاة • وهل طالب الشرع أحدا بمحو أثر النفس ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله (٢) » • كل هذا للابقاء على جاه النفس • ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحا ، فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر •

وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب «الاحياء» عن يحيى بن معاذ انه قال : قلت لابى يزيد : هل سألت الله تعالى المعرفة ؟ فقال : عزت عليه(٣) ان يعرفها سواه ، فقلت : هذا اقرار بالجهل فان كان يشير الى معرفة الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات ، وهذا لا يسع أحدا من المسلمين جهله ، وان تخايل له ان معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به •

وحكى أبو حامد : أن أبا تراب النخشبى قال لمريد له : لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة •

قلت : وهذا فوق الجنون بدرجات •

وحكى أبو حامد الغزالى عن ابن الكريتي انه قال : نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح ، فنشب (٤) فى قلبى ، فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ، ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلا قليلا ، فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى ، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام ، فسكنت نفسى • قال ابو حامد : فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ، ثم من النظر الى النفس • وأرباب الاحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير ، كما فعل هذا فى الحمام •

قلت : سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب «الاحياء» فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل • والعجب منه انه يحكيه

---

١ ـ لم اقف على اسناده • وقد روى القضاعي عن معاذ بن جبل مرفوعا : « ليس من خلق المؤمن الملق » وهو حديث ضعيف كما في « كشف الخفاء » • والملق أن يقول باللسان ما ليس بالقلب • ٢ ـ رواه مالك في « الموطأ » عن زيد بن أسلم مرسلا •

٣ ـ عز علي أن تفعل كذا : أي اشتد وصعب •

٤ ـ أي وقع •

ويستحسنه ، ويسمى أصحابه أرباب أحوال ، وأى حال اقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه ، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى • وقد عدم فى الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها ، وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ، ويسمونه سياسة ، ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفى بالسياسة • وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه : سارق ، وهل يجوز أن يقصد وهن (١) دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الارض ، ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم : هذا فاسق لكان عاصيا بذلك • ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير اذنه • ثم فى نص مذهب أحمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ (٢) وجب قطع يده ، ثم من أرباب الاحوال حتى يعملوا بواقعاتهم ، كلا والله ان لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها الى العمل برأيه لم يقبل منه • فعجبى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب •

أخبرنا ابو بكر بن حبيب ، نـا أبو سعد بن أبى صادق ، نـا ابن باكويه ، قال : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول : كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الايام قطعة لحم ، فأحب أن يحمله الى البيت ، فاستحيا من اهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله الى بيته •

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع ، وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع • وقد ركز فى الطباع ان الانسان لا يحب أن يرى الا متجملا فى ثيابه وانه يستحى من العرى وكشف (٣) الرأس ، والشرع لا ينكر عليه هذا • وما فعله هذا الرجل من الاهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل ، فهو اسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه (٤) •

---

١ ـ اي اضعاف • ٢ ـ يحفظها من الضياع • ٣ ـ كان كشف الرأس مستهجنا في الماضي • ٤ ـ بل لقد سمعت عن أحد الوعاظ في المساجد انه حدث الناس عن شخص كان يحمل حذاء شيخه كلما خلعه ، فلما حدثته نفسه بترك ذلك صار يربط حذاء الشيخ بلحيته تأديبا لنفسه كما زعم •

وقد جاء فى الحديث « الاكل فى السوق دناءة » (١) ، فان الله قد اكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه ، فليس من الدين اذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب ، فقالوا : مقصودنا أن نسقط من اعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها . فقيل له : لم لا تعزل ، فقال : بلغنى ان العزل مكروه ، فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ، ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الارض .

أخبرنا ابن حبيب ، نا ابن ابى صادق ، نا ابن باكويه ، قال : سمعت أبا أحمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف ، سمعت أبا الحسن المدينى، يقول : خرجت مرة من بغداد الى نهر الناشرية ، وكان فى احدى قرى ذلك النهر رجل يميل الى أصحابنا ، فبينا أنا أمشى على شاطىء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة «٢) فجمعتها ، وقلت : هذه لفقير ، ومشيت قليلا ، فسمعت همهمة وتخبيطا فى الماء ، فنظرت فاذا بأبى الحسن النورى قد ألقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر الى ، وقال : يا أبا الحسن ، أما ترى ما يعمل بى !! قد اماتنى موتات ، وقال لى : مالك منا الا الذكر الذى لسائر الناس ، وأخذ يبكى ويقول : ترى ما يفعل بى . فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته الى دار ذلك الرجل ، فأقمنا عنده الى العصر ، ثم خرجنا الى المسجد ، فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الابواب ويصعدون السطوح ، فسألناهم فقالوا : السباع تدخل القرية بالليل ، وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الاجمة على أصول القصب المقطوع ، وهو يصيح ويقول : أين أنت يا سبع . فما شككنا أن الاسد قد افترسه أو قد هلك فى أصول القصب ، فلما كان قريب الصبح جاء فطرح نفسه ، وقد هلكت رجلاه ، فأخذنا بالمنقاش (٣) ما قدرنا عليه ، فبقى أربعين يوما لا يمشى على رجليه ،

---

١ ـ حديث ضعيف رواه الطبراني في « الكبير » عن ابي امامة والخطيب في « التاريخ » عن أبي هريرة . ٢ ـ تصغير خرقة وهي قطعة من الثوب .

٣ ـ ما ينقش به اي يستخرج بواسطته الشوك من الجسم .

فسألته اى شيء كان ذلك الحال ؟ قال : لما ذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعا فقلت : لاطرحنك الى ما تفزعين منه ·

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين · وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين ، وهل هذا الا فعل المجانين ؟ وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى ، وما وجه هذا الانبساط ، وينبغى أن تجف الالسن فى أفواهها هيبة ، ثم ما الذى يريده غير الذكر · ولقد خرج عن الشريعة بخروجه الى السبع ومشيه على القصب المقطوع · وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الانسان نفسه الى سبع ، أترى أراد منها ان يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ، ليس هذا فى طوقها (١) ولا طلبه الشرع منها · ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب ·

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب ، نا على بن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، نا يعقوب الحواط ، نا أبو أحمد المغازى ، قال : رأيت النورى وقد جعل نفسه الى اسفل ورجليه الى فوق وهو يقول : من الخلق أوحشتنى، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى ، ويقول : ما معك الا علم وذكر ، قال : فقلت له : ان رضييت والا فانطح برأسك الحائط ·

اخبرنا محمد بن أبى القاسم ، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى ، نا سهل بن على الخشاب ، نا عبد الله بن على السراج ، قال : سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : حمل أبو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له ، وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحدا واحدا منها الى الماء ويقول : جئتى تريدين أن تخدعينى منك بمثل هذا · قال السراج : فقال بعض الناس : لو انفقها فى سبيل الله كان خيرا له · فقلت : ان كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها ، كما قال الله عز وجل : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق » (ص : ٣٣) ·

قلت : لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل · وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم الا الى رشيد ، وجعله قواما(٢) للادمى · والعقل يشهد بأنه انما خلق للمصالح، فاذا رمى به الانسان

---

١ ـ أي قدرتها ·

٢ ـ قوام الامر : عماده وما يقوم به ·

فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع . واعتذار السراج له أقبح من فعله ، لانه ان كان خاف فتنته فينبغي ان يرميه الى فقير ويتخلص .

ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد ، لانه يحتج بمسح السوق والاعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد ، والفساد لا يجوز في شريعة ، وانما مسح بيده عليها ، وقال : انت فى سبيل الله ، وقد سبق بيان هذا .

وقال ابو نصر السراج فى كتاب « اللمع » : قال أبو جعفر الدراج : خرج أستاذى يوما يتطهر ، فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئا من الفضة مقدار أربعة دراهم ، وكان ليلا وبات لم يأكل شيئا ، فلما رجع قلت له : فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع ، فقال : أخذته ؟ رده ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئا ، فقلت له : بحق معبودك ما أمر هذه القطع ، فقال : لم يرزقنى الله من الدنيا شيئا غيرها ، فأردت أن أوصى ان تدفن معى ، فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله ، وأقول : هذا الذى اعطيتنى من الدنيا .

أخبرنا ابن حبيب ، نا إبن أبى صادق ، نا ابن باكويه ، ثنا عبد الواحد ابن بكر ، قال : سمعت أبا بكر الجوال ، سمعت ابا عبد الله الحصرى يقول : مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ، ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الابواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله : قلت : لو علم هذا الرجل ان المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل ، ولو قدرنا جوازها فأين أنفة النفس من ذل الطلب .

اخبرنا هبة الله بن محمد ، نا الحسن بن على التميمى ، نا أحمد بن جعفر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنى ابى ، ثنا اسماعيل ، ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخي الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم » .

قال أحمد : وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لان يأخذ الرجل

حبلا فيحتطب ، ثم يجيء فيضعه فى السوق فيبيعه ، ثم يستغنى به فينفقه على نفسه ، خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ٠

قلت : انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله ٠ وفى حديث عبدالله ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » والمرة : القوة ٠ وأصلها من شدة فتل الحبل ، يقال : أمررت الحبل : اذا أحكمت فتله ٠ فمعنى المر فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب ٠ قال الشافعى رضى الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب ٠

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز ، نا ابو بكر بن ثابت ، أنبأنا أبو سعد المالينى ، قال : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى : سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول : قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والاخرى على الدار ، فسمعته يقول : لئن أطرفت لارمين بك الى الدار ، فما زال على تلك الحال حتى اصبح ، فلما أصبح قال لى : يا بنى ما سمعت الليلة ذاكرا لله عز وجل الا ديكا يساوى دانقين (١) ٠

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان :

احدهما ـ مخاطرته بنفسه ، فلو غلبه النوم فوقع كان معينا على نفسه ، ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية ٠

والثانى ـ انه منع عينه حظها من النوم ٠ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان لجسدك عليك حقا (٢) ، وان لزوجتك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا » ٠ وقال : « اذا نعس احدكم فليرقد (٣) » ٠ ومر بحبل قد مدته زينب ، فاذا فترت أمسكت به ، فأمر بحله ٠ وقال : « ليصل أحدكم

---

١ ـ الدانق : سدس الدرهم ٠

٢ ـ رواه مسلم ٣ ـ رواه الجماعة الا النسائي عن عائشة مرفوعا : « اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » ٠

نشاطه ، فاذا كسل أو فتر فليقعد (١) » • وقد تقدمت هذه الاحاديث فى كتابنا هذا •

أخبرنا محمد بن ناصر ، نا أبو عبد الله الحميدى ، نا ابو بكر الاردستانى ، ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : سمعت ابا العباس البغدادى يقول : كنا نصحب أبا الحسن بن بكر الشبلى ، ونحن احداث ، فأضافنا ليلة ، فقلنا : بشرط ان لا تدخل علينا أباك ، فقال : لا يدخل ، فدخلنا داره ، فلما أكلنا اذا نحن بالشبلى وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة ـ ثمان شموع ـ ، فجاء وقعد وسطنا ، فاحتشمنا منه ، فقال : يا سادة عدونى فيما بينكم طشت (٢) شموع ، ثم قال : أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه ، فقال غن الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حادى جملى حارا
فقلت احطط بها رحيلى ولا تحفل بمن سارا

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج •

أخبرنا ابن ناصر ، ثنا هبة الله بن عبد الله الواسطى ، نا ابو بكر احمد بن على الحافظ ، نا محمد بن أحمد بن أبى الفوارس ، نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار ، قال : خرج الشبلى يوم عيد ، وقد حلق أشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة ، وهو يقول :

للناس فطر وعيد انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، نا احمد بن على بن ثابت ، نا التنوخى ، ثنا أبو الحسن على بن محمد بن ابى صابر الدلال ، قال : وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه ، فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم ، فقال له : تنح ، فلم يبرح ، فقال له الثانية : تنح يا شيطان عنا ، فلم يبرح ، فقال له فى الثالثة : تنح والا والله خرقت كل ما عليك ، وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة (٣) كثيرة ، فانصرف الفتى فقال الشبلى :

---

١ ـ رواه الجماعة الا الترمذي عن أنس • ٢ ـ الطشت والطست : اناء من نحاس •
٣ ـ أي مبلغا كبيرا •

طرحوا اللحم للبزا (١) ة على ذروتى عدن (٢)
ثم لاموا البـــزاة اذ خلعوا منهـــم الرسن
لو أرادوا صلاحنـــا ستروا وجهـــك الحسن

قال ابن عقيل : من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع ، لانه يقـول : ما خلق الله عز وجل هذا الانسان الا للافتتان به ، وليس كذلك ، وانمـا خلقه للاعتبار والامتحان ، فان الشمس خلقت لتضيء لا لتعبد ٠

وباسناد عن أحمد بن محمد النهاوندى يقول : مات للشبلى ابن ولد كان اسمه عليا ، فجزت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلى لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها ، فقيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا ؟! فقال : جزت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتى على موجود ٠

وباسناد عن عبد الله بن على السراج قال : ربما كان الشبلى يلبس ثيابا مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ٠ قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعـة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار ٠ وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار ، قا لالسراج : انما أحرقـــه بالنار لانه كان يشغله عن ذكر الله ٠

قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ٠

قال السراج : وحكى عنه انه باع عقارا ففرق ثمنه ، وكان له عيـال فلميدفع اليهمشيئا، وسمع قارئايقرأ «اخسئوا فيها» (المؤمنون : ١٠٨) (١) فقال : ليتنى كنت واحدا منهم ٠

قلت : وهذا الرجل ظن أن الذى يكلمهم هو الله تعـــالى ، والله لا يكلمهم ، ثم لو كلمهم لكلمهم كلام اهانة ، فاى شيء هذا حتى يطلب ٠

قال السراج : وقال الشبلى يوما فى مجلسه : ان لله عبادا لو بزقوا على جهنم لاطفؤوها ٠

قلت : وهذا من جنس ما ذكرناه عـن أبى يزيـــد وكلاهما مـــن اناء واحد ٠

وباسناد عن أبى على الدقاق يقول : بلغنى ان الشبلى اكتحل بكذا

---

١ ـ البزاة : الصقور ٠ ٢ ـ عدن : اسم مكان في بلاد العرب ٠ ٣ ـ اي في النار ٠

وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه ، وهو سبب للعمى ، ولا تجوز ادامة السهر لان فيه اسقاط حق النفس . والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه الى هذه الاحوال والافعال .

وباسناد عن أبى عبد الله الرازى قال : كسانى رجل صوفا فرأيت على رأس الشبلى قلنسوة (١) تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسى ، فلما قام الشبلى من مجلسه التفت الى فتبعته ، وكان عادته اذا اراد أن أتبعه يلتفت الى ، فلما دخل داره ، فقال : انزع الصوف فنزعته ، فلفه وطرح القلنسوة عليه ، ودعا بنار فأحرقهما .

قلت : وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلى أخذ خمسين دينارا فرماها فى دجلة ، وقال : ما أعزك أحد الا أذله الله . وأنا أتعجب من ابى حامد اكثر من تعجبى من الشبلى ، لانه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الانكار ، فأين اثر الفقه .

وباسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى ، قال : حدثنى من كان مجالسا لبنان انه قال : تعذر (٢) على قوتى يوما ولحقنى ضرورة ، فرأيت قطعة ذهب مطرحة (٣) فى الطريق فأردت أخذها ، فقلت : لقطة (٤) فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذى يروى « لو ان الدنيا كانت دما عبيطا لكان قوت المسلم منها حلالا » (٥) ، فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد ، فاذا انا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد : متى يجد العبد حقيقة الصدق ؟ فقال : اذا رمى القطعة من الشدق ، فأخرجتها من فمى ورميتها .

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء ان رميه اياها لا يجوز ، والعجب انه رماها بقول صبى لا يدرى ما قال . وقد حكى ابو حامد الغزالى ، أن شقيقا البلخى جاء الى ابى القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شىء مصرور ، فقال له : اى شىء معك ؟ قال : لوزات دفعها الى اخ لى ،

---

١ ـ القلنسوة : نوع من ملابس الراس .

٢ ـ اي تعسر . ٣ ـ أي ملقاة . ٤ ـ اللقطة : الشيء المتروك لا يعرف له مالك .

٥ ـ قال الزركشي : لا أصل له . وقال النجم : هو من كلام الفضيل بن عياض .

وَقال : أحب أن تفطر عليها ، فقال : يا شقيق وأنت تحدثك نفسك أن تبقى الى الليل ؟ لا كلمتك ابدا ، فأغلق الباب فى وجهى ودخل ٠

قال المصنف رحمه الله : انظروا الى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلما على فعل جائز ، بل مندوب ، لان الانسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه ، واستعداد الشىء قبل مجىء وقته حزم ، ولذلك قال الله عز وجل : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (الانفال : ٦٠) ٠ وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لازواجه قوت سنة (١) ، وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وادخر الباقى ولم ينكر عليه ، فالجهل بالعلم افسد هؤلاء الزهاد ٠

وباسناد عن احمد بن اسحاق العماني ، قال : رأيت بالهند شيخا ، وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض احدى عينيه ، فقلت له : يا صابر ما بلغ من صبرك؟ قال : انى هويت النظر الى زينة الدنيا فلم أحب ان أشتفى (٢) منها ، فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ٠

وقد حكى لنا عن آخر ، انه قير أحد عينيه ، وقال : النظر الى الدنيا بعينين اسراف ٠

قلت : كان قصده ان ينظر الى الدنيا بفرد عين ، ونحن نسأل الله سلامة العقول ٠

وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى انه كان يقول : هذه الدولة (٣) ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء ٠ وقال : كنت أخدم فى الخلاء ، فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه ، قالت لى نفسى : اذهبت عمرك فى هذا ؟ فقلت : أنت تأنفين من خدمة عباد الله ، فوسعت رأس البئر ورميت نفسى فيها ، وجعلت أدخل النجاسة فى فمى ، فجاؤوا وأخرجونى وغسلونى ٠

قلت : انظروا الى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الاصحاب خلفه دولة ، واعتقد ان تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وادخالها

---

١ ـ رواه مسلم في « الجهاد » باب حكم الفيء ٠ ٢ ـ اشتفى بكذا : نال به الشفاء ٠

٣ ـ لعلها الدالة بمعنى الشهرة ٠ اما الدولة فهو ما يتداول فيكون لهذا مرة ولهذا مرة ٠

فى فيه ، وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الاصحاب ، وهذا المذى فعله معصية توجب العقوبة • وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم •

وباسناد عن محمد بن على الكتانى يقول : دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره ، فجهدنا حتى أخذنا مرقعته ، قال السوسى : أخذنا منها قملة فوزناها ، فاذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته •

قلت : انظروا الى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لاجل تأذيه من القمل ، وجبر (١) الحظر بالفدية ، واجهل من هذا من اعتقد هذا رياضته •

وباسناد عن أبى عبد الله بن مفلح يقول : كان عندنا فقير صوفى فى الجامع ، فجاع مرة جوعا شديدا ، فقال : يا رب اما ان تطعمنى واما أن ترمينى بشرف المسجد ، فجاء غراب فجلس على الشرف(٢) ، فوقعت عليه من تحت رجله آجرة ، فجرى دمه وكان يمسح الدم ، ويقول : ايش تبالى بقتل العالم •

قلت : قتل الله هذا ، ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط ، هلا قام الى الكسب أو الى الكدية (٣) •

وباسناد عن غلام خليل ، قال : رأيت فقيرا يعدو ويلتفت ويقول : أشهدكم على الله هو ذا يقتلنى ، وسقط ميتا •

فصل

وفى الصوفية قوم يسمون الملانفية ، اقتحموا الذنوب ، وقالوا : مقصودنا ان نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه ، وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع • قال : وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه ، وفعلهم هذا من أقبح الاشياء ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » (٤) • وقال فى حق ماعز : « هلا سترته

---

١ ـ أي جعل الفدية كفارة ٢ ـ مفردها شرفة وهي ما اشرف من البناء •

٣ ـ الكدية : الاستعطاء • ٤ ـ رواه مالك عن زيد بن اسلم مرسلا وقد تقدم قريبا •

بثوبك يا هذا » (١) • واجتاز على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له : « انها صفية » (٢) • وقد علم الناس التجافى عما يوجب سوء الظن ، فــان المؤمنين شهداء الله فى الارض • وخرج حذيفة الى الجمعة ففاتته ، فرأى الناس وهم راجعـون ، فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به ، وقد قدمنا هذه •

وقال ابو بكر الصديق لرجل قال له :انى لمست مرأة وقبلتهـا ، فقال : تب الى الله ولا تحدث أحدا بذلك • وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : انى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله ، قال : « الم تصل معنا ؟ » قال : بلى ، يا رسول الله ، قال « الم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما » (٣) وقال رجل لبعض الصحابة : انى فعلت كذا وكذا من الذنوب ، فقال : « لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك » فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس •

فصــل

وقد اندس فى الصوفية أهل الاباحة فتشبهوا بهم حفظا لدمائهم ، وهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول ـ كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعـالى ، ومنهم من يقربه ولكن يجحد النبوة يرى أن ما جاء به الانبياء محـال . وهؤلاء لما ارادوا أمراح (٤) أنفسهم في شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به

---

١ ـ رواه ابو داود (٤٣٧٧) والنسائي عن يزيد بن نعيم عن أبيه « ان ماعزا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاقر عنده اربع مرات فأمر برجمه ، وقال نهزال : لو سترته بثوبك كان خيرا لك » • قال ابن المكندر ان هزالا امر ماعزا ان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره •

٢ ـ رواه الشيخان وابو داود عن صفية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فاتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت ، فقام معي ليقلبني (أي يردني الى بيتي) ، فمر رجلان من الانصار ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم اسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «على رسلكما انها صفيةبنت حيي» ، قالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : « ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم ، فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا » ـ أو قال شرا •

٣ ـ متفق عليه بمعناه • ٤ ـ أي ترك •

دماءهم ، ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف ، فدخلوا فيه ظاهـــرا وهم فى الباطن كفرة ، وليس لهؤلاء الا السيف ، لعنهم الله ·

والقسم الثانى ــ قوم يقرون بالاسلام الا أنهـم ينقسمون قسمين : القسم الاول يقلدون فى افعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهـة . فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه ·

القسم الثالث ــ قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها ·

والاصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظـر فى مذاهب الناس لبس عليهم ابليس ،فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج ، وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم ، وانما الظفر به رزق يساق الى العبد لا بالطلب ، فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العـــلم ، فصاروا يبغضون اسم العلم ، كما يبغض الرافضى اسم ابى بكر وعمر ، ويقولون : العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم ، فان أنكر عليهم عالم ، قالوا لاتباعهم : هذا موافق لنا فى الباطن وانما يظهر ضد ما نحن فيـــه للعوام الضعاف العقول ، فان جد فى خلافهم قالوا : هذا ابله مقيد بقيـود الشريعة محجوب عن المقصود · ثم عملوا على شبهات وقعت لهـــم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم ، فقد بطل انكارهم العلم ·

وأنا أذكـــر شبهاتهم وأكشفها ان شاء الله تعـــالى وهى ست شبهات :

الشبهة الاولى ــ انهم قالوا : اذا كانت الامور مقدرة فى القـــدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، والاعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الاعمال ، فلا وجه لا تعاب النفس فى عمل ولا نكفها عـــن ملذة (١) ، لان المكتوب فى القدر واقع لا محالة ·

والجواب عن هذه الشبهة ، أن يقال لهم : هذا رد لجميع الشـــرائع وابطال لجميع احكام الكتب وتبكيت للانبياء كلهم فيما جاءوا به ، لانه اذا قال فى القرآن: أن أقيموا الصلاة ، قال القائل: لماذا ؟ ان كنت سعيدا فمصيرى الى السعادة ، وان كنت شقيا ، فمصيرى الى الشقاوة ، فما تنفعنى اقامـة

---

١ ــ الملذة : الشهوة ·

الصلاة . وكذلك اذا قال : ولا تقربوا الزنا، يقول القائل : لماذا أمنع نفسي ملذوذهاوالسعادة والشقاوة مقتضيتان قدفرغ منهما. وكان لفرعون ان يقول لموسى حين قال له : «هل لك الى ان تزكى» (النازعات : ١٨) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول : ما فائدة أرسالك الرسل وسيجرى ما قدرته ، وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهـــذا كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم على اصحابه حين قالوا : الا نتكل ، فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (١)

واعلم ان للادمى كسبا هو اختياره ، فعليه يقع الثواب والعقـــاب ، فاذا خالف تبين لنا أن الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه ، وانمـــا يعاقبه على خلافه لا على قضائه ، ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر . وانما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل، لان الامر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن ، وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف مـا لا نعلمه من المقضى .

وقوله : « فكل ميسر لما خلق له » اشارة الى اسباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه ، وحبه ، وفهمه ، ومن حكم له بالجهـل نزع حب العلم من قلبه ، وكذلك من قضى بولد يسر له النكاح ، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له .

الشبهة الثانية ـ انهم قالوا : ان الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة ، فـــلا ينبغى ان نتعب أنفسنا فـــى غير فائدة .

وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولا بالجواب الاول ونقول : هذا رد على الشرع فيما أمر به ، فكأنا قلنا للرسول وللمرسل : لا فـــائدة فيمـا أمرتنا به ، ثم نتكلم عن الشبهة فنقول : من يتوهم أن الله جل وعـــلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضا ، فما عرف الله جـل جلاله ، لانه مقدس عن الاعراض والاغراض ، ومن انتفاع أو ضرر ، وانما نفع الاعمال تعود على أنفسنا ، كما قال عز وجل : « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه» (العنكبوت : ٦) «ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه» (فاطر:١٨) وانما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب ، وكما ان للبدن

---

١ ـ متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه .

مصالح من الاغذية ومضار ، فللنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل ، فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح • هذا مذهب من علل ، وأكثر العلماء قالوا : افعاله لا تعلل •

وجواب آخر ، وهو انه اذا كان غنيا عن أعمالنا كان غنيا عن معرفتنا له، وقد أوجب علينا معرفته ، فكذلك أوجب طاعته ، فينبغي أن ننظر الى أمره لا الى الغرض بأمره •

الشبهة الثالثة ـ قالوا: قد ثبتت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا ، فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها •

فالجواب كالجواب الاول، لأن هذا القول يتضمن اطراح ما جاء به الرسل من الوعيد ، وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك ، وبالغت فى ذكر عقابه ، ومما يكشف التلبيس فى هذا أن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ، ونحن نرى الاولياء والانبياء يبتلون بالامراض والجوع ويؤاخذون بالزلل ، وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة : نفسى نفسى ، والكليم يقول : نفسى نفسى، وهذا عمر رضى الله عنه يقول : الويل لعمر ان لم يغفر له •

واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها ، فمن أسبابها التوبة من الزلل ، كما أن من رجا أن يحصد زرع ، وقد قال الله عز وجل : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » (البقرة : ٢١٨) يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق • وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الامانى (١) »• وقد قال معروف الكرخي : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق •

واعلم أنه ليس فى الافعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه ، إنما فى افعاله ما يمنع اليأس من رحمته ، وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذه وانتقامه، فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غدا هكذا •

---

١ ـ حديث ضعيف رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم قال ابن طاهر : مدار الحديث عليه ، وهو ضعيف جدا •

الشبهة الرابعة ـ أن قوما منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية ، فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء، قالوا : ما لنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحصل لبشر ، فتركوا العمل ٠

وكشف هذا التلبيس انهم ظنوا أن المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية ، مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا مراد الشرع ، ولا يتصور ازالة ما فى الطبع بالرياضة ، وانما خلقت الشهوات لفائدة ، اذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل ، ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه ، وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لانه يوصل الى الشهوات ٠ وانما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها الى الاعتدال فيه ٠ وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى ، وانما تنتهى عما تطلبه ، ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان الى نهيها ، وقد قال الله عز وجل: « والكاظمين الغيظ » (آل عمران : ١٣٤) وما قال : والفاقدين الغيظ٠ والكظم : رد الغيظ ، يقال : كظم البعير على جرته (١) اذا ردها فى حلقه، فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ، فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال، وانما المقصود بالرياضة كسر شرة (٢) شهوة النفس والغضب ، لا ازالة أصلها ، والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه ، وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى ٠

الشبهة الخامسة ـ ان قوما منهم داموا على الرياضة مدة، فرأوا أنهم قد تجوهروا (٣) ، فقالوا : لا نبالى الان ما عملنا ، وانما الاوامر والنواهى رسوم للعوام ، ولو تجوهروا لسقطت عنهم ٠ قالوا : وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة ، والمراد منها ضبط العوام ، ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف ، لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة ٠ وهؤلاء قد رأوا أن من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم ، حتى انهم قالوا: ان رتبة الكمال لا تحصل الا لمن رأى أهله مع أجنبى فلم يقشعر جلده ، فان اقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ، ولم يكمل بعد ، اذ لو كمل لماتت نفسه ، فسموا الغيرة نفسا، وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الايمان ٠

---

١ ـ الجرة : ما يخرج البعير من بطنه ليمضغه ٠ ٢ شرة الشهوة : حدتها ونشاطها ٠
٣ ـ من الجوهر ٠

وقد ذكر ابن جرير فى «تاريخه» ان الريونـدية كـانوا يستحلون الحرمات ، فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته ٠

وكشف هذه الشبهة انه ما دامت الاشباح قائمة فلا سبيل الى تـرك الرسوم الظاهرة من التعبد ، فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس ، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع ، الا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد ، فأقل شيء يحركه ، كالمدرة (١) تقع فى الماء الذى تحته حمأة (٢) ، وما مثل هذا الطبع الا كالماء يجرى بسفينـة النفس والعقـل مداد، ولو أن المداد مد عشرين فرسخا ثم أهمل عادت السفينة تنحـدر ، ومن ادعى تغير طبعه كذب، ومن قال : انى لا أنظر الى المستحسنات بشهوة لم يصدق٠ كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا ، فأين تأثير العقل والهـوى يقودهم ، وقد رأينا أقواما منهم يصافحون النساء ، وقـد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم لا يصافح المرأة (٣) ٠ وبلغنا عن جماعـة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ، ثم يدعون السلامة ، وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات ، فأين السلامة من اثم الخلوة المحرمة، والنظر الممنوع منه ، وأين الخلاص من جولان الفكر الردىء ٠ وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالاخر ، يشير الى الشيخ والعجـوز ٠

وباسناد عن ابن شاهين ، قال : وان من الصوفية قوما أباحوا الفروج بادعاء الاخوة ، فيقول أحدهم للمرأة : تؤاخينى عـلى ترك الاعتراض فيما بيننـا ٠

قلت: وقد روى لنا أبو عبدالله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب « رياضة النفوس » قال : روى لنا أن سهل بن علي المروزى كان يقول لامرأة اخيه ـ وهى معه فى الدار ـ : استترى منى زمانا ، ثم قـال لها : كوني كيف شئت ٠ قال الترمذى : وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أمـا مـوت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمى ، وانما يضعف والانسان قد يضعـف عن الجماع ولكنه يشتهي اللمس والنظر ٠ ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه

---

١ ـ المدرة : الطينة ٠ ٢ ـ الحمأة : الطين الاسود ٠

٣ ـ رواه احمد عن ابن عمرو قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء في البيعة » قال الهيثمي : اسناده حسن ٠

أليس نهى الشرع عن النظر باق وهو عام ؟ ٠

وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: قيل لابى نصر النصر أباذى : ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول : أنا معصوم فى رؤيتهن ، فقال: ما دامت الاشباح قائمة فان الامر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطب به، ولن يجترئ على الشبهات الا من يتعرض للمحرمات٠ وقد قال أبو على الروذ بارى وسئل عمن يقول : وصلت الى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال ، فقال : قد وصل ولكن الى سقر (١) ٠

وباسناد عن الجريرى يقول : سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة ، فقال الرجل : أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل ، فقال الجنيد : ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال ، وهذه عندى عظيمة ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا، وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم انقص من أعمال البر زرة، الا أن يحال بى دونها ، لانه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى ٠

وباسناد عن أبي محمد المرتعش يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ٠

الشبهة السادسة ــ ان أقواما بالغوا فى الرياضة ، فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة، أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا الى المقصود ، وقد وصلنا فما يضرنا شيء ، ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير، فتركوا الاعمال الا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد (٢) ، ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق ، وجوابهم هو جواب الذين قبلهم٠

قال ابن عقيل : اعلم أن الناس شردوا (٣) على الله عز وجل وبعدوا عن وضبع الشرع الى أوضاعهم المخترعة ٠ فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن

---

١ ـ اي جهنم ٠

٢ ـ الحب ويقصد به هنا التمايل والطرب ٠

٣ ـ اي خرجوا عن طاعته ٠

م (٢٧)

العبادة ، وجعلوا تلك وسائل على زعمهم . ومنهم من وحد الا أنه أسقط العبادات ، وقال : هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف ، وهذا نوع شرك، لان الله عز وجل لما علم أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال ، وبعيد أن يتقي من لم يعرف خوف النار ، لان الخلق قد عرفوا قدر لذعها ، وقال لأهل المعرفة: « ويحذركم الله نفسه » (آل عمران : ٢٨) واعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الانس بالامثال ، ووضع الجهات والامكنة والابنية والحجارة للنسك (١) والاستقبال ، فأبان عن حقائق الايمان به فقال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » (البقرة : ١٧٧) وقال : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » (الحج : ٣٧) فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وباسناد عن أبى القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه، قال: أخبرنى جماعة من أهل العلم ، أن بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك ، يجتمعون اليه ، فيتكلم على الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقته ألوف من الناس ، وأنه فاره (٢) فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس الى هذا المذهب ، قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية ، فاجتمع النساء الصوفيات ـ وهن خلق كثير ـ ولم يختلط بمأتمهن غيرهن . فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه ـ وهم عدد كثير الى الدار ـ وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية الى أن قالت : قد تعزيت ، فقال لها : ها هنا غير ، فقالت : لا غير ، قال : فما معنى الزام لنفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الانوار ، وتصفو الارواح ويقع الاخلافات ، وتنزل البركات . قال : فقالت النساء : اذا شئت ، قال : فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم ، فلما كان سحر خرجوا .

قال المحسن : قوله هاهنا غير ، أى هاهنا غير موافق المذهب ، فقالت : لا غير أى ليس مخالف ، وقوله : نترك الامتزاج كناية عن الممازجة فى الوطء . وقوله : لتلتقى الانوار عندهم أن فى كل جسم نورا الهيا . وقوله: الاخلافات أى يكون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن .

قال المحسن : وهذا عندى عظيم ، ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون

---

١ ـ نسك البيت : أتاه . ٢ ـ ماهر .

عن الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الاسلام •
قال : وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة ، فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط ، وشرد جموعهم ، فكفوا •

فصـــــل

ولما قل علم الصوفية بالشرع ، فصدر منهم من الافعال والاقوال مـا لا يحل مثل ما قد ذكرنا ، ثم تشبه بهم من ليس منهم ، وتسمي باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا ، وكان الصالح منهم نادرا ، ذمهم خـلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخهم •

وباسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى ، قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا ، فقلت له: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا• قال : ويحك ومسلمين هم ؟ قال : فضحك حتى استلقى ، قـال : فقال لى بعض جلسائه : ياهذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك،ما رأيناه ضاحكا قـط •

وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى ، قال : سمعت الشافعي يقول : لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق • وعنه أيضا أنه قال : ما لزم احد الصوفية أربعين يوما ، فعـاد عقله اليه أبـــدا، وأنشد الشافعي :

ودعوا الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف (١)

وباسناد عن أبي حاتم ، قال : حدثنا أحمد بن أبى الحوارى، قال: قال أبو سليمان : ما رأيت صوفيا فيه خير الا واحدا عبد الله بن مرزوق ، قال : وأنا أرق (٢) لهم •

وباسناد عن يونس بن عبد الاعـلى يقول : ما رأيت صوفيا عاقلا الا ادريس الخولانى ، قال السلمى : هو مصرى من قدمـاء مشايخهم قبل ذى النـون •

وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى ، يقـول : صحبت الصوفية ثلاثين

---

١ ـ الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، والجمع أحقاف وحقوف وحقاف وحققة •

٢ ـ رق له : رحمه •

سنة ما رأيت فيهم عاقلا الا مسلم الخواص .

وباسناد عن أحمد بن أبي الحوارى يقول: حدثنا وكيع ، قال : سمعت سفيان ، يقول : سمعت عاصما يقول : ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق (١) الا أنهم يستتترون بالحديث .

وباسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لي وكيع : تركت حديث هشام ؟ قلت : صحبت قوما من الصوفية وكنت بهم معجبا ، فقالوا : ان لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم ، قال : ان فيهم حمقا .

وباسناد عن يحيى بن يحيى ، قال : الخوارج أحب الي من الصوفية.
وباسناد عن يحيى بن معاذ يقول : اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس : العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين .

وقد ذكرنا في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب : ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به ، وببسطام على أبى يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم احمد بن ابى الحوارى وسهل التسترى . وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة، ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ، ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى ، قال: جلس الفقهاء فى بعض الاربطة للعزاء بفقيه مات ، فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئا على يدى حتى وقف بباب الرباط ، وقال : يعز علي لو رآني بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وانا أدخل هذا الرباط ، قلت: على هذا كان أشياخنا . فأما فى زماننا هذا ، فقد اصطلح الذئب والغنم .

قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم من فعلها . منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة ، وهي الاربطة ، فانقطعوا اليها عن الجماعات فى المساجد ، فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات ، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش ، وبدنوا (٢) أنفسهم بدن البهائم للاكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً، والمشاوذ (٣) بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون (٤) بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس ، فما دخلوا بيتا فيه نسوة فخرجوا الا عن فساد قلوب النسوة

---

١ ـ الحماق : مرض يشبه الجدري ويقصد هنا الحمق اي قلة العقل او فساده .
٢ ـ بدن : عظم بدنه بكثرة لحمه . ٣ ـ المشوذ : العمامة . ٤ ـ كلمة اعجمية .

على أزواجهن ، ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبى الاموال ، كالعداد (١) والاجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة الاجانب ينصبون لذلك حجة الباسهن الخرقة ، ويستحلون ، بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب : وجدا ، والدعوة : وقتا ، والغناء : قولا ، واقتسام ثياب الناس : حكما ، ولا يخرجون عن بيت دعوا اليه الا عن الزام دعوة أخرى ، يقولون : انها وجبت ، واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق · ويعتقدون ان الغناء بالقضبان (٢) قربة ، وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة (٣) مجاب ، اعتقادا منهم انه قربة، وهذا كفر أيضا، لان من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافرا ، والناس بين تحريمه وكراهيته ·

ويسلمون انفسهم الى شيوخهم ، فان عولوا (٤) الى مرتبة شيخه قيل : الشيخ لا يعترض عليه · فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الاقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحا ، وفى الافعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقا · فان قبل أمردا قيل : رحمة ، وان خلا بأجنبية قيل : بنته وقد لبست الخرقة ، وان قسم ثوبا على غير أربابه من غير رضى مالكه قيل : حكم الخرقة · وليس لنا شيخ نسلم اليه حاله ، اذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف ، وان المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم ، والضرب بدل من الخطاب · ولو كان لنا شيخ يسلم اليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه · وقد قال : ان اعوججت فقومونى ، ولم يقل : فسلموا الى · ثم انظر الى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه ، فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد أمنا (٥) وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل (٦) · وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ (٧) · ثم ان الله تعالى تقول له الملائكة · « اتجعل

---

١ ـ المكلف بعد المواشي ·

٢ ـ ٣ ـ آلات لهو وطرب ·

٤ ـ قوله : فان عولوا الى قوله : في الشريعة فسقا غير منتظم ، والمعنى غير خفي على المتأمل ٥ ـ رواه الجماعة الا البخاري وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته » · ٦ ـ رواه الشيخان · ٧ ـ في « صحيح مسلم » بمعناه

فيها » (البقرة : ٣٠) • ويقول موسى : « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » (الاعراف : ١٥٥) •

انما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطنه سلكوها على الاتباع والمريدين • كما قال تعالى : « فاستخف قومه فأطاعوه » (الزخرف : ٥٤) • ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد اذا عرف لم يضره ما فعل • وهذه نهاية الزندقة ، لان الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي اليها العارف الا ويضيق عليه التكليف ، كأحوال الانبياء يضايقون في الصغائر • فالله الله في الاصغاء الى هؤلاء الفراغ (١) الخالين من الاثبات • وانما هم زنادقة جمعوا بين مدارع (٢) العمال مرقعات وصوف ، وبين أعمال الخلعاء المحلدة أكل وشرب ورقص وسماع واهمال لاحكام الشرع • ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة ، فجاؤوا بوضع أهل الخلاعة •

فأول ما وضعوا أسماء ، وقالوا : حقيقة وشريعة • وهذا قبيح لان الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق • فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من القاء الشياطين • وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع • وان سمعوا أحدا يروى حديثا قالوا : مساكين ، أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت • فمن قال : حدثني أبي عن جدي ، قلت : حدثني قلبي عن ربي فهلكوا واهلكوا بهذه الخرافات قلوب الاغمار(٣)، وأنفقت عليهم لاجلها الاموال• لان الفقهاء كالاطباء والنفقة في ثمن الدواء صعبة ، والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات •

وبعضهم الفقهاء أكبر الزندقة ، لان الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم • والحق يثقل كما تثقل الزكاة • وما أخف البذل على المغنيات واعطاء الشعراء على المدائح • وكذلك بغضهم لاصحاب الحديث ، وقد أبدلوا ازالة العقل بالخمر ، بشيء سموه الحشيش والمعجون ، والغناء المحرم سموه : السماع والوجد ، والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام ، كفى الله الشريعة هذه الطائفة الجامعة بين دهمسة (٤) في اللبس وطيبة

---

١ ـ من الفراغ •   ٢ ـ المدرعة : الجبة •

٣ ـ الاغمار ـ من لم يجربوا الامور •

٤ ـ الدهمسة : السرار وأمر مدهمس : مستور •

فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى اهمال التكليف وهجران الشرع ، ولذلك خفوا على القلوب ، ولا دلالة على انهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع أرباب الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل : فان قال قائل : هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق ، قال : فقلت لهم : لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش ، والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ، ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة (١) المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع ، وهل يخدع الناس الا بطريقة او لسان ، فاذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فبماذا يجتذبون به قلوب أرباب الاموال .

واعلم ان حمل التكليف صعب ، ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ، ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه ، وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين ، فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول ، وهؤلاء يفسدون الاعمال ويهدمون قوانين الاديان ، يحبون البطالات وسماع الاصوات ، وما كان السلف كذلك بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم ، وفى الباب الآخر ارباب جد . قال : ونصيحتى الى اخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم الى خرافات المتصوفين ، بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية ، والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة ، وقد خبرت طريقة الفريقين ، فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفية ،لان المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير الى اسقاط السفارات والنبوات . فاذا قالوا عن اصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتا عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الاخذ به . ومن قال : حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح انه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ، ومن رأيناه يزرى (٢) على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربى أن يكون

---

١ ـ الدماثة : السهولة .

٢ ـ ازرى : عاب .

ذلك من القاء الشياطين ، فقد قال الله عز وجل : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم » (الانعام : ١٢١) وهذا هو الظاهر ، لانه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى في قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس ، وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطرا • قال : والخوارج على الشريعة كثير ، الا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظا لاصلها ، وبالفقهاء حفظا لمعانيها ، وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأسا يرتفع •

قال ابن عقيل : والناس يقولون : اذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية ، قال : وأنا أقول وخراب دينه لان الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الاجانب ، فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات ، واستخلاء (١) بعض الاشخاص ببعض فصارت الدعوة عرسا للشخصين ، فلا يخرج الا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع الى طبع وتتغير المرأة على زوجها ، فان طابت نفس الزوج سمى بالديوث ، وان حبسها طلبت الفرقة الى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع • ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته • ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا : هذا من مقامات الرجال ، وجرت على هذه السنون ، وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب • هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه ، فلقد كان ناقدا مجيدا متلمحا (٢) فقيها •

أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغونى ، قال : أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكرى ، قالا : أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية :

تأملت اختبر المدعين بين الموالى وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار الى نفسه وأقسم ما فوقها من مزيد
وبعض الى خرقة رقعت وبعض الى ركوة(٣) من جلود

---

١ ـ استخلاه : طلب ان يخلو به • واستخلى به خلابه •

٢ ـ من اللمح وهو البصر بالاشياء •

٣ ـ الركوة : اناء صغير لشرب الماء •

وآخر يعبـــد أهـــواءه وما عابد للهـوى بالرشيد
ومجتهد وقتـــه زيـــه فان فات بات بليل عنيـد
وذو كلف باستماع السما ع بين البسيط وبين النشيد
يئن اذا أومضت رنـــة ويزأر منهـا زئير الاسود
يخرق خلقانه (١) عـامدا ليعتاض منها بثوب جـديد
ويرمى بهيكله في السعير (٢) لقلع الثريد وبلع العصيد (٣)
فيا للرجال ألا تعجبـون لشيطان اخواننا ذ المزيـد
يخبطهم بفنون الجنـــون وما للمجانين غير القيـود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال وما عرفوه بغـير الجحود
ولولا الوفاء لاهل الوفـــاء سلقتهم بلسان حديد (٤)
فمالى يطالبنى بالوصـــا ل من ليس يعلم ما في الصدود
أضن بودى ويسخو بـــه وقد كنت اسخو به للودود
ولكن اذا لم أجـد صاحبا يسر صديقي ويشجي (٥) الحسود
عطفت بودى منى اليـــه فغاب نحوسي وآب (٦) السعود
فما بال قومى على جهلهم بعز الفريد وأنس الوحيـد
اذا أبصروني بكوا رحمـة ونيران أحقادهم فى وقـود
لانى بعدت عـــن المدعين ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ ، نا أبو الحسين بن عبد الجبـــار الصيرفى ، نا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ، قال : أنشدنا أبـــو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي ، قال : أنشدنا الحسن بن عـــلي ابن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخيـر بحمـل الركاء (٧) مبتهـــله
اعتزلوا الناس فى جوامعهم سألت عنهــم فقيل متكله
صوفية للقضـــاء صابرة ساكنة تحت حكمه بزله (٨)
فقلت اذ ذاك هـؤلاء هم الـ ناس ومن دون هؤلاء رزلـه
فلم أزل خادما لهم زمنــا حتى تبينت أنهـــم سفله

---

١ ـ الثوب الخلق : البالي والجمع اخلاق وخلقان .
٢ ـ النار . ٣ ـ العصيدة : دقيق مطبوخ بالسمن . ٤ ـ قاطع . ٥ ـ يحزن .
٦ ـ رجع . ٧ ـ جمع ركوة وهي اناء من جلد يشرب فيه .
٨ ـ بزل رأيه : ابتدعه .

ان أكلوا كان أكلهم سرفا — أو لبسوا كان شهرة مثله(١)
سل شيخهم والكبير مختبرا — عن فرضه لا تخاله عقله
وسأله عن شادن (٢) غنج — مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم اذا جلسوا — كعلم راعى الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ — برهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كي يرو اصلحا — وهم شرار الذباب والحفلة(٣)
وجانبوا الكسب والمعاش لكي — يستأصلوا الناس شرها أكله(٤)
وليس من عفة ولا دعة — لكن تعجيل راحة العطلة
فقل لمن مال باختداعهم — اليهم تب فانهم بطله
واستغفر الله من كلامهم — ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا — صار التصوف مخرقه (٥)
صار التصوف صيحة — وتواجدا ومطبقه (٦)
كذبتك نفسك ليس ذا — سنن الطريق الملحقه (٧)
حتى تكون بعين من — منه العيون المحدقه
تجرى عليك صروفه — وهموم سرك مطرقه

أنشدنا محمد بن ناصر ، قال : أنشدنا أبو زكريا التبريزى لابى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم — كذبوك ما صافوا ولكن صافوا(٨)
شجر الخلاف(٩) قلوبهم ويحلها — غرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر، أنشدنا ابو بكر، قال : انشدنا ابو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شرجيل — فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه — كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

---

١ ـ المثلة : العبرة ٠ ٢ ـ ولد الظبية ٠ ٣ ـ الحفالة : الرذل من كل شيء ٠
٤ ـ الاكلة : الكثيرو الاكل ٠ ٥ ـ المخرقة : الكذب والاختلاق ٠
٦ ـ لعلها من الطبقة وهي الفخ او من المطبقات وهي الدواهي ٠
٧ ـ من لحق به اذا ادركه ٠ ٨ ـ صاف عن الهدف : مال ٠ وصاف الاولى من المصافاة والاخلاص ٠ ٩ ـ الخلاف : نوع من الصفصاف ٠

الباب الحادي عشر

في ذكر تلبيس ابليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الانسان على قدر قلة العلم ، فكلما قل علم الانسان كثر تمكن ابليس منه ، وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوءا أو نورا في السماء ، فان كان في رمضان قال : رأيت ليلة القدر ، وان كان في غيره ، قال : قد فتحت لي أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة ، وربما كان اتفاقا وربما كان اختبارا وربما كان من خدع ابليس . والعاقل لا يساكن (١) شيئا من هذا ولو كان كرامة .

وقد ذكرنا في باب الزهاد عن مالك بن دينار وحبيب العجمي انهما قالا : ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز .

ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة ، فروى عن عبدالوهاب بن نجدة الحوطي ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان ، قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لابي الجلاس ، وكان له أب بالغوطة تعرض له ابليس ، وكان متعبدا زاهدا لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة ، وكان اذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون الى كلام أحسن من كلامه . قال : فكتب الى أبيه يا بتاه عجل علي فاني قد رأيت أشياء أتخوف منها ان تكون من الشيطان ، قال : فزاده أبوه غيا (٢) ، وكتب اليه : يا بني ، أقبل على ما امرت به ان الله يقول : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم » (الشعراء : ٢٢٢) . ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء الى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى ما يرضى قبل والا كتم عليه . وكان يريهم الاعاجيب ، كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرجهم الى دير المران فيريهم رجالا على

---

١ ـ ساكنه في دار واحدة :سكنها واياه .

٢ ـ ضلالا .

خيل . فتبعه بشر كثير ، وفشى الأمر وكثر اصحابه حتى وصل خبره الى القاسم بن مخيمرة ، فقال له : انى نبى ، فقال له القاسم : كذبت يا عدو الله، فقال له أبو ادريس : بئس ما صنعت اذ لم تلن له حتى تأخذه ، الآن يفر ، وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره ، فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه .

وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة (١) ، فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه ، وخرج الحارث ، حتى أتى بيت المقدس واختفى ، وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه ، وكان رجل من أهل البصرة قد اتى بيت المقدس فأدخل على الحارث ، فأخذ فى التحميد ، وأخبره بأمره وأنه نبى مبعوث مرسل ، فقال : ان كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر ، قال . فانظر . فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد (٢) عليه كلامه ، فقال : ان كلامك لحسن وقد وقع فى قلبى وقد آمنت بك ، وهذا هو الدين المستقيم فأمر أن لا يحجب عنه متى اراد الدخول عليه ، فاقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له : أئذن لى ، فقال : الى اين ، قال : الى البصرة فأكون أول داع لك بها.

قال : فأذن له فخرج مسرعا الى عبد الملك ، وهو بالصنيبرة ، فلما دنا من سرادقه صاح : النصيحة النصيحة ، فقال أهل العسكر : وما نصيحتك ؟! قال : نصيحة لامير المؤمنين ، فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه ، فدخل وعنده أصحابه ، قال : فصاح : النصيحة، قال : وما نصيحتك ؟ قال : أخلنى (١) لا يكون عندك أحد ، فأخرج من فى البيت ، وقال له : ادننى، قال : ادن فدنا وعبد الملك على السرير ، قال : ما عندك ؟ قال : الحارث ، فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير الى الارض ، ثم قال : أين هو، قال : يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه، وقص عليه قصته وكيف صنع به ، فقال : أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا هاهنا، فمرنى بما شئت ، قال : يا أمير المؤمنين ابعث معى

---

١ ـ هكذا في نسخة ، وفي نسخة اخرى « الصنيبرة » بصاد مهملة ، وقد ضبطت بالتشديد والضم والله أعلم .

٢ ـ لعلها : ردد عليه كلامه .

٣ ـ أي أجمعني معك في خلوة .

قوما لا يفهمون الكلام ، فأمر أربعين رجلا من فرغانة ، فقال: انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال : وكتب الى صاحب بيت المقدس أن فلانا هو الامير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به • فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب ، فقال : مرنى بما شئت ، فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس ، وادفع كل شمعة الى رجل ، ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياها ، فاذا قلت : أسرجوا أسرجوا جميعا ، فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع •

وتقدم البصرى الى منزل الحارث ، فأتى الباب ، فقال للحاجب: استأذن لي على نبي الله، قال: فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح، قال : اعلمه أنى ما رجعت الا شوقا اليه قبل أن أصل، فدخل عليه فأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب ، قال : ثم صاح البصرى : أسرجوا الشموع، فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ، ثم قال : من مر بكم فاضبطوه كائنا من كان ، ودخل هو الى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده، فقال أصحاب الحارث : هيهات تريدون تقتلون نبي الله قد رفع الى السماء ، قال : فطلبه فى شق قد هيأه (١) سربا ، فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه ، فاجتره فأخرجه الى خارج ، ثم قال للفرغانيين : اربطوه فربطوه • فبينما هم يسيرون به على البريد اذ قال : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله، فقال رجل من الفرغانيين ـ أولئك العجم ـ هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت، وساروا به حتى أتوا به عبد الملك ، فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه، وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار الى ضلع من أضلاعه ، فانكفأت (٢) الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون : الآنبياء لا يجوز فيهم السلاح، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة، ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها ، فقتله •

قال الوليد : بلغنى ان خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك ابن مروان ، فقال : لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : انما كان به المذهب (١) فلو جوعته ذهب عنه •

وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء ، قال : لما حمل الحارث عـى

---

١ ـ السرب : الحفير تحت الارض •

٢ ـ مالـت •

٣ ـ المعتقد والطريقة •

البريد وجعلت في عنقه جامعة (١) من حديد ، وجمعت يده الى عنقه ، فأشرف على عقبة بيت المقدس تلا هذه الاية «قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحى الي ربي (سبأ : ٥٠) »، فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته الى الارض ، فوثب الحرس الذين كانوا معه فاعادوها عليه، ثم ساروا به ، فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية، فسقطت من رقبته ويده على الارض ، فأعادوها عليه، فلما قدموا على عبد الملك حبسه، وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم ، فصلب • وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت ، فتكلم الناس ، وقالوا : ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ، ثم أتاه حرسي (٢) برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه • وسمعت من قال : قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما انثنت : أذكرت الله حين طعنته ؟ قال: نسيت، قال : فاذكر الله ، ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها •

فصل

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات ، فقد روينا باسناد عن حسن عن أبي عمران ، قال : قال لى فرقد : يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتي ، وهي ستة دراهم ، وقد أهل (٣) الهلال وليست عندي ، فدعوت ، فبينما أنا امشي على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم، فأخذتها فوزنتها فاذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص ، فقال: تصدق بها فانها ليست لك• قلت : أبو عمران، هو ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة • فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم ، وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى ما يشبه الكرامة، وانما لم يأمره بتعريفها ، لان مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار، وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وانفاقها•

وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال : احتجت يوما الى الوضوء، فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة، رأسه ألين من الخز ، فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت •

---

١ ـ غل أو قيد •

٢ ـ احد اعوان الملك •

٣ ـ ظهر •

قلت : فى هذه الحكاية من لا يوثق بروايته ، فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل ، اذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ، ولكن قل علمه فاستعمله • وان ظن أنه كرامة ، والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا ، الا ان أظهر له ذلك على سبيل الامتحان •

وذكر محمد بن أبى الفضل الهمدانى المؤرخ ، قال : حدثنى أبى، قال: كان السرمقانى المقرىء يقرأ على ابن العلاف ، وكان يأوى الى المسجد بدرب الزعفرانى ، واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم فى وقت مجاعة ، وقد نزل الى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه ، وجعل يأكله فشق ذلك عليه ، وأتى الى رئيس الرؤساء ، فأخبره بحاله ، فتقدم الى غلام بالقرب الى المسجد الذى يأوى اليه السرمقانى ان يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه. ففعل، وتقدم اليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزا سميدا ومعها دجاجة وحلوى سكرا، ففعل الغلام ذلك، وكان يحمله على الدوام • فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحا فى القبلة ورأى الباب مغلقا ، فتعجب • وقال فى نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه ، وأن لا أتحدث به، فان من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الاسرار ماعاشا

فلما استوت حالته وأخصب (١) جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك ـ وهو عارف به وقصد المزاح معه ـ فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح • ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة اذ لا طريق لمخلوق عليه ، فقال له ابن العلاف : يجب أن تدعو لابن المسلمة فانه هو الذى فعل ذلك • فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار •

فصل

ولما علم العقلاء شدة تلبيس ابليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة، وخافوا أن تكون من تلبيسه •

روينا باسناد عن أبى الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمنى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فتهت ، فرأيت طائرا أبيض فقال لى :

---

١ ـ اي كثر لحمه •

يا زهرون أنت تائه، فقلت: يا شيطان غر غيرى ، فقال لى: أنت تائه • فقلت: يا شيطان غر غيرى • فوثب فى الثالثة وصار على كتفى ، وقال : ما أنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى •

وباسناد عن محمد بن عبد الله القرشى ، قال : حدثنى محمد بن يحيى ابن أبى حاتم ، ثنى محمد بن عمرو ، قال: حدثتنى زلفى، قالت: قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك ؟ قالت : وما أرجو من الناس ان أتونى حكوا عنى ما لم أفعل • قال القرشى: وزادنى غير أبي‌حاتم، أنها قالت : يبلغنى انهم يقولون انى أجد الدراهم تحت مصلاى ، ويطبخ لي القدر بغير نار ، ولو رأيت مثل هذا فزعت منه • قالت : فقلت لها : ان الناس يكثرون فيك القول ، يقولون : ان رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب ، فهل تجدين شيئا فيه ؟ قالت : يا بنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئا ما مسسته ولا وضعت يدى عليه •

قال القرشى : وحدثنى محمد بن ادريس ، قال : قال محمد بن عمرو : وحدثتنى زلفى عن رابعة انها أصبحت يوما صائمة فى يوم بارد، قالت: فنازعتنى نفسى الى شيء من الطعام السخن أفطر عليه ، وكان عندى شحم، فقلت : لو كان عندى بصل أو كراث عالجته (١)، فاذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب (٢) فى منقاره بصلة، فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان •

وبالاسناد عن محمد بن يزيد ، قال : كانوا يرون لوهيب انه من أهل الجنة ، فاذا أخبر بها اشتد بكاؤه ، وقال : قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان •

وبالاسناد عن أبى عثمان النيسابورى ، يقول : خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى الى خارج نيسابور ، فجلسنا ، فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ، ثم بصرنا فاذا بأيل (٣) قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ ، فأبكاه‌ذلك بكاء شديدا • فلما سكن سألناه ، فقلت : يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا ، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك ، فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع

---

١ ـ أي مارست طبخه • ٢ ـ المثقب : الطريق •

٣ ـ الايل بضم الهمزة وكسرها واليا، فيهما مشددا التيس الجبلي •

فى قلبى لو ان شاة ذبحتها ودعوتكم عليها ، فما تحكم (١) هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش ، فبرك بين يدى ، فخيل لى أني مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه ، قلت : فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الاخرة فقيرا لا شيء لي • فهذا الذى أزعجني •

فصل

وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا الحكايات فى كرامات الاولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم ، والحق لا يحتاج الى تشييد بباطل ، فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل •

أخبرنا محمد بن ناصر ، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال : نا محمد ابن محمد الحافظ ، قال : نا عبيد الله بن محمد الفقيه ، قال أحمد بن عبدالله بن الحسن الآدمي: قال: حدثني أبي، قال: قال سهل بن عبدالله، قال عمرو بن واصل ـ كذا في الرواية ـ والصواب قال عمرو بن واصل : قال سهل بن عبدالله : صحبت رجلا من الاولياء فى طريق مكة ، فنالته فاقة ثلاثة أيام، فعدل الى مسجد فى أصل جبل ، واذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة (٢) ، وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل • فأقام فى المسجد الى المغرب ، فلما دخل الوقت اذا بأربعين رجلا عليهم المسوح (٣) وفى أرجلهم نعال الخوص (٤) قد دخلوا المسجد ، فسلموا واذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم • فلما فرغ من صلاته تقدم الى الشجرة ، فاذا فيها أربعون رمانة غضة طرية ، فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف • قال : وبت على فاقتى ، فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين ، فلما صلوا وأخذوا الرمان ، قلت : يا قوم انا اخوكم فى الاسلام وبي فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى ، فقال رئيسهم : انا لا نكلم محجوبا بما معه، فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع الينا حتى تنال ما ننال ، قال: فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمي ما معي فدفنته ورجعت ، فقال لى : رميت ما معك ؟ قلت : نعم ، قال : فرأيت شيئا، قلت: لا، قال: ما رميت شيئا اذن فارجع فارم به فى الوادى ، فرجعت ففعلت ، فاذا قد غشيني

---

١ ـ تصرف الخاطر في نفسه •

٢ ـ اناء يتطهر به • ٣ ـ المسح : كساء من شعر • ٤ ـ الخوص : ورق النخل •

م (٢٨)

مثل الدرع نور الولاية، فرجعت، فاذا في الشجرة رمانة فأكلتها، واستقللت(١) بها من الجوع والعطش، ولم البث دون المضي الى مكة ، فاذا أنا بالاربعين بين زمزم والمقام، فأقبلوا الي بأجمعهم يسألونى عن حالى ويسلمون علي، فقلت: قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخرا كما أغناكم الله عن كلامى أولا ، فما فى لغير الله موضع ٠

قال المصنف رحمه الله : عمـــــرو بن واصـــــل ضعفه ابن أبي حاتم، والآدمي وأبوه مجهولان ٠ ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم : اطرح مــا معك ، لان الاولياء لا يخالفون الشرع ، والشرع قد نهى عن اضــــاعة المال٠ وقوله : غشينى نور الولاية ، فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ، ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم ، انما يغتر بهـــا الجهـــال الذين لا بصيرة لهم ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، قال : نا السهلكي ، قال : سمعت محمد بن علي الواعظ ، قال : وفيما أفادني بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد ، قـــال: قال أبو موسى الديبلي : دخـــلت على أبى يزيد فـــاذا بين يديه ماء واقف يضطرب ، فقال لى : تعال ، ثم قال : ان رجلا سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء ، فدار دورانا حتى صار كذا كمـــا ترى وذاب٠ قـــال الجنيد : وقال أحمد بن حضرويه : بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصا فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء ٠

قلت : وهذه من المحالة القبيحة التى وضعها الجهال ، ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئا لكان الاضراب عن ذكرها أولى ٠

أنبأنا أبو بكر بن حبيب، قال: نا ابن أبى صادق، قال: ثنا ابن باكويه، قال: ثنا أبو حنيفة البغدادى، قال : ثنا عبد العزيز البغدادى، قال : كنـت أنظر فى حكايات الصوفية، فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول : « وهو يتولى الصالحين » (الاعراف : ١٩٦) فالتفت فلم أر شيئا، فطرحت نفسي من السطح فوقفت فى الهواء ٠

قال المصنف رحمه الله : هذا كـــذب محـــال لا يشك فيه عاقل، فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام ، وظنه أن الله يتولى من فعـــل

---

١ ـ استقل بكذا : تفرد به ولم يشرك فيه غيره ٠

المنهى عنه، فقد قال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (البقرة : ١٩٥) فكيف يكون صالحا وهو يخالف ربه، وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم. وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له : ألق نفسك ، قال : ان الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

فصل

وقد اندس في الصوفية أقوام وتشبهوا بهم ، وشطحوا فى الكرامات وادعائها، وأظهروا للعوام مخاريق (١) صادوا بها قلوبهم. وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية، ويطلع بعض أصحابه على ذلك ، فاذا أصبح قال لاصحابه : ان رأيتم أن نخرج على وجه السياحة ، فيقوم ويمشى والناس معه ، فاذا جاؤوا الى ذلك المكان، قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك : نشتهي الان كذا وكذا، فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم الى ذلك المكان ، فيصلي ركعتين ويأتيهم بذلك. وكان يمد يده الى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق (٢) . وقد قال له بعض الحاضرين يوما : هذه الدراهم معروفة ولكن أومن بك اذا أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك ، وما زال يمخرق الى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز ، قال : نا أبو بكر بن ثابت ، نا عبد الله بن أحمد بن عمار الصيرفى ، ثنا أبو عمرو بن حيوة ، قال : لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس، فلم أزل أزاحم حتى رأيته، فقال لاصحابه : لا يهولنكم هذا فانى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقادا قبيحا ، وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا عن اعتقاده وتخليطه ، وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره .

وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة .

قال ابن عقيل : وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد، فينزل بهم قوم فيرفع طائرا فى الحال الى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ، ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن

---

١ ـ المخرقة : الكذب والاختلاق ، والمخاريق لعب الصبيان ، والمخراق : صاحب الحنكة .
٢ ـ اي : يختلق ويلعب بعقول الناس .

يجتمع عليهم ، ويستعلم حالهم، فيكتب ذلك اليه الجواب، ثم يجتمع بهم ، فيخبرهم بتلك الحوادث ، ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم في بلادهم ، ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفي يومه ذلك ، فيقول : الساعة تجدد كذا وكذا، فيدهشون، ويرجعون الى رستاقهم (١) فيجدون الامر على ما قال، ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعي على أنه يعلم الغيب. قال: وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد في رجله تلفكا (٢)، ويجعل في التلفك بطاقة صغيرة، ويشد في رجل حمامة تلفكا ، ويشد في طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ، ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد، ويأخذ غلاما له في السطح (٣) والحمامة بيد آخر فيه ما في تلك البطاقة الصغيرة، ويطلق الطائر العصفور ، فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء ، فيروح الحمام الى تلك القرية فيأخذه صديقه الذي هناك ، ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها ، فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادي : يابارش ، كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ، ويقول : خذ هذا الكتاب الى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة ، فاجتهد في اصلاح ذات بينهم، ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذي في يده ، فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يروا التلفك، فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ، ويرسل العصفور الى تلك القرية ليصلح الامر ، وكذلك يفعل بالحمامة ، ثم يقول لغلامه : هات الكتاب ، فيلقيه الغلام الذي في السطح الذي قد جاءه خبر ما في القرية التي هؤلاء منها ، ثم يكتب كتابا الى دهقان (٣) تلك القرية فيشد به تلفكا ، ويجعله في رجل عصفور كما قدمنا ، ويطلقه حتى يعلو سطح المكان ، فيأخذه ذلك الغلام فيشده في رجل طير حمام ، فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب ، فيصلح بين الناس الذين قد اتاه خبرهم بالمشاجرة ، فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم، وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم ، فيجيء ذلك فيخبرهم فلا يشكون في ذلك انه يعلم الغيب. ويتحقق هذا في قلوب العوام .

---

١ ـ الرسداق والرزداق : القرى . ٢ ـ كلمة غريبة ولعلها بمعنى السلك .

٣ ـ الغلام في بعض النسخ هكذا بالنصب ، وفي بعض بالرفع ، وعلى كل المعنى ظاهر ، وهو ان ابن الشباس كان يتخذ غلامه في السطح لاجل ما ذكر .

٤ ـ اي رئيس .

قال ابن عقيل : وانما أوردت مثل هذا ليعلم انه قد ارتفع القوم الى التلاعب بالدين ، فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال ٠

قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله ، والشباس هو آبوه كان يكنى أبا الحسن ، واسم الشباس علي بن الحسين بن محمد البغدادى، توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة ، وكان الشباس وابوه وعمه مستقرين بالبصرة ، وكانت مذاهبهم تخفى على الناس الا أن الاغلب انهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية ، وقد ذكرت فى «التاريخ» عن ابن الشباس أن بعض اصحابه انكشفت له نار بخيانته وزخارفه ، وكانت تخفى على الناس الى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس، فلما كشفها للناس وبينها، فكان مما حدث به عنه أنه قال : حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا ، فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها ، فلما فرغنا أمر بردها الى التنور ، وترك على التنور طبقا ، ثم رفعه بعد ساعة ، فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ، ولم نر للنار أثرا ولا للرماد ولا للعظام خبرا ، قال : فتلطفت حتى عرفت ذلك ، وذلك أن التنور يفضى الى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب ، فاذا أراد ازالة النار عنه فركه ، فينزل عليه فيسده ، وينفتح السرداب ، واذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس ٠

قال المصنف رحمه الله : وقد رأينا فى زماننا من يشير الى الملائكة ويقول : هؤلاء ضيف مكرمون ، يوهم أن الملائكة قد حضرت ، ويقول لهم : تقدموا الي ٠ وأخذ رجل فى زماننا ابريقا جديدا ، فترك فيه عسلا، فتشرب فى الخزف طعم العسل، واستصحب الابريق فى سفره ، فكان اذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل ، وما فى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان ٠

الباب الثاني عشر

في ذكر تلبيس ابليس على العوام

قد بينا أن ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل، وقد افتن (١) فيما فتن به العوام ، وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته ، وانما نذكر من الامهات ما يستدل به على جنسه ، والله الموفق .

فمن ذلك أنه يأتي الى العامي فيحمله على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته ، فيتشكك . وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسألون حتى تقولوا : هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟» (٢) . قال أبو هريرة : فوالله اني لجالس يوما اذ قال لي رجل من أهل العراق : هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟ قال أبو هريرة : فجعلت اصبعي في أذني ثم صحت : صدق رسول الله ، الله الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وباسناد عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول: الله ، فيقول : من خلق السموات والارض ؟ فيقول : الله ، فيقول من خلق الله ؟ فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله » (٣) .

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس، وهو انه ما رأى شيئا الا مفعولا . وليقل لهذا العامي : ألست تعلم أنه خلق الزمان لا في الزمان، والمكان لا في المكان ، فاذا كانت هذه الارض وما فيها لا في مكان ولا تحتها شيء وحسك ينفر من هذا ، لأنه ما ألف شيئا الا في مكان، فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة .

وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل، فيحملونها على مقتضى الحس ، فيعتقدون التشبيه . وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب، فترى العامي يلاعن ويقاتل في أمر لا يعرف حقيقته. فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه . ومنهم من يخص عليا.

---

١ ـ افتن : اتبع أساليب مختلفة .

٢ ـ لم اقف على اسناد حديث أبي هريرة بهذا اللفظ وانما في « صحيح مسلم » عنه بلفظ حديث عائشة التالي .

٣ ـ رواه احمد وابو يعلى والبزار قال الحافظ العراقي : رجاله ثقات .

وكم قد جرى فى هذا من الحروب ، وقد جرى فى هذا بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة على ممر السنين من القتل واحراق المحال ما يطول ذكره ٠ وترى كثيرا ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلي بريئان منهم ٠

وقد يحس العامي فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه، فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب ٠ ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقي وأوسع على العاصي ؟ ومنهم طائفة تشكر على النعم ، فاذا جاء البلاء اعترض وكفر ٠ ومنهم من يقول : أى حكمة فى هدم هذه الاجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها ٠ ومنهم من يستبعد البعث ٠ ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلي ببلاء فيكفر ، ويقول: أنا ما أريد أصلي ٠ وربما غلب فاجر نصراني مؤمنا فقتله أو ضربه ، فيقول العوام : قد غلب الصليب ولماذا نصلى اذا كان الامر كذلك ٠ وكل هذه الآفات تمكن بها منهم ابليس لبعدهم عن العلم والعلماء، فلو أنهم استفهموا أهل العلم لاخبروهم أن الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض ٠

فصل

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء ، فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم ٠ وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت : أنا رجل عالم لقال : شارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك ٠ هذا ، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذى أنا فيه من الامور أمر عقلى ، فاذا أفتيته لم يقبل ٠

فصل

ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء ، فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه ، خصوصا اذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ، ويقولون : أين هذا من فلان العالم ، ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يتزوج قط ، جهلا منهم بفضل العالم على الزاهد ، وايثارا للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى (١) السبايا ويأكل لحم

---

١ ـ في « صحيح البخاري » ذكر اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي (فتح الباري ٣٢٨/٥) ٠

الدجاج (١) ويحب الحلوى والعسل (٢) ولم يعظم في صدورهم ؛

فصل

ومن تلبيسه عليهم قدحهم في العلماء بتناول المباحات ، وذلك من أقبح الجهل • وأكثر ميلهم الى الغرباء ، فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته ، فيميلون الى الغريب ولعله من الباطنية • وانما ينبغي تسليم النفوس الى من خبرت معرفته ، قال الله عز وجل : «فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم» (النساء : ٦) • ومن الله سبحانه في ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق بأنهم يعرفون حاله ، فقا لعز وجل : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم » (آل عمران : ١٦٤) • وقال : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (البقرة : ١٤٦) •

فصل

وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين الى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها • فترى المتنمس (٣) يقول للعامي : أنت فعلت بالامس كذا ، وسيجرى عليك كذا فيصدقه • ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر • ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أمورا لا تحل ، كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ، ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم (٤) •

فصل

ومن تلبيسه على العوام اطلاقهم أنفسهم في المعاصي ، فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة • فمنهم من يقول : لا اترك نقدا لنسيئة (٥) • ولو

---

١ ـ الترمذي في « الشمايل » عن أبي موسى الاشعري قال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج » •

٢ ـ متفق عليه عن عائشة •

٣ ـ تنمس الصائد : اتخذ غرفة يكمن فيها للصيد •

٤ ـ يقصد انهم يسلمون نظرا لما يرون من أحوال هؤلاء والتركيب غامض •

٥ ـ النسيئة : التأجيل •

فهموا لعلموا ان هذا ليس بنقد لانه محرم ، وانما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل ، فاذا عوتب ، قال : الشهوة نقد والعافية نسيئة • ثم لو عملوا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف • ولو علموا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل ، وما يرجونه كثير • ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا ، اذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى (١) •

ومنهم من يقول : الرب كريم ، والعفو واسع والرجاء من الدين • فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء ، وهذا الذى هلك عامة المذنبين •

قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى ان الفرزدق جلس الى قوم يتذاكرون رحمة الله ، فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا ، فقالوا له : لم تقذف المحصنات !؟ فقال : أخبرونى لو اذنبت الى والدى ما اذنبته الى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفسا أن يقذفانى فى تنور مملوءا جمرا ؟ قالوا : لا انما كانا يرحمانك ، قال : فانى أوثق برحمة ربى منهما •

قلت : وهذا هو الجهل المحض ، لان رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ، ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد الى جهنم •

وباسناد عن عباد ، قال : قال الاصمعى : كنت مع أبى نواس بمكة ، فاذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الاسود ، فقال لى أبو نواس : والله لا ابرح حتى أقبله عند الحجر الاسود ، فقلت : ويلك اتق الله عز وجل ، فانك ببلد حرام وعند بيته الحرام ، فقال : ما منه بد ، ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه ، فبادر ابو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله ـ وانا انظر ـ فقلت : ويلك أفى حرم الله عز وجل !؟ فقال : دع ذا عنك فان ربى رحيم ، ثم أنشد يقول :

وعاشقان التف خداهما ... عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد

قلت : انظروا الى هذه الجرأة التى نظر فيها الى الرحمة ، ونسى شدة

---

١ ـ تلافى الامر : تداركه •

العقاب بانتهاك تلك الحرمة • وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين (١) •

ولقد دخلوا على ابى نواس فى مرض موته ، فقالوا له : تب الى الله عز وجل ، فقال : اياى تخوفون ؟! حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى شفاعة وانى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » (٢) أفترى لا أكون أنا منهم ؟! •

قال المصنف رحمه الله : وخطأ هذا الرجل من وجهين : أحدهما - أنه نظر الى جانب الرحمة ولم ينظر الى جانب العقاب • والثانى - أنه نسى أن الرحمة انما تكون للتائب كما قال عز وجل: «وانى لغفار لمن تاب» (طه: ٨٢) وقال : «ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون» (الاعراف : ١٥٦) وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام ، وقد كشفناه فى ذكر أهل الاباحة •

فصل

ومن العوام من يقول : هؤلاء العلماء ما يحافظون على الحدود ، فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا ، فأمرى أنا قريب • وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء ، فغلبة الهوى للعالم لا يكون عذرا للجاهل • وبعضهم يقول : ما قدر ذنبى حتى اعاقب - ومن انا حتى أؤاخذ ، وذنبى لا يضره ، وطاعتى لا تنفعه ، وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى اذا   اذنبت لا يغفر لى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة، كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ الا ضدا أو ندا (٣)• ثم ما علموا انه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند • وسمع ابن عقيل رحمه الله رجلا يقول : من انا حتى يعاقبنى الله ؟! فقال له : أنت الذى لو أمات الله

---

١ - تحدثنا عن ضعف هذا الخبر في أول الكتاب ، وهو من رواية الواقدي في « المغازي »

٢ - في سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف ، ولكن للحديث شواهد يرتقي بها الى درجة الصحة ، فقد روى الترمذي من رواية عبد الرزاق عن معمر بن ثابت عن أنس ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن جابر ، ورواه من حديث بسطام بن حريث عن اشعث الحداني عن أنس ، وابن ماجه عن جابر •

٣ - الند : المثل والنظير •

جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى : « يا ايها الناس » خطابا لك •

ومنهم من يقول : سأتوب وأصلح ، وكم من أبله ساكن (١) الامل فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب• وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح ، وربما لم تقبل ، ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبدا • فمرارة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل •

ومنهم من يتوب ثم ينقض (٢) فيلج عليه ابليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه •

وباسناد عن الحسن أنه قال : اذا نظر اليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك (٣) ، واذا رآك مواوما على طاعة الله ملك ورفضك ، واذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك •

فصل

ومن تلبيسه عليهم أن يكون لاحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبى بكر ، وهذا يقول : انا من اولاد علي ، وهذا يقول : انا شريف من اولاد الحسن أو الحسين ، أو يقول : أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد • وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين : أحدهما ـ أنهم يقولون : من احب انسانا احب اولاده واهله • والثاني ـ ان هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم • وكلا الامرين غلط •

أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الادميين ، وانما يحب من أطاعه ، فان أهل الكتاب من أولاد يعقوب لم ينتفعوا بآبائهم ، ولو كانت محبة الاب تسرى لسرى الى البعض ايضا •

وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (الانبياء : ٢٨) • ولما اراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له : « انه ليس من أهلك » (هود : ٤٦) ولم يشفع ابراهيم فى أبيه ولا نبينا فى امه ، وقد

---

١ ـ ساكنه : سكن واياه في دار واحدة •

٢ ـ اى ينقض توبته ويعود الى الذنب •   ٣ ـ لعلها : الفك •

قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها : « لا أغنى عنك من الله شيئا » ومن ظن انه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل ابيه ٠

فصـــل

ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة (١) خير ، ولا يبالى بما فعل بعدها ٠ فمنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ، ثم لا يتحاشى عن المعاصى ٠ وكشف هذا التلبيس أن يقال له : ان الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر ، فلا يكفى أحدهما عـــن صاحبه ٠ وكذلك تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت ، وكذبوا فانه انما يدفع التقوى ٠ ومنهم من يقول : أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير ، وهذا يدفع عنى ، وجوابه كجواب الاول ٠

فصـــل

ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين (٢) فى أخذ أموال الناس ، فانهم يسمون بالفتيان ، ويقولون :الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحــرم ولا يهتك ستر امرأة ، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، وينسون تقلى (٣) الاكباد على الاموال ويسمون طريقتهم الفتوة ٠ وربما حلـــف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويجعلون الباس السراويل للداخل فى مذهبهم كالباس الصوفية للمريد المرقعة ٠ وربما يسمع أحد هؤلاء عـــن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح ، وربما كانت من محرض فيقتلها ، ويدعون أن هذه فتوة ٠ وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب ٠

وباسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل انه كان يقول : كنت كثيرا أسمع والدى احمد بن حنبل يقول : رحم الله أبا الهيثم : فقلت : من ابو الهيثم ؟! فقال : أبو الهيثم الحداد لما مددت يدى الى العقـــاب وأخرجت للسياط ، اذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقـــول لى : تعرفنى ؟ قلت : لا ، قال : أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار (٤) مكتوب فى ديوان

---

١ ـ الخلة : الخصلة ٠

٢ ـ العاطلين عن العمل المتجولين ٠

٣ ـ تقلى على فراشه : تململ ٠ تقلى اليه : تبغض ٠

٤ ـ طر الشيء : قطعه ، وطر المال : سلبه ٠

أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لاجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لاجل الدين .

قلت : ابو الهيثم هذا يقال له : خالد الحداد ، وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل : ما بلغ من جلدك ، قال : املأ لي جراب عقارب، ثم أدخل يدي فيه ، وانه ليؤلمني ما يؤلمك وأجد لاخر سوط من الالم ما أجد لاول سوط ، ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي ، ولكنني وطنت نفسي على الصبر . فقال له الفتح: ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك الى ما أنت عليه من الباطل ، فقال : أحب الرياسة ، فقال المتوكل : نحن خليدية (١) ، وقال الفتح : أنا خليدي ، وقال رجل لخالد : يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب ؟ فقال : بلى يؤلمنا ، ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن علي : لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت اليه فوجدته جالسا غير متمكن لذهاب لحم أليتيه من الضرب ، واذا حوله فتيان فجعلوا يقولون : ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم : لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا الى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الالم ليحصل لهم الذكر ، ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الاجر . والعجب انهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم .

فصل

ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض ، مثل أن يحضر المسجد قبل الاذان ويتنفل ، فاذا صلى مأموما سابق الامام . ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب (٢) . ومنهم من يتعبد ويبكي وهو مصر على الفواحش لا يتركها ، فان قيل له ، قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم . وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح . ورأيت

---

١ ـ نسبة الى خالد على غير القياس .

٢ ـ أي ليلة صلاة الرغائب ، وهي أول خميس من رجب ، وهي اثنتا عشرة ركعة بين العشاءين وقد حدثت في سنة ٤٤٨ هـ في بيت المقدس ، وظنها العامة انها مشروعة وهي مبتدعة .

رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم جب نفسه (١) وهذا من افحش الفواحش ·

فصـــــل

وقد لبس ابليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ، ويبكون ويكتفون بذلك ظنا منهم أن المقصود الحضور والبكاء، لانهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر · ولو علموا أن المقصود انما هو العمل ، واذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه · وانى لاعرف خلقا يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ، ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبه للمسلمين والعقوق للوالدين · وهؤلاء قد لبس عليهم ابليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس (٢) من الذنوب · وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم · وشغل اخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم ، وأقام قوما منهم للتفرج (٣) فيما يسمعونه وأهملوا العمل به ·

فصـــــل

وقد لبس ابليس على أصحاب الاموال من أربعة أوجه :

أحدها ـ من جهة كسبها ، فلا يبالون كيف حصلت ، وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم ، وأنسوه حتى ان جمهور (٤) معاملاتهم خارجة عن الاجماع · وقد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام » (٥) ·

والثانى ـ من جهة البخل بها ، فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا اتكالا على العفو ، ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه · ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحلول ثم يسترده·

---

١ ـ اى قطع عضوه التناسلى ·

٢ ـ يزاول · ٣ ـ اي للتلهي والتنفيس عن الغم · ٤ ـ اي معظم ·

٥ ـ رواه احمد والبخارى ·

ومنهم من يحتال باعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير ، وهو يساوى دينارين ، ويظن ذلك الجاهل أنه قد تخلص • ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد • ومنهم من يعطى الزكاة من يستخدمه (١) طول السنة فهى على الحقيقة اجرة • ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى ، فيقـــول له ابليس : ما بقى عليك ، فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبا للمال فيفوته أجر المتصدقين ، ويكون المال رزق (٢) غيره •

وباسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ما ضرب الدرهم أخذه ابليس فقبله ووضعه على عينه وسرته ، وقال : بك أطغى وبك أكفــــر ، رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى •

وعن الاعمش عن شقيق عن عبد الله ، قال : ان الشيطان يريد الانسان بكل ريد (٣) فاذا أعياه اضطجع فى ماله ، فيمنعه أن ينفق منه شيئا •

والثالث ـ من حيث التكثير بالاموال ، فان الغنى يرى نفسه خيرا مـــن الفقير ، وهذا جهل لان الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر :

غنى النفس لمن يعقـ ـل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الانفـ ـس ليس الفضل فى الحال

والرابع ـ فى انفاقها ، فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والاسراف ، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور • وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه الى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة الى السرف • وهذه الافعال لا يسلم صاحبها من فعـــل محرم أو مكروه ، وهو مسئول عن جميع ذلك •

وباسناد عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع : عمرك فيما أفنيته ، وجسدك فيما أبليته ، ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته (٤) •

---

١ ـ أي يعطيها لشخص مستخدم عنده ٢ ـ أي يبقى للورثة ٣ ـ الريد : الطلب كالرود

٤ ـ لم أجده عن أنس ، وانما رواه ابن مسعود كما في « سنن الترمذي » بلفظ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما ابلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه ، وفيما انفقه ، وماذا عمل فيما علم » • وهو حديث صحيح لشواهده•

ومنهم من ينفق فى بناء المساجد القناطر ، الا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر ، فيكتب اسمه على ما بنى ، ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى • ولو كلف أن يبنى حائطا من غـــير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل •

ومن هذا الجنس اخراجهم الشمع فى رمضان فى الانوار طلبا للسمعة ، ومساجدهم طول السنة مظلمة ، لان اخراجهم قليلا من دهن كل ليـــلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى اخراج شمعة فى رمضان ، ولقد كان اغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الاضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير أن الرياء يعمل عمله • وقد كان أحمد بن حنبل يخرج الى المسجد وفي يده سراج فيضعه ويصلى •

ومنهم من اذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه ، فيجمع بين قصـده مدحهم وبين اذلال الفقير •

وفيهم من يجعل الدنانير الخفاف ، فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك ، وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ، ليقال : قـــد اعطى فلان فلانا دينارا • وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير دينارا ثقيلا يزيد وزنه على دينـار ونصف ، ويسلمونه الى الفقير فى سر ، فاذا رأى قرطاسا صغيرا ظنه قطعة ، فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح ، فاذا فتحه ظنه قليل الوزن ، فاذا رآه ثقيلا ظنــه يقارب الدينار ، فاذا وزنه فرآه زائدا على الدينار اشتد فرحه ، فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة •

ومنهم من يتصدق على الاجانب ويترك بر الاقارب وهم أولى •

وباسناد عن سلمان بن عامر ، قال : سمعت رسول الله صلى اللـه عليه وسلم يقول : « الصدقة على المسكين صدقة ، والصدقة عــلى ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » (١) •

ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة الا أنه يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ، ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى •

---

١ ـ رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي واسناده صحيح •

وقد روى عن أبى أيوب الانصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أفضل الصدقة ، الصدقة على ذى الرحم الكاشح » (١) ·

قال المصنف رحمه الله : وانما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى ، فان من تصدق على ذى قرابة بحبة فقد نفق على هواه ·

ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة ·

وقد روى عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول » (٢) وباسناد عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا ، فقال رجل : عندى دينار ، فقال : تصدق به على نفسك · قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على زوجتك ، قال : عندى دينار آخر قال : تصدق به على ولدك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على خادمك ، قال : عندى آخر ، قال : أنت أبصر به» (٣) ·

ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه ابليس بأن الحج قربة ، وانما مراده الرياء والفرجة (٤) ومدح الناس · قال رجل لبشر الحافى : أعددت الفى درهم للحج ، فقال : أحججت ؟ قال : نعم ، قال : اقض دين مدين ، قال : ما تميل نفسى الا الى الحج ، قال : مرادك أن تركب وتجىء ويقال فلان حاجى ·

ومنهم من ينفق على الاوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى · ويلبس عليه ابليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم ، وقد بينا أن ذلك مما يوجب فساد القلوب ·

ومنهم من اذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ، ويرى الامر فى ذلك

---

١ ـ رواه احمد والطبراني ، وهو معلول ، لكن رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد ، ورواه الطبراني والحاكم عن ام كلثوم بنت عقبة ، وقال الحاكم : على شرط مسلم ، واقره الذهبي · والكاشح : القاطع ·

٢ ـ رواه احمد ومسلم والنسائي عن حكيم بن حزام ولفظه : « افضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » ·

٣ ـ رواه ابو داود والنسائي بنحوه واسناده صحيح ·

٤ ـ الفرجة : الخلوص من الهم ، او المنفرج ·

م (٢٩)

قربة ، وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر (١) الفضة ، ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة ٠

ومنهم من يجور فى وصيته ويحرم الوارث ، ويرى انه ماله يتصرف فيه كيف شاء ، وينسى انه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به ٠

وباسناد عن أبى أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حاف عند الوصية قذف فى الوباء » (٢) ٠ والوباء واد فى جهنم ٠ وعن الاعمش عن خيثمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان يقول : ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث : آمره بأخذ المال من غير حقه ، وآمره بانفاقه فى غير حقه ، ومنعه من حقه » (٣) ٠

فصل

وقد لبس ابليس على الفقراء ،فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى ، فان أضاف الى هذا السؤال والاخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم ٠

اخبرنا ابن الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الناس اموالهم تكثرا ، فانما يسأل جمرا ، فليستقل منه أو ليستكثر (٤) » ٠ وان لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئا وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال : رجل زاهد فقد راءى ، وان كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففى ضمن بخله الشكوى من الله ٠

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا بادى الهيئة ، فقال : « هل لك من مال ؟ » قال : نعم ، قال : « فلترنعمة الله عليك » (٥) ٠ وان كان فقيرا محقا فالمحتسب له كتمان الفقر واظهار

---

١ ـ المجمرة : ما يوضع فيه الجمر ٠

٢ ـ لم اقف على اسناده ، لكن روى النسائي عن ابن عباس مرفوعا : « الاضرار في الوصية من الكبائر » ٠

٣ ـ وهو من رواية الاعمش وهو مدلس عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي ، وهو تابعي ، وكان يرسل وهذا من مراسيله ٠

٤ ـ ورواه مسلم ٠ ٥ ـ ورواه الطبراني في « الكبير » عن أبي حازم بلفظ : « من كان له مال فلير عليه أثره » وفيه يحيى بن يزيد بن ابي بردة قال الهيثمي : ضعيف ٠

التجمل ، فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحا يوهم ان له دارا ولا يبيت الا فى المساجد •

فصل

ومن تلبيس ابليس على الفقراء انه يرى نفسه خيرا من الغنى اذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه ، وهذا غلط ، وان الخيرية ليست بالوجود والعدم ، وانما هى بأمر وراء ذلك •

فصل

وقد لبس ابليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات ، وذلك من أكثر أسباب هلاكهم : فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والاسلاف فى اعتقادهم على ما نشؤوا عليه من العادة ، فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه ابوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ • ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم ، وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة ، فترى الرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ، ولعله لا يقيم الفاتحة ، ولا يدرى ما الواجبات ، ولا يسهل عليه ان يعرف ذلك هواناً بالدين ، ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد • ثم ترى أحدهم يركع قبل الامام ويسجد قبل الامام ، ولا يعلم انه اذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن ، فاذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته • وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء ، وذاك أمر لا يحمله الامام ، فتكون صلاته باطلة • وربما ترك أحدهم فريضة وزاد فى نافلة • وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب ، وربما كان فى يده خاتم قد حصر الاصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء الى ما تحته ، فلا يصح وضوؤه •

واما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ، ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة : وقل أن يبيعوا شيئا الا وفيه غش ويغطيه عيب • والجلاء (١) يغطى عيوب الذهب الردىء حتى ان المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه (٢) ليثقل وزنه •

---

١ ـ جلا السيف : صقله •   ٢ ـ ندى الشىء : بلله •

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ، ويغتاب الناس ، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لان فى العادة استبشاع الفطر .

ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول : معى عشرون دينارا لا املك غيرها ، فان أنفقتها ذهبت ، وأنا أستأجر (١) بها دارا وآكل اجرة الدار ظنا منه أن هذا الامر قريب .

ومنهم من يرهن الدار على شىء ويؤدى الربا ، ويقول : هذا موضع ضرورة ،وربما كانت له دار اخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ، ولكنه يخاف على جاهه أن يقال :قد باع داره أو انه يستعمل الخزف مكان الصفر (٢) . ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف ، وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الاكابر ، فقل أن ترى أحدا منهم يسافر أو يفصل ثوبا أو يحتجم الا سأل المنجم وعمل بقوله .

ولا تخلو دورهم من تقويم (٣) ، وكم من دار لهم ليس فيها مصحف .
وفى « الصحيح » عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكهان ، فقال : « ليسوا بشىء » . فقالوا :يا رسول الله انهم يحدثون أحيانا بالشىء يكون حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة ، فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة» (٤) .

وفى « صحيح مسلم » عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » .

وروى أبو داود من حديث ابى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (٥) .

---

١ - اي يأخذ الدار رهنا ثم يستثمرها .   ٢ - النحاس الاصفر .

٣ - لعل في هذا التقويم اشياء غيبية عن الايام والليالي والاعمال المطلوبة في ذلك اليوم .

٤ - متفق عليه من حديث عائشة ولفظه : « فيقرها في اذن وليه قر الدجاجة » .

٥ - واسناده صحيح ورواه ايضا احمد ولفظه : « من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امراته حائضا او اتى امراته في دبرها فقد بريء مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم»

ومن جريانهم مع العادات كثرة الايمان الحانثة التى أكثرها ظهار (١) وهم لا يعلمون ، فأكثرهم قولهم فى الايمان : حرام على ان بعت. ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب ، وربما تورع احدهم عن لبس الحرير ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة .

ومن عاداتهم اهمال انكار المنكر حتى ان الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير ، بل يخالطه مخالطة حبيب .

ومن عاداتهم ان يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة ، وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه ازالته ، وقد اثم بكونه كان سببا لاذى المسلمين .

ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر ، وفيهم من اذا دخل بمئزر رمى به على فخذيه فيرى جوانب أليتيه ، ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ، ويمسها بيده لان العورة من السرة الى الركبة ، ثم ينظر هؤلاء الى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر .

ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة ،وربما اضطروها الى ان تسقط مهرها ، ويظن الزوج انه قد تخلص بما قد أسقطته عنه .

وقد يميل الرجل الى احدى زوجتيه دون الاخرى فيجوز فى القسم (٢) متهاونا بذلك ، ظنا ان الامر فيه قريب . فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كانت له امرأتان يميل الى احداهما على الاخرى ، جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطا أو مائلا (٣) » .

---

١ ـ الظهار : ان يقول الشخص لامرأته : أنت علي كظهر امي .

٢ ـ اي يفضل زوجة اخرى فيقسم لها اكثر من زميلتها .

٣ ـ رواه اصحاب السنن ولفظه : « من كانت له امرأتان يميل مع احداهما على الاخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط » . قال الترمذي : لا نعرفه مرفوعا الا من حديث همام بن يحيى ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال : كان يقال . ا هـ .

قلت : وهمام بن يحيى قال عنه الحافظ في « التقريب » : ثقة ربما وهم .

وقال الترمذي في « العلل الكبرى » : سألت محمدا ـ أي البخاري ـ عن هذا الحديث ، فقال : رواه حماد بن زيد عن أيوب عن ابي قلابة مرسلا . (كذا في « نصب الراية » ٣/٢١٤)

ومن عاداتهم اثبات الفلس (١) عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس انه قد سقطت عنه بذلك الحقوق ، وقد يوسر ولا يؤدى حقا . وفيهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس الا وقد جمع مالا من امـــوال المعاملين ، فأضر به (٢) بنفقه فى مدة استتاره وعنده أن الامر فى ذلك قريب .

ومما جروا فيه على العادات ان الرجل يستأجر ليعمل طول النهـــار فيضيع كثيرا من الزمان ، اما بالتثبط فى العمل او بالبطالة أو باصلاح آلات العمل ، مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة الا ان يكون ذلك يسيرا قد جرت العادة بمثله .

وقد يفوت اكثرهم الصلاة ، ويقول : انا فى اجار رجل ، ولا يـــدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الاجارة .

وقلة نصحهم فى أعمالهم كثيرة .

ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعـل مكروه ، وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا . ويدفنون معـــه جملة من الثياب ، وهذا حرام ، لانه اضاعة للمال ، ويقيمون النوح عـــلى الميت ، وفى « صحيح مسلم » ان النبى صلى الله عليـــه وسلم قـــال : « ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال مـــن قطران ودرع من جرب » .

ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصا النساء .

وفى « الصحيحين » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من شق الجيوب ، ولطم الخدود ، ودعا بدعوى الجاهلية » . وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه ، بل ربما أنكروا ترك شق الثوب ، وقالوا : ما أثرت عنده المصيبة .

ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب (٣) ، ويبقون على ذلك شهرا او سنة ، وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح .

---

١ ـ فلس القاضي فلانا : حكم بافلاسه .

٢ ـ من الاضرار .

٣ ـ الدون : الخسيس الحقير .

ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وايقاد النار عندها ، وأخذ تراب القبر المعظم ٠

وقال ابن عقيل : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام (١) عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم ، اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ٠ قال : وهم كفار عندي بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى الشرع عنه من ايقاد النيران ، وتقبيلها وتخليقها (٢) ، وخطاب الموتى بالالواح ، وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا ، واخذ التراب تبركا ، وافاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ، ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة ، فيسأل عن حكم يلزمه ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد (٣) الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الاربعاء ، ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلي ، ولم يكن معها نياحة ، ولم يقعد على أبيه أزجا (٤) بالجص والاجر ، ولم يشق ثوبه الى ذيله ،ولم يرق ماء الورد على القبر ، ويدفن معه ثيابه ٠

فصل

واما تلبيس ابليس على النساء فكثير جدا ، وقد أفردت كتابا للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها ، وأنا أذكر ها هنا كلمات من تلبيس ابليس عليهن ٠ فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال ، فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها ، وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم ٠ وفيهن من تؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام ٠ وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل الى ان تطلع الشمس ٠ فاذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر (٥) ، وتقول : ما تدخل الى الا القيمة (٦) ٠ وربما قالت : أنا واختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلي

---

١ ـ اوغاد الناس واوباشهم ٠

٢ ـ اي تطييبها بالخلوق وهو نوع من الطيب ٠

٣ ـ مكان ، او محضر الناس ، ويقصد هنا ضريح أصحاب الكهف او مقامهم ٠

٤ ـ الازج : البيت يبنى طولا ، ويقصد هنا المرتفع ٠

٥ ـ المئزر : الازار ٠

٦ ـ القيمة : المتولية شؤون الحمام ٠

فممن أستتر ؟ وهذا كله حرام • فان تأخير الغسل من غير عذر لا يجوز ، ولا يحل للمرأة ان تنظر من المرأة ما بين سرتها وركبتها ، ولو كانت ابنتها وامها الا أن تكون البنت صغيرة ، فاذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها • وقد تصلي المرأة قاعدة وهي تقدر على القيام ، فالصلاة حينئذ باطلة • وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ، ولو أرادت الخروج الى الطريق لتهيأت واستعارت ، وانما هان عندها أمر الصلاة ، وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئا ولا تسأل • وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به •

وقد تستهين المرأة باسقاط الحبل ، ولا تدرى أنها اذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلما • وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل ، فانه يجب عليها ان تتوب وتؤدى ديته الى ورثته ، وهى غرة (١) عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه او عشر دية الام ولا ترث الام من ذلك شيئا ثم تعتق رقبة ، فان لم تجد صامت شهرين متتابعين •

وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج ، وربما كلمته بالمكروه ، وتقول : ما خرجت فى معصية ، ولا تعلم أن خروجها بغير اذنه معصية • ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة •

وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله ان تحد على ميت الا على زوج أربعة شهر وعشرا » (٢) •

ومنهم من يدعوها زوجها الى فراشه فتأبى ، وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية ، وهى منهية عنه لما روى أبو هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت، فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » اخرجاه فى « الصحيحين » •

وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها ان تخرج من بيته شيئا الا ان يأذن لها أو تعلم رضاه • وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ، ومن

---

١ ـ الغرة : العبد أو الامة •

٢ ـ متفق عليه ولفظه : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال ، الا على زوج اربعة أشهر وعشرا » •

تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام • وقد تستجيز ثقب آذان الاطفال وهو حرام ، فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصافحه ، فصارت من بنات المنبر فخرجت الى عجائب • وينبغى أن تكف عنان العلم اقتصارا على هذه النبذة ، فان هذا الامر يطول ، ولو بسطنا النبذ المذكورة فى هذا الكتاب او شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالاحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات ، وانما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير ، وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده ، لان الامر فيه ظاهر ، والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه •

الباب الثالث عشـــر

فى ذكر تلبيس ابليس على جميع الناس بطول الامل

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى بحب الاسلام ، فلا يزال ابليس يثبطه ويقول : لا تعجل وتمهل فى النظـــر ، فيسوفه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوف (١) العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ، ويمنيه الانابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى　　　وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع الى مقام فضيلة ثبطـــه ٠ فلربما عزم الفقيه على اعادة درسه، فقال: استرح ساعة، او انتبه العابد فى الليل يصلى ، فقال له : عليك وقت ٠ ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الامر الى طول الامل ، فينبغي للحازم ان يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والاعراض عن الامل ، فـــان المخوف (٢) لا يؤمن والفوات لا يبعث (٣) ، وسبب كل تقصير فى خير ، أو ميـل الى شر طول الامل ، فان الانسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشـــر والاقبال على الخير ، الا انه يعد نفسه بذلك ، ولا ريب انه من أمل ان يمشى بالنهار سار سيرا فاترا ٠ ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عمـــلا ضعيفا ، ومن صور الموت عاجلا جد، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « صل صلاة مودع » (٤) ٠ وقال بعض السلف : أنذركم «سوف» فانما اكبر جنود ابليس ٠ ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الامل ، كمثل قوم فــى سفر فدخلوا قرية ، فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمـام سفره وجلس متأهبا للرحيل ، وقال المفرط : سأتأهب ، فربما أقمنا شهرا ٠ فضرب بوق

---

١ ـ يماطل ٠　٢ ـ المخوف : ما يخاف منه ٠　٣ ـ اي لا يرجع ما ذهب ٠

٤ ـ رواه الطبراني في « الاوسط » عن ابن عمر ، قال الهيثمي : وفيه من لم اعرفه ٠

الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز (١) واغتبط (٢) الاسف المفرط ، فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ ، فاذا جاء ملك الموت لم يندم . ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة ، فاذا كان فى الطبع حب التوانى وطول الامل ، ثم جاء ابليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة ، الا انه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب ، وأن عدوه لا يفتر عنه . فان فتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كمينا .

ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا ، انه قريب مجيب .

جعلنا الله من أولئك المؤمنين .

تم – بعون الله تعالى وتوفيقه – طبع كتاب (تلبيس ابليس) للامام ابى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى رحمه الله تعالى .

والحمد لله أولا وآخرا ...

وبه الثقة والتوفيق ...

وهو المستعان المعين ...

---

١ – المتوقى الحازم . ٢ – توعك : ويقصد هنا تحير .

فهرس

((تم والحمد لله))

هذا الكتاب : جدير بأن يكتب بماء الذهب ، ويهدى لكل محب للاصلاح ، والوصول الى العلم الحقيقي ، والصراط السوى ، والعقائد الصافية التي لا تشوبها شبهة ...

جرى الامام الحافظ الكبير ابن الجوزى فى هذا الكتاب على طريقة : ذكر المسائل المختلف فيها بين علماء المذاهب والاديان ، ومسالك الفقهاء والمحدثين واللغويين والنحاة والقراء وغيرهم ، ثم كر عليها بالبحث والتنقيب والانتقاد ، فنقدها مذهبا مذهبا ومسلكا مسلكا ، وبين صحيح المسائل من فاسدها ، مستندا فى ذلك الى الادلة النقلية الصحيحة والادلة العقلية .

وهذا المؤلف ينطبق على حالتنا الاجتماعية وعقائدنا المشوبة بالتخيلات الوهمية . فنحث العلماء وطلاب الحقيقة على اقتنائه ومطالعته فانه خير مؤلف فى هذا الباب .

الناشر

السعر : ٥ ل.ل.

مطبعة البيان ـ بيروت ـ تلفون ٢٣٣٧٧٦